

شُمُوسُ الْعَرَّافِينَ

فِي

نَقْلِ السَّاجِدِينَ

الْكُنُزُ الْمَكُونُ فِي ذِكْرِ مَنْ قَبِ

أَهْلِ الصِّدْقِ عِبْرَ الْقُرُونِ

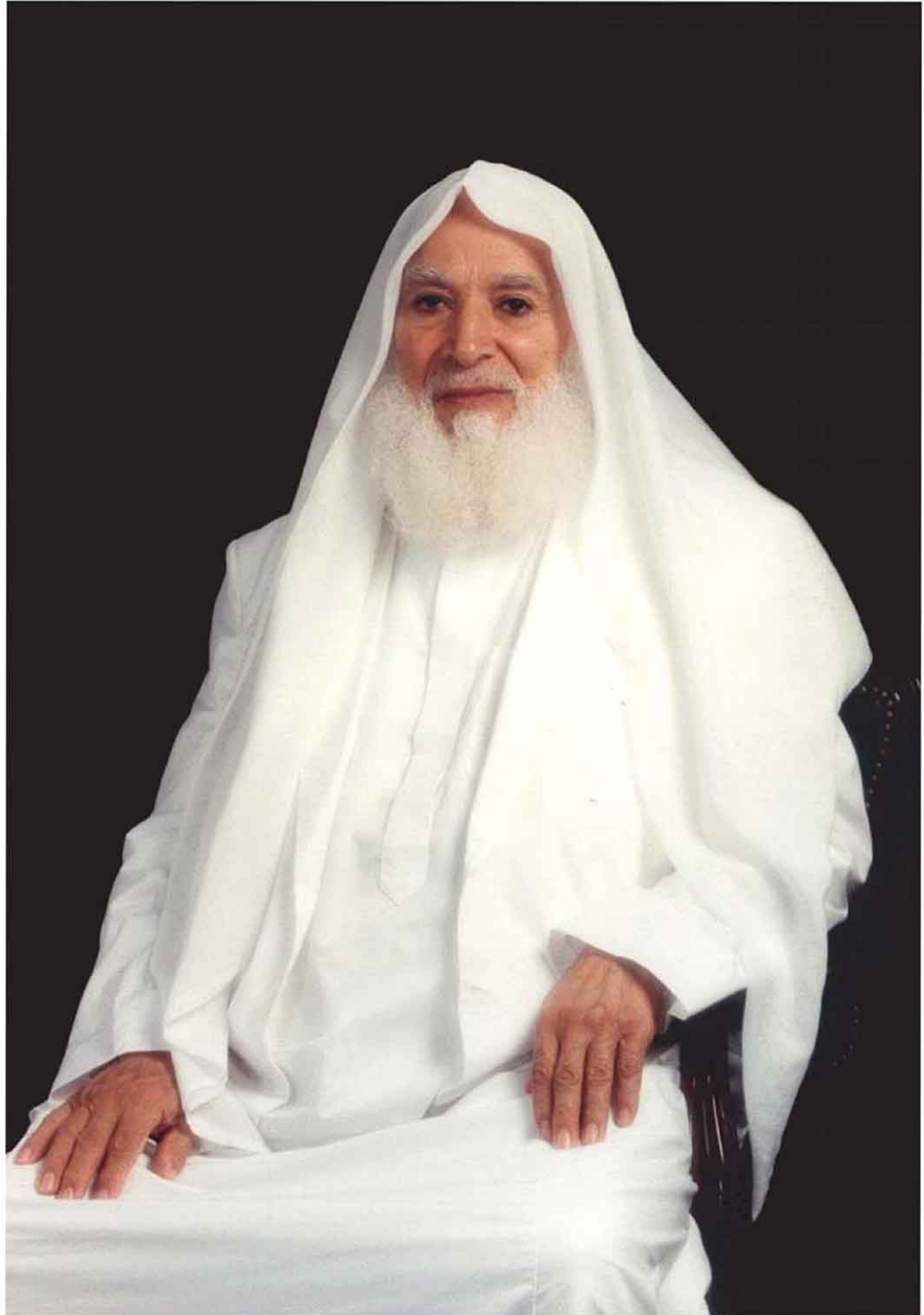
جمع و توثيق

الدكتور أحمد عبد السلام سلفايد و الشريف محمد بن الحارث

سیدي محمد عبد اللہ صیف بلقاید رضی اللہ عنہ



سیدی محمد بلقاید رضی اللہ عنہ



سيدي محمد الهبري العزاوي رضي الله عنه



سیدی احمد الہبری رضی اللہ عنہ



المحتوى

11 الإهداء
13 المقدمة
21 المقدمة الثانية
27 الباب الأول : التعريف بالطريقة البلقائدية الهيرية
47 الباب الثاني : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
49 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
87 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾
87 سيدنا حمزة بن عبد المطلب
92 أم المؤمنين السيدة خديجة
97 أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب
120 السيدة فاطمة الزهراء
127 " أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهِمْ افْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ "
135 فضل السند وأهمية الإسناد عند أهل الحديث
138 عِلْمُ التَّصَوُّفِ
143 فضائل الذكر و التلقين
143 أولاً فضائل الذكر
155 ثانياً التلقين

- 171 ضرورة وجود شيخ كامل مرّب
- 177 إثبات انتساب السلسلة الذهبية إلى سيدنا علي والحضرة النبوية
- 177 فصل (أسانيد الحسن البصري)
- 178 فصل (أسانيد الشيخ معروف الكرخي)
- 179 فصل (أسانيد الشيخ سري السقطي)
- 179 فصل (أسانيد الإمام الجنيد)
- 179 فصل (أسانيد الشيخ عبد القادر الجيلاني)
- 180 فصل (أسانيد الشيخ أبي مدين التلمساني)
- 181 فصل (أسانيد الإمام ابن سيد بونة)
- 181 فصل (أسانيد الإمام أبي الحسن الشاذلي)
- 183 فصل (أسانيد الشيخ أبي العباس الفاسي المعروف بزروق)
- 183 فصل (أسانيد الشيخ عبد الرحمن المجذوب)
- 184 فصل (أسانيد الشيخ يوسف الفاسي)
- 185 فصل (سند مولانا الإمام العربي الدرقاوي)
- 186 فصل (سند مولانا الشيخ محيي الطريق محمد بلقايد)
- 188 فصل (مراجع أسانيد السلسلة الذهبية)
- 191 **الباب الثالث : سند الطريقة البلقاندية في السلسلة الذهبية**
- 193 تراجم طبقات السند الأول
- 291 ترجمة طبقات السند الثاني
- 385 ترجمة طبقات السند الثالث

الإهداء

- إلى النبي الحبيب الأكرم، والخليل الأعظم، واسطة عقد النبيين والمرسلين، وقائد ركب الأولين والصديقين، روح الوجود والسبب الأعظم لكل موجود.
إليك يا سيدي يا رسول الله نهدي هذا العمل الضئيل.
- إلى السادة الأطهار، شمس الأنوار، سادتنا آل بيت النبي المختار ﷺ.
- وإلى سبل الاقتداء ونجوم الاهتداء سادتنا أصحاب إمام الأنبياء ﷺ.
- إلى شيخنا الكامل، الوارث المحمدي، والنور الأحمدي، محيي الطريق وخاتم أهل التحقيق، مربّي المريدين بالهمة والحال، وموصلهم إلى مقامات الرجال، سيدنا وسندنا ومولانا سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد رحمته الله، الذي أذن في هذا الكتاب فكان إذنه مدداً انفتحت به الأبواب وتيسرت به الصعاب.
- إلى والده وشيخه غوث الأصفياء وقطب الأولياء سيدي محمد بلقايد قدس الله روحه ونور ضريحه، وإلى جميع آبائه وأجداده، وجميع مشائخ السلسلة المباركة جزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً.

صفحة بيضاء

رقم 12

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام التام المبارك على سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

بعد الإذن المبارك المديد من حضرة شيخنا الهمام سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد، شرعنا في هذا العمل، مستمدين من فيضه ومدده، وغارفين من بحار علمه ومعرفته، فتقبله منا يا رب العالمين.

إن الله تبارك وتعالى اصطفى من شاء من عباده فأورثهم الكتاب وجعلهم متفاوتين في الرتبة على قدر توجههم وفهمهم عن ربهم؛ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، فالسابقون هم العارفون وهم أهل التصديق الذين صدقوا مع ربهم وأنابوا إليه، وهم الوارثون لسر الخلافة، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30/2] وهؤلاء هم بغية الطالبين الذين ينبغي للعبد المؤمن أن يجد في البحث عنهم ليكون معهم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119/9] وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15/31]، فمن ظفر بصحبتهم فاز بالمحجة البيضاء وتم له الاتصال، ويدخل تحت قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 42/13] فمن أراد الله به خيراً اجتبه، ومن علم منه صدق الإنابة هداه فدلّه على الطريق وعرفه بولي من أوليائه يأخذ بيده ليسلك به السبيل سبيل المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: 108/12]

فيدله أول ما يدلّه على الله، ويرشده إلى طريق السلوك طريق ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31/3]، فإذا حقق شرط الاتباع كان صادقاً في ادعائه المحبة محبة الله، وتحقق لديه جواب الشرط؛ فيصير محبوباً ويصبح مطلوباً بعد أن كان طالباً، ومراداً بعد أن كان مريداً، وهذا هو نهج هذه الطريقة الميمونة؛ الطريقة البلقائدية الهيرية الدرقاوية الشاذلية التي وصف الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله شيخها سيدي محمد بلقايد قدس الله سره بقوله: "إمام الطريقة"، وليست هذه الطريقة مبتدعة ولا هي مستحدثة، وإنما هي امتداد لأصل واحد، وغصن من دوحة واحدة، قد عمّ نورها في عصرنا هذا الكون بأسره، وفاض سرها فسرى في القلوب الراضية المرضية، وأشرقت أنوارها فكانت بمنزلة الشمس التي لا تغيب، فلا الظل يحجبها ولا الفياء يغطيها، ليلها كنهارها، قائمة على الحق داعية إليه، قال رسول الله ﷺ: "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، فأهلها هم أهل لا إله إلا الله قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19/47].

وأهل هذا العلم هم قادة السفينة التي من ركبها نجا، فهم المشائخ الكمل، المتوارثين العهد كبراً عن كابر، شأنهم في ذلك شأن سلسلة متصلة الحلقات، عروتها الوثقى بيد المصطفى الأكرم ﷺ، ونهايتها الظرفية الحالية بيد شيخ الطريقة وإمامها المعاصر سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد رحمته الله.

قال الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله:

تزهو بسلسلة لها ذهبية من شاهد للمصطفى عن شاهد
فهي سلسلة نورانية تمثل كل حلقة من حلقاتها شيخاً أستاذاً، وإماماً عارفاً بالله
يذكر المؤمنين بالميثاق الأول والعهد القديم، عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172/7]، وتزج بالمحبين عين الوصول فيحل عليهم رضوان الله.

وتأخذ بيد أهل الصدق حتى توصلهم إلى مقام الإخلاص: "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

روي عن سيدنا رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: "الإخلاص سرٌّ من أسرارِي

أَسْتَوْدِعُهُ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّبْتُ مِنْ عِبَادِي فَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَلَكَ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ". (أخرجه القزويني في مسلسلاته عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه).

لقد جعل الله سرّه متصلاً، واصطفى له من عباده من شاء ليكون مظهراً للحقيقة والشريعة، وإماماً للطريقة، فهذه السلسلة كسلسلة الأنساب، أو ما يطلق عليه: النسب (البيولوجي) أي الحيوي الترابي، فالتسبب فيها نسب روحي، وهو مقدم على النسب الترابي، وإن شئت فهو نسب معنوي علاقته روحية، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10/49]، فالأخوة هنا روحية معنوية غير مقيدة بقوانين الأشباح، ولا هي محتجبة بصورة الأكوان، والمقصود هنا خاص والعلاقة الأخوية روحية مميزة، فهي أخوة في الله، والمقصود الجامع فيها هو: الله ولا شيء سواه. قال صاحب الحكم ابن عطاء الله: "ماذا وجدَ مَنْ فَقَدَكَ وماذا فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ" والدليل إليها واحد وهو الشيخ الكامل الدال على الله بحاله ومقاله، والذي يستمد من الحضرة المقدسة باستغراقه في الحقيقة المحمدية أي بفنائها.

سئل سيدنا رسول الله ﷺ عن الجدير بالمجالسة بعده فقيل له: مَنْ نَجَالِسُ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال ﷺ: "مَنْ ذَكَرَكُمُ بِاللَّهِ رُؤْيَتْهُ، وَزَادَكُمْ فِي الْعِلْمِ مَنَظِقُهُ، وَرَغَبَكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ"، وقال ﷺ: "جَالِسُوا الْكِبْرَاءَ، وَسَائِلُوا الْعُلَمَاءَ، وَخَالِطُوا الْحُكَمَاءَ". (رواه الطبراني وصححه). ومن أمثلة الصالحين في هذا المجال: "مع مَنْ تَكُونُ بِحَالِهِ تَكُونُ"، "والله ما أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ إِلَّا بِصُحْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ".

وسأل أحد المريدين شيخنا سيدي محمد بلقايد قدس الله سره عن مدلول التصوف فقال: هو مقام الإحسان، وهو أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. فذلك هو الإيمان الكامل، وذلك لا يحصل إلا بالذوق مع العمل، وبصحبة شيخ عارف كامل. قال الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري قدس الله سره:

حُذِّدِ الْحَقَّ وَالتَّحْقِيقَ عَنْ امْرَأٍ نَاصِحٍ لِيُطَوِّىَ لَكَ بُعْدَ الْمَسَافَةِ بِالْكُلِّ

ولما كان مراد أهل هذه الطريقة ومبتغاهم الحقَّ سبحانه، فإن همَّهم كان دعوة الخلق إلى حضرة الحق، ودعاءهم كان لإحقاق الحق ودوام إقبال الخلق.

جاء في الصلاة المشيشية لشيخ مشائخنا سيدي عبد السلام بن مشيش رحمته الله: "اسمَعُ نِدَائِي بِمَا سَمِعْتَ بِهِ نِدَاءَ عَبْدِكَ سَيِّدِنَا زَكْرِيَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"، وفي ذلك إشارة إلى طلب استمرار الطريقة من حضرة الحق سبحانه، لأن من دعاء سيدنا زكرياء: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 5/19-6]، والولد في الطريقة قد يكون روحياً فقط، وقد يجمع بين الروحية والسببية الدموية، فاستجاب الله دعاءه فوهبه ولياً، وهو سيدنا وإمام مشائخنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره، فالأقطاب بنو علات، وهم وإن تعددت أساميهم واختلفت أزمتهم وأمكنتهم، فمددهم واحد وسندهم واحد والسر الساري فيهم واحد، من قطب إلى قطب ومنه عن غيره عن سيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه عن سيدنا ونبينا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي سلسلة ذهبية متصلة الحلقات.

غير أنه قد تمر بالطريقة مرحلة فتور فيخفت ضوءها، حتى يهيب الله لها من عباده شيخاً مريباً كاملاً يحيي دارسها، ويقدهم زندها، فتعود أنوارها ساطعة. وقد هيا الله في عصرنا هذا لهذه المهمة شيخاً كاملاً، ومريباً فاضلاً؛ ذلكم هو الشيخ القدوة سيدي ومولاي محمد عبد اللطيف بلقايد، الذي أنار الله بطلعته الطريقة فأحيا دارسها وشيد أركانها، آخذاً العهد عن والده وولي نعمته وشيخه سيدي محمد بلقايد الشريف الحسني الذي أحيا الله به الطريق وأنار به السبيل حتى قال فيه الإمام متولي الشعراوي رحمه الله:

فاليوم آخذ نورها عن شيخنا محبي الطريق محمد بلقايد
دُفْنَا مَوَاجِيدَ الْحَقِيقَةِ عِنْدَهُ وَبِهِ عَرَجْنَا فِي صَفَاءِ مَشَاهِدِ

فتحقق بذلك المراد في شيخنا سيدي محمد بلقايد، وتواصل الأمر في شيخنا سيدي محمد عبد اللطيف الذي أحيا الله به القلوب، ودأب يأخذ بأيدي المؤمنين الصادقين ليوصلهم إلى مراد رب العالمين من الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 51/56]، وعن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: "إِلَّا لِيَعْرِفُونُ"، والمعرفة هي ثمار الحقيقة والشريعة، قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ".

وفي هذا المعنى يقول سيدي الحراق رحمته الله:

وَجَذَّبَنِي بِالصَّدَقِ وَالْوَفَا وَقُلِعَ عَنِّي حَجَبِي
وظهر لي سر ما خفي عني في جذبي

فالطريقة الصوفية شجرة مباركة نورانية محمدية، ضاربة جذورها في أعماق أعماق معاني ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172/7]. ممتدة فروعها وأغصانها في الزمان والمكان، من أخذ بغصن من أغصانها استظل بظلها ووصله من أسرارها، فيكون مقتدياً بإمام الطريقة، وهو في الحقيقة لا يقتدي إلا بسيد الثقلين، قال السيد محمد متولي الشعراوي رحمه الله:

شَاهِدْ رَسُولَ اللَّهِ فِيهِ فَإِنَّهُ إِزْتُ تُوُورِثَ مَا جَدًّا عَنَ مَا جَدِ
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:
"أنا شجرة وفاطمة حملها، وعلي لقاؤها، والحسن والحسين ثمارها، ومحبو أهل البيت أوراقها، وكلنا في الجنة حقاً حقاً" رواه الديلمي في مسند الفردوس. وروى الدارمي في مسنده أنه عليه الصلاة والسلام قال لسيدنا علي كرم الله وجهه: "يا علي خُلِقْتُ أنا وَأَنْتَ من شَجَرَةٍ أنا أَصْلُهَا وَأَنْتَ فَرْعُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَغْصَانُهَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ".

إن الطريقة ليست سوى الصراط المستقيم الذي فرض الله على عباده أن يسألوه الهداية إليه عند كل صلاة؛ قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 1/6-7] وهم النيون والصديقون والشهداء والصالحون، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69/4]، وهي المحجة البيضاء التي ترك النبي صلى الله عليه وآله عليها أمته، والسبيل الذي يدعو إليه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108/12].

والسبيل هو الطريق، طريق المصطفى صلى الله عليه وآله الذي يهدي إليه عباد الله بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 52/42-53].

وقد أطلق القوم على المريدين، وهم التلاميذ الطالبون معرفة الله، مصطلح الفقراء تأسياً بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: 15/35]، فالمريد الصادق هو الذي تحقق بفقره بمعرفة صفات نفسه فأغناه الله بمحبته له وأفناه عن نفسه وخلع عليه من أوصافه، فأفناه وأبقاه، فيصير لسانه مشتغلاً بذكر مولاه، وقلبه مهبط أنوار وأسرار من تولاه فاجتباها وهداه، وتصبح الجوارح مسخرة في خدمة وطاعة الله، مصونة بحفظه حتى تكون لله وبالله وفي الله.

فمن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ". (رواه البخاري).

ولن ينال العبد تلك المحبة حتى يحب رسول الله ﷺ، بحيث يكون أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه، ويحب آل بيته الطاهرين الطيبين، ويحب أصحابه أجمعين، ويحب القرآن العظيم، فإذا تمت له تلك المحبة استنار قلبه وتطهر من الأدناس ومن كل الأمراض، واستقام حاله ظاهراً وباطناً، يقول الإمام البوصيري في همزيتة:

كيف يصدأ بالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء

إن الطريقة ليست سوى السبيل الموصل إلى شاطئ الأمان، فهي بمثابة السفينة؛ سفينة النجاة، من امتطأها نجا، والمشائخ - رضوان الله تعالى عليهم - هم الورثة والخلفاء، توارثوا أسرار المصطفى الأكرم ﷺ، واستمروا على العهد يستمدون من أنواره ﷺ، فتزينت سماء العباد بشموس عرفانهم، وتعلقت قلوب المحبين بهم وفنيت فيهم أرواح العاشقين حتى انغمست أسرارهم في بحار أنوار الحقيقة المحمدية. لقد طال العهد بالإنسان، وأدركه النسيان، فاحتاج إلى مذكر يذكره بالعهد والميثاق الذي قطعه على نفسه، وهو عهد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172/7]، فكانت تلك مهمة الأنبياء عليهم السلام عامة ومهمة سيدنا

محمد ﷺ خاصة؛ وهي تذكير العباد بذلك العهد، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55/51] حتى يزول عن العبد وهمه، ويتحقق بمقام الأنس بالله وينتبه من غفلته، ليعلم المراد من وجوده، قال الله تعالى في حديث قدسي: "يا بَنَ آدَمَ خَلَقْتُكَ لِي وَخَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ فَلَا تَشْتَغِلْ بِمَا هُوَ لَكَ عَمَّنْ أَنْتَ لَهُ"، ثم تولى تلك المهمة الخلفاء من الأقطاب، وهم ساداتنا المشائخ الذين أقامهم الحق دالين به عليه، ونصبهم حجاب حضرته وكنز أسرار حقيقته، فمن اهتدى إلى معرفة أحدهم وصدق في صحبته وتمسك بهديه، استنار بنوره، وصار في حصن الله المنيع، وتردى برداء الصون والحفظ.

جزى الله عنا ساداتنا المشائخ عامة خير ما جزى شيخاً عن مرديه، وولياً عن أمة حبيبه وصفيه سيدنا محمد لله عليه وعلى آله وصحبه.

صفحة بيضاء

رقم 20

المقدمة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك الواحد الأحد الفرد الصمد الذي رفع السماوات بغير عمد، ودحا الأرض على الماء ومهد، المنزه عن الصاحبة والوالد والولد، المزين السماء بزينة الكواكب، والمقابل بحكمته بين المشارق والمغارب.

سبحانه لا غاية لجماله وجلاله، ولا نهاية لعلوه وكماله، فمن شبه فهو ملحد، ومن عطل فهو جاحد، ومن أقر بعجزه وألقى السمع وسلم بالغيب فهو واجد. فالمشبهه حبسه الحس والخيال، والمعطل تائه في بيداء الضلال، والمقر بعجزه متحقق قد سقي من ماء عذب زلال إذ صدق بصفات الكمال وأقر بالعجز عن إدراك ذي الجلال.

هنالك أيقظ الله قلبه من سينة الرقاد، وسلمه بعنايته من الشقاء والعناد، وطهره بمنته من دنس البعاد، وأنزل عليه من بحار رحمته مطر الوداد، فسره بهج بطيب ولائه، ولسانه لهج بحسن ثنائه، وقلبه مشرق بتعظيمه وكبريائه، وشوقه لا يسكن حتى ينيخ بباب سلطانه وسيده، فهو دائم الترقب متطلع ليوم لقائه فرح به.

نحمده سبحانه على جميع أفضاله، ونشكره على سوابغ نعمه وسابق إحسانه، ونشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له في صفاته وأفعاله، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، عروس حضرته، وذروة اصطفائه، وواسطة عقد أنبيائه ورسوله، المختار من خيرة صفوة خلقه، سر الوجود ونوره وأصله، اللهم صل عليه

فواضل صلواتك وأزكى سلامك وأنمى بركاتك، وعلى جميع آله وعترته وأصحابه وورثة سره، وكل داع إلى الله بإذنه على نهج حبيبه، وبعد:

فإنه قد حاول جماعة من الفقراء مريدي الطريقة البلقائدية الهبرية إماطة اللثام عن حضرات بعض السادة من أقطاب السلسلة النورانية استشرافاً وتعرفاً وتودداً واستلطافاً، لعلهم يحظون بودهم وينالون بهم ولو قليلاً من فضل فضلتهم، ويضعون بين يدي المحبين والفقراء نبذة مختصرة عن حياة بعض مشائخ أهل السلسلة والسند وبعض مآثرهم، وقد حملهم على ذلك افتقار الساحة الثقافية والأدبية في ميدان الترجمة والتعريف بمعظم أولئك العلماء الأجلاء أهل السند في الطرق الصوفية، لذلك فإنهم مع ما بذلوه من مجهود يعترفون بقصر باعهم وقلة زادهم في هذا الميدان، ولا سيما أن المراجع قليلة، والمصادر يتعذر الوصول إليها، أضف إلى ذلك أن معظم السادة أهل السند رضوان الله عليهم كانوا يجنحون إلى الخمول ويرغبون فيه ويأبون الظهور، لذلك فهم ما تركوا عن أنفسهم تراجم مكتوبة خاصة بهم، وما خلفوا مذكرات أو مدونات عن نشاطاتهم، اللهم إلا ما سجله بعض تلاميذهم ومحبيهم، والذي ما زال معظمه مخطوطاً لم يحقق، وما حقق منه قليل، لهذا فإن طرق هذا الموضوع يكون من الصعوبة بمكان، ولا سيما أن الأمر يتعلق بأهل التحقيق وأقطاب الطريق الذين وصفهم أحد المريدين المحبين بقوله:

"كانوا إذا أقلقهم الخوف ناحوا، وإذا أزعجهم الوجد صاحوا، وإذا أدهشهم الحب ساحوا، وإذا غلبهم الوجد باحوا، وهم في محراب الحب وعش الغرام، عاكفون ما برحوا".

فمن أين يمكن لكاتب أو مؤرخ أو أديب أن يقتحم ساحة اتصف أهلها بتلك الصفات السنية، اللهم إلا إذا كان من أهل وُدِّهم، قد ألقى ميزان القياس جانباً، ومن هنا فقد أخطأ الطريق كثير من المؤرخين، وأساء الأدب من حيث يدري أو من حيث لا يدري مع أولياء الله، فتعامل عليهم، ونسب إليهم ما لا يليق بجناهم، وذهب آخرون يروجون لتلك الإساءات وينشرونها من على منابرهم بين الناس حتى ظن الكثير أن الصواب هو ما قال هؤلاء أو كتبوا، وهذا سبب آخر حملنا على

إصدار هذا البحث المتواضع لنبيين من خلاله أن طريق القوم ما هي إلا السبيل المصرح به في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [يوسف: 108/12] وإنهم والله ما حادوا عن هذا السبيل. ولنضع بين يدي القارئ هذا البحث ليكون أرضية ينطلق منها أو على الأقل تثير اهتمامه وتجلب انتباهه ليعطي الموضوع حقه من الدراسة والبحث خدمة للدين وأهله.

وقد عمد أصحاب هذا البحث إلى إصداره تحت عنوان "شُمُوسُ الْعَارِفِينَ فِي تَقَلُّبِ السَّاجِدِينَ" وهو بحث وإن كان متواضع القدر إلا أنه عظيم النفع بالنسبة لأهل الطريقة والمحبين، ما صنف مثله في مضمونه ومعناه إلا القليل فلا يكاد القارئ يجد مصنفاً يضم جميع أخبار السادة أقطاب السلسلة وكذلك مختلف طبقات الصوفية والمساند تأسيساً للبحث وتعميماً للفائدة، وليكون المرید والمحب على بينة من أمره وأنه في اتباعه لهذه الطريقة الميمونة إنما يعتمد على أسس متينة وسند قوي صحيح، ويتبين له أن كل الطرق وإن اختلفت مشاربها وتباينت أسماؤها وتعددت مساندها تنتهي كلها إلى مصدر واحد، فمنبعها ومعينها حضرة سيدنا رسول الله ﷺ فهو مؤسس هذا العلم وواضعه تلقاه عن رب العزة جل جلاله إما بالوحي وإما بالإلهام ففي بادئ الأمر كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل عليه بالشرعية السمحة فلما تقررت لدى ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم، ورسخت في هذا الميدان أقدامهم، بدأ الأمين عليه السلام ينزل عليه ﷺ بالحقيقة التي خص بها بعضاً دون بعض، ومن تدبر الكتاب والسنة يجد مظاهر كل منهما، فحيث ما حقق القرآن شرعت السنة وحيث ما حققت السنة شرع القرآن كما قال سيدي أحمد بن عجيبة رحمته.

وكان سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه أحد المخصوصين بهذا العلم الشريف علم الحقيقة فهو رحمته المدخل وهو الباب؛ لقوله عليه السلام: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، ولا يعني ذلك أنه - كرم الله وجهه - استأثر بهذا العلم دون غيره من الصحابة عليهم السلام، وإنما كانت له الخصوصية، فهو المنزّل من سيدنا رسول الله ﷺ منزلة سيدنا هارون من سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام.

وممن خصه عليه السلام بهذا الشرف سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا أنس بن مالك وسيدنا سلمان الفارسي رضوان الله

عليهم أجمعين، فالمساند متعددة والأصل واحد، وقد انصب اهتمامنا في هذا البحث المتواضع على سند طريقتنا البلقائدية الهبرية الذي ينتهي طرفه الأعلى إلى سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد تلقاه عنه أول أقطاب هذه الأمة ابنه سيدنا أبو محمد الحسن السبط عليه السلام وسيدنا أبو عبد الله الحسين السبط عليه السلام وسيدنا الحسن البصري عليه السلام، فتشعب بذلك إلى ثلاثة مساند يجدها القارئ مفصلة في طي هذا البحث، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المساند الثلاثة تجتمع عند سيدنا عبد الرحمن المدني العطار الملقب بالزيات.

وعن سيدنا عبد الرحمن المدني أخذ سيدنا القطب الغوث عبد السلام بن مشيش، واسطة عقد أهل طريقتنا، وتلقى عنه صاحب الوقار فريد زمانه ووحيد عصره القطب الغوث مولانا أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره، الذي أسند الخلافة من بعده لتلميذه الفذ الشيخ الكامل والمربي الفاضل سيدنا أبي العباس المرسي الذي نقل عنه قوله: "والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه، فإذا نظرت إليه أغنيته"، وقد أثنى عليه شيخه سيدنا أبو الحسن الشاذلي عليه السلام فقال: "نعم الرجل أبو العباس، يدخل عليه الأعرابي يبوء على ساقه فيوصله إلى الله من حينه"، ويستمر التسلسل هكذا شيخاً عن شيخ إلى أن يصل إلى شيخنا وولي نعمتنا سيدنا محمد عبد اللطيف بلقايد عليه السلام وأمد في عمره، عن شيخه ووالده فريد عصره ودره زمانه الشيخ الكامل والأستاذ الفذ سيدنا محمد بن أحمد بلقايد الشريف الإدريسي قدس الله سره، عن شيخه ودر كنوزه سيدنا محمد الهبري قدس الله سره، عن سنده وشيخه ووالده سيدي الحاج محمد الهبري.

كما أن بقية الأسانيد الأخرى كسند سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا أنس بن مالك وسيدنا سلمان الفارسي رضوان الله عليهم تلتقي كلها كروافد تصب في نهر واحد يصب في بحر عظيم، فسند سيدنا أنس بن مالك عليه السلام يجتمع بسند سيدنا الحسن البصري عند سيدنا حبيب العجمي؛ ويجتمع سند الصديق عليه السلام بسند سيدنا أبي عبد الله الحسين السبط عند سيدنا جعفر الصادق عليه السلام، ثم تجتمع الأربعة بسند سيدنا الحسين وسيدنا الحسن البصري وسيدنا أبي بكر وسيدنا أنس بن مالك عليه السلام عند سيدنا معروف الكرخي، ثم تجتمع كلها مرة أخرى عند سيدنا

أبي القاسم الجُنيد مجمع المشائخ الذي أخذ عن شيخه سيدنا السري السقطي، لتلقي كلها مع سندنا سند سيدنا الحسن السبط رضي الله عنه عند سيدنا عبد الرحمن المدني.

فطريق القوم وإن تعددت فروعها فأصلها واحد، إذ السقيا واحدة والزهر ألوان، كما أن الساقبي واحد والمشارب متعددة، ومنتهى الجميع حضرة سيدنا رسول الله ﷺ، فالكل منه ملتمس غرقاً من البحر أو رشفاً من الدير، ومن هنا يتبين أن الطريقة البلقائدية الهيرية في أصلها درقاوية شاذلية سبطية علوية محمدية، قد ذاع صيتها في الأرجاء وعم نورها الآفاق وانتشر في العالم تأثيرها حتى صارت قبلة العصر الروحية، يؤمها الصالحون والعلماء والمريدون من مختلف قارات العالم وأقطاره، قد تأسست لها مجموعة من الزوايا والمعاهد في مختلف جهات الوطن والعالم.

ولعلمك أيها القارئ الكريم أن طريقتنا هذه قد عانت - شأنها شأن مختلف الطرق الصوفية - مدة من الفتور انتابتها بسبب الأحداث والأزمات السياسية العالمية وانتشار الاستعمار وسياسته المناهضة للدين، إلى أن قيض الله لها شيخاً سنداً ورجلاً سيداً، ذلكم هو صاحب السماحة والوقار سيدي محمد بن أحمد بلقايد الإدريسي الحسني، التلمساني مولداً ونشأة، فشم عن ساعد الجد، وأزاح عنها كدرات الأيام وأماط عن محاسنها اللثام، فأحيا غراسها، وبعث دارسها، فازدادت به شهرة وانتشاراً، وأصبحت تلمسان في عهده قبلة الآلاف من العلماء والفقهاء والمريدين، وهذا سماحة الشيخ محمد متولي الشعراوي يصرح بمنزلة شيخنا بقدر ما من الله به عليه فيقول:

واليوم آخذ نورها عن شيخنا محبي الطريق محمد بلقائد
 ذقنا مواجيد الحقيقة عنده وبه عرجنا في صفاء مصاعد
 عن شيخه الهيري دُرّ كنوزه فاغنم لآلئه وجِدِّ وجاهد
 فلما وافته منيته، وزفته المشيئة إلى جوار ربه، والتحق بركب سلفه الصالح،
 تقلد من بعده مهمة الإشراف على الطريقة وتسييرها نجله ووارث سره شيخنا سيدي

محمد عبد اللطيف بلقايد، أمدّه الله بلطفه، وأقامه في مقام عزه، فاضطلع بالمهمة وقام بها خير قيام، فأسس الزاوية الكائنة اليوم بسيدي معروف بوهران، وكان قد باشر تأسيسها خلال حياة والده، فكانت معلماً نورانياً ومعهداً تربوياً، وتحفة معمارية، ومدرسة يقصدها الزوار من مختلف الأقطار، وتقيم بها مجموعة من الطلبة يتجاوز عددهم أحياناً المئتين يتلقون دروساً في القرآن الكريم وعلم الأصول والفقه وعلوم اللغة والسيرة النبوية وعلوم الحديث، ولها عدة فروع في مختلف ولايات الوطن وخارجه، ولم يكن غرضنا من هذه التوطئة بسط البحث في هذا الموضوع موضوع الزاوية البلقائدية الهبرية، وإنما كان القصد التقديم لمحتوى هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ المحترم، فما استحسنته منه فذاك مرادنا ومبتغانا، وما استهجنه منه أو استقصه فهو أيضاً مطلبنا، لأن غرضنا الأول من هذا البحث هو إثارة الاهتمام وفتح شهية الاستقراء والدراسة لهذا الموضوع من قبل أهل التخصص الكرام، وأن نضع بين أيديهم مادة علمية بسيطة تتعلق بتعاريف وجيزة لبعض ساداتنا أقطاب هذه الطريقة السنية، منطلقين من صاحب وقتنا وربان سفينتنا سماحة الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد منتخبين بعض السادة الأعلام على سبيل التبرك بذكرهم، اكتفاءً بهم لا استغناءً عن بقيتهم، اعتقاداً منا أن ذكر الواحد منهم هو بمثابة ذكر الكل، فالسلسلة إذا حركت إحدى حلقاتها تحركت كلها صعوداً ونزولاً، فساداتنا رضي الله عنهم هم حلقات تلك السلسلة النورانية، فعلى أي حلقة وقعت يد المرید تم له الوصل، واستمد من نورانية النسبة، قال سيدنا القطب الشعراني رضي الله عنه: "من فوائد النسبة العامة أن المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده".



الباب
الأول

التعريف
بالطريقة
البلقائدية
الهبرية

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ط
فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾

[البقرة: 144/2]

التعريف بالطريقة البلقائدية الهبرية

اعلم أن الطريقة البلقائدية الهبرية الدرقاوية الشاذلية الجنيديّة السبطية العلوية المحمدية هي امتداد لطريق السادة الصوفية التي هي ليست سوى السبيل إلى الله الذي أمر حبيبه ﷺ بدعوة عباده إليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [يوسف: 108/12]، وهي ليست سوى المحجة البيضاء التي ترك عليها المصطفى ﷺ أمته وأوصاهم بها في قوله ﷺ: "تركُتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"، والمحجة هي الطريق. وطريقنا هذه البلقائدية الهبرية، مالكية المذهب، أشعرية العقيدة، جنيديّة السلوك.

وأما اختلاف تسميتها من قادرية وشاذلية ودرقاوية وهبرية وغيرها: إنما ذلك للتمييز لا للتأصيل، إذ الأصل واحد والكل من رسول الله ملتصق، وقد أخذت الطريقة البلقائدية الهبرية اسمها من أسماء أصحابها السادة المشائخ الفضلاء.

(1) الشيخ المرابي سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد:

هو نجم سمائنا وبدر زماننا ونقطة دائرة عهدنا، الشيخ الكامل سيدي محمد عبد اللطيف ابن سيدنا الشيخ محمد بن أحمد بن الحاج محمد الشريف الإدريسي الحسني. ولد ﷺ بمدينة تلمسان المصونة بتاريخ 18/10/1937م ونشأ بها وسط أسرة كريمة، بأسقة شجرة سخائها ضاربة بأصولها في أرض الشرف والأشراف، ممتدة أغصانها في سماء المعرفة والمروءة.

نقله غداة مولده جده سيدي أحمد بلقايد ﷺ إلى سماحة الشيخ سيدي محمد

الهبري فوضعه في حجره ونظر إلى وجهه متفرساً ثم قال: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ".

فكان لتلك المقولة وقعها المؤثر في قلب والده سيدنا الشيخ محمد بلقايد، فراح يحوط ابنه بكل عناية، فلما شب أشرف بنفسه على تعليمه وتلقينه وتربيته، فتلقى عنه الفقه والسيرة والعقيدة ومختلف علوم الشريعة، فلما اشتد ساعده بدأ يلقنه علوم القوم كما تلقى ﷺ عن عمه سيدي عبد الكريم بن الحاج محمد بلقايد الذي تولى تدريسه القرآن العظيم، كما درس علوم اللغة والآداب على مجموعة من المشائخ على رأسهم الإمام الشيخ البشير بوهجرة، وكانت له جولات في المناقشة والمدارسة مع سماحة الشيخ محمد متولي الشعراوي، وقد اشتهر منذ صباه بالجد في طريق القوم، وبلغ فيها مبلغ الرجال في سن مبكر في عهد والده الذي سمعنا منه قدس الله سره قوله: "نالها عَبْدُ اللَّطِيفِ بذراعه"؛ أي إنه ما حاز المقام إلا بجده واجتهاده، كما شهد له بمكارم الأخلاق، وهذا مما يشهد له به الخاص والعام.

ودخل ذات مرة على والده وشيخه، فاستقبله فرحاً مستبشراً مردداً:

اسْمَعْ كَلَامِي وَلَتَهْمُ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
لَأَنَّ كُنْزَكَ قَدْ عَرَى عَنْ كُلِّ طَلْسَمِ

وما ذلك إلا لتجلي الأمر عليه وبزوغ فجره. أما هو ﷺ فما عهدناه إلا متسترا بدثار الخمول، يرفض الظهور والإطراء، وكثيراً ما يردد: لست سوى خادم للطريق والفقراء، وهذا شأن العارفين، ولولا أننا نعرف منه رفضه للحديث عنه ونخشى من سوء الأدب معه لاسترسلنا في وصفه بما يليق بمقامه، وإن كنا لا ندرك ذلك ولا يسعفنا فيه زاد إلا ما أسعفنا به هو غير أن لنا عودة بحول الله إلى الموضوع في كتاب آخر نخصصه للطريقة البلقائدية الهيرية ولأفراد هذه الأسرة.

ونذكر من مآثره تلك التحفة المعمارية التي شيدها بإذن من والده بقرية سيدي معروف بوهران وبها مقر إقامته وسوف يأتي الحديث عنها لاحقاً.

هذا وقد منَّ الله علينا أن أخذ عنه الطريق ثلثة من كبار العلماء والدكاترة من

مختلف بلدان ودول العالم الإسلامي، منها: المغرب ومصر والسعودية وتونس وسورية ولبنان واليمن، ومن بعض الدول الغربية كفرنسا وأمريكا.

كما تخرج في هذه الزاوية عدد من الطلبة، منهم من شارك في المسابقة التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية فنجح بامتياز وصار إماماً خطيباً، ومنهم من صار معلماً رسمياً للقرآن، وما زال باب الفضل مفتوحاً، وطموح الشيخ ممتداً لأن يجعل من هذا المعهد مدرسة يتخرج فيها العلماء والفقهاء خدمة للدين والوطن والمسلمين. وقد سخر لهذا الغرض كل ما يملك وجند أبناءه لخدمة الزاوية والفقراء.

■ مواقف النضالية والثورية:

لقد كان شيخنا سيدي محمد عبد اللطيف رحمته الله من المجاهدين الأوائل الذين تخرجوا في الزاوية على يد الشيخ سيدي محمد بلقايد رحمه الله، وحدث ذات مرة أن كان محلّ مطاردة من طرف الاستعمار صحبة والده الشيخ سيدي محمد بلقايد وأخيه سيدي عبد الرحيم، وظل الاستعمار يطارده ويضيق الخناق عليه لكونه كان يتولى التنسيق بين المجاهدين وجمع السلاح وتوزيعه، وتنظيم الاتصال بين الفدائيين والمجاهدين في الجبال وبين المجاهدين والمناضلين في المدينة، وقد نجاه الله من محاولة الإعدام رمياً بالرصاص، كما نجاه صحبة والده سيدي محمد بلقايد وأخيه سيدي عبد الرحيم من المعتقل، الأمر الذي اضطره إلى الرحيل إلى سيدي بلعباس حيث ظل يمارس نشاطه الثوري حتى توقفت الحرب. كما أشرف على تنظيم استفتاء 02 كانون الأول/ ديسمبر 1962م في منطقة سيدي بلعباس وما جاورها، مع تصفية قائمة الأسماء المقترحة والصالحة لأن تتولى مهام سلطوية في إدارة الجمهورية الجزائرية.

(2) الشيخ المرابي سيدي محمد بلقايد (محيي الطريق):

هو الشيخ الكامل والعارف الفذ والإمام الحجة، صدر صدور عصره ووحيد زمانه وقرنه (محيي الطريق) سيدنا محمد بن أحمد بن العربي بن محمد الكبير الشريف الحسيني الإدريسي، ولد رحمته الله بحاضرة تلمسان عروس البقاع وزينة البلدان

عام 1332 من هجرة سيد الثقلين ﷺ الموافق لعام 1911م من مولد المسيح عليه السلام، وبها نشأ وفيها نما وترعرع متقلباً وسط الفقراء وأهل القرآن والفقهاء، تغذوه أسرة طيبة ويرعاه أبوان كريمان، وكان قدس الله سره منذ نعومة أظفاره مولعاً بطلب العلم ومصاحبة العلماء ومساءلتهم، مجبولاً على حب المشائخ والفقراء، يحظى بمحبتهم ويغدو ويروح باستحسانهم، وقد حباه الله بمعاصرة جده سيدي محمد بن الحاج محمد بن العربي بلقايد ووالده سيدي أحمد بلقايد، فكانا له سندين قويين وكهفين جليلين فأخذ عنهما خيراً كثيراً، فجده سيدي محمد بن الحاج محمد بلقايد كان ذا منزلة سنية في طريق القوم، ومحل ثناء الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري ﷺ وإعجابه به، حتى إنه قال في حقه: "ما فاتكم سيدي محمد بلقايد (جد سيدنا محمد بلقايد) لا بصيام ولا بقيام ولا بكثرة ذكر، وإنما فاتكم بشيء وقر في قلبه ألا وهي الأحدية ألا وهي الأحدية ألا وهي الأحدية". كما نوه بمقامه ذات مرة فقال: "سيدي محمد بلقايد (الجد) غربال الأولياء فلن يكون الولي ولياً حتى يمر على طريقه"، ومع هذه الشهادة من شيخه سيدي الحاج محمد الهبري ظل سيدي محمد بن العربي بلقايد متمصاً دثار الخمول ومرتبياً رداء الصون.

ولما انتقل إلى رحمة الله رثاه أخوه في الطريق الشيخ سيدي عبد القادر المشهور بالأقرع قائلاً: كلنا أصحاب الهبري ادعينا وبعنا إلا سيدي محمد بلقايد (الجد) فإنه انتقل إلى رحمة الله طاوياً سره كاتماً إياه، ومن مظاهر ذلك الكتمان أنه ﷺ فاجأ يوماً حفيده الشيخ سيدي محمد بلقايد (محيي الطريق) وكان صيباً يحاول قراءة بعض رسائل جده التي كان يتبادلها مع شيخه سيدي الحاج محمد الهبري، فما كان منه إلا أن قام بحرقها وهو يردد: هذا سر بيني وبين شيخي لا ينبغي لأحد أن يعلمه. وهو مع جلال قدره كان يعظم شأن حفيده سيدنا الشيخ سيدي محمد بلقايد (محيي الطريق) فقال له ذات مرة: كم صمنا وكم زرنا وكم ذكرنا فما بلغنا ما بلغته. فأجابه الحفيد في تواضع وأدب قائلاً: "إنما الابن حسنة أبيه". فأجابه بقوله: "نعم، وهو كذلك".

أما والد شيخنا سيدي أحمد بلقايد فقد اشتهر بالجود والسخاء والكرم، فكان ﷺ حاتم عصره، سخي النفس جواد اليد كريم الخصال، وكان بيته مجاوراً

للزاوية الهيرية بتلمسان فكأنه امتداد لها، قد فتح بابه على مصراعيه فلا يسد في وجه فقير أبداً، وحدث أن مرت بالفقراء ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة بسبب السياسة الاستعمارية وقوانين مصادرة الأراضي الجائرة، فتولى رضي الله عنه نقلهم على حسابه وبماله الخاص لزيارة الشيخ سيدي محمد الهيري مصطحباً معه ابنه البار سيدي الشيخ محمد بلقايد، فلما قابله الشيخ سيدي محمد الهيري سأله: كم كلفك هذا يا سيدي أحمد؟ فأخبره بالقيمة امتثالاً لا تظاهراً، وهنالك أذن له في الرقيا والعلاج ليستفيد منه العباد، ثم التفت إلى سيدنا الشيخ سيدي محمد بلقايد وقال له: "أنا وإياك غير انشروطوا"؛ أي أنا وأنت يكفي أن نضع خطوطاً على الورق للرقيا، فالسر في وفيك وليس فيما يكتب، فكانت تلك إشارة منه إلى منزلة شيخنا سيدي محمد بلقايد قدس الله سره.

■ انتشار الطريقة بتلمسان:

لما أكرم الله سيدي الدكالي وفتح عليه، بعثه فضيلة الشيخ سيدي الحاج محمد الهيري إلى تلمسان للتعليم ونشر الطريقة، فكان بالجامع الكبير، وكان مجموعة من أعيان تلمسان يحضرون حلقات الدرس، ومن بينهم الشيخ سيدي الحاج محمد بلقايد ابن العربي، وسيدي بوزيان بوشناق وسيدي العربي تشوار والسيد الحاج محمد العشعاشي والمقدم أوزين والشيخ سيدي محمد بن يلس وغيرهم، فلما لمسوا من الشيخ الدكالي الورع والتقوى وغزارة العلم قاموا بإسكانه وأسسوا نادياً يجتمعون فيه معه بعد صلاة المغرب، فلما رأى منهم حسن الإقبال وجودة الاستقبال وعلم منهم الصدق والتطلع إلى الحقيقة، أنبأهم بوجود شيخ مأذون له في طريق القوم ذي سر عظيم، ووصف لهم مكان وجوده ومقر زاويته، ففوضوا الأمر لسيدي الحاج محمد بلقايد ليقوم بزيارة الشيخ ويستطلع أمره لما يعلمون من جدّه ومن موقفه العُمري في الصدق والحق، فاستجاب لهم وذهب في زيارة للشيخ سيدي الحاج محمد الهيري، فلما وصل وجده مشغولاً ببناء الزاوية وزوجته الكريمة سيدتنا حليلة تناوله مواد البناء بيدها، فقام الشيخ بغسل يديه وصافحه قائلاً: "مرحباً بالشريف سيدي الحاج محمد". فقال له: "لست بالشريف ولا بالحاج"، فأجابه الشيخ: "بل أنت شريف وحاج لبيت الله، ثم قال له: إن مما منّ الله به عليّ أني إذا

نظرت الرجل علمت إذا كان شريفاً أو حاجاً لبيت الله أو حاملاً لكتابه " ، فكانت تلك أول كرامة له مع شيخه ، فأخذ عنه العهد مباشرة ، وكان بذلك أول تلميذ هبري بتلمسان ، ثم رجع فأخبر أصحابه بذلك ، وأثنى على الشيخ وشوقهم فيه ، فما كان منهم إلا أن أخذوا يفدون على الشيخ تباعاً ويأخذون عنه العهد ، ومنهم الشيخ سيدي محمد بن يلس ، وكان عالماً له حلقة بالمسجد الأعظم بتلمسان ، ومنهم سيدي أحمد أوزين (ابن الزين كما سماه الشيخ) ، وظل سيدي أحمد أوزين مقدماً بتلمسان حتى جاء الإذن إلى شيخنا سيدي محمد بلقايد فكان هو المقدم من قبل الشيخ سيدي محمد الهبري وسيدي أحمد ابن الزين على قيد الحياة .

■ تعلمه :

لقد كانت تلمسان في ذلك العهد ، أي خلال العقد الثالث والرابع والخامس من القرن الرابع عشر الهجري ، تعج بالعلماء في كل فن ؛ من فقه وأصول ومصطلح ولغة وكلام وأدب وتاريخ ، وتميز علماء ذلك العهد رحمهم الله بالتفاني في بذل العلم لمن يطلبه ، ولم يكن لهم هم سوى نشر العلم وخدمة الدين ، مما أتاح الفرصة لشيخنا تغمده الله برحمته ، فتلقى من أفواه الرجال وأخذ عن كبار العلماء وجهابذة الفقهاء ، فنهل منهم بشغف وشدة إقبال ، ومن أشهر من أخذ عنهم العلم هم ساداتنا الشيخ أحمد أبو عروق الأزهري التلمساني والعلامة بالحسائين النجار السلاوي والشيخ بن ناصر ، وكانوا مقيمين جميعاً بتلمسان . فلما بلغ أشده واستوى عوده تآقت نفسه وازداد شغفه بالعلم مع ما تحصل عليه من معارف في الفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللغة ، فشد الرحال وسافر في رحلات مباركة أمم خلالها الحواضر من وطنه ، كمدينة السفيزف وسيدي بلعباس ومعسكر وسعيدة ، بل تعداها إلى البلاد العربية شرقاً وغرباً ، والتقى بكبار العلماء والعارفين فناقشهم في العلم وناظرهم في المسائل تعلماً وتدقيقاً لا جدلاً وادعاءً ، مما جعله يحظى بمحبتهم ، فأجازه الكثير منهم كالشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ الحافظ بن صديق الغماري ، كما أجازه تلميذه في الطريقة العلامة محمد متولي الشعراوي .

أضف إلى ذلك أنه أخذ علم الحديث والمصطلح عن وحيد عصره وزمانه الشيخ العلامة أحمد بن يلس الدمشقي وأخذ عنه السند أيضاً ، واستمر رحمته يطلب

العلم ويحرس عليه ويقضي الليالي الطوال في مطالعة الكتب حتى تبوأ عن جدارة واستحقاق مقعد العلماء العارفين، فزكاه غير واحد من العلماء المتأخرين أمثال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ الإمام البشير أبو يجرة الذي وصفه في إحدى رسائله قائلاً:

أحيي بهذا إمام الإسلام وشيخ الشريعة صنو الهمام
كما أثبت له تلميذه العلامة محمد متولي الشعراوي الإمامة العامة حيث قال في
رائعته التي مطلعها: نور القلوب وري روح الوارد؛ ما نصه:

الله قُضدك والرَّسُول وَسَيَلتْكَ وَخُطَاك خُلْفَ مُحَمَّد بَلْقَائِد

■ سنده في الطريقة:

أخذ رحمته الله السند في الطريقة عن شيخه وولي نعمته الإمام الهمام والشيخ القدوة سيدي محمد الهبري الشريف الإدريسي قدس الله سره، الذي أخذ بدوره عن والده وشيخه سيدي الحاج محمد الهبري العزاوي، عن شيخه سيدي قدور الوكيل الكركري، عن سيدي محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي مولاي العربي الدراقوي، عن باقي أقطاب السلسلة رضوان الله عليهم.

وقد حظي شيخنا سيدي محمد بلقايد بمنزلة الرضا لدى شيخه، فبشره بالخلافة في عهد مبكر وهو ما زال بعد في سن الصبا، وكان ذلك قبل أن يدخل الخلوة، لكنه ألح في الطلب من شيخه حتى أدخله الخلوة وتحققت فيه فراسة شيخه، فكان الوارث بحق، وحاز المقام عن جدارة، ولكنه ظل مستتراً يأبى الظهور حتى انتقل كل أبناء شيخه وحفدته إلى الرفيق الأعلى، فصعد رحمته الله بالأمر واضطلع بالمهمة وياشر التلقين، فأحيا الله على يده وبه الطريقة، وبعث دارسها، فذاع صيتها وانتشر صداها في مختلف قارات العالم، وصارت تلمسان في عهده قبلة الفقراء ومحط رجال العلماء من مختلف جهات العالم الإسلامي.

■ وطنيته ودوره في ثورة التحرير:

كانت تلمسان في ذلك العهد (الأربعينيات والخمسينيات) مقراً لكبار السياسيين

والمناضلين في الحركة الوطنية، وكان الشيخ سيدي محمد بلقايد قدس الله سره يناهض الاستعمار ويناصبه العداء، لأنه نشأ في أسرة تميزت بأصالتها العربية وتمسكها بتقاليدها الأصيلة، حيث كان جد شيخنا يمنع أبناءه وأفراد أسرته من تعلم اللغة الفرنسية أو التحدث بها أو ارتداء الزي الفرنسي، فكانت تلك مقاومة بمقاطعة اللسان الفرنسي والزي الفرنسي والمحافظة على اللسان العربي والزي الجزائري، وكانت تلك الأسرة ترى أن ذلك يعد مقوماً أساسياً من مقومات الشخصية الوطنية فلا ينبغي التخلي عنه، من هنا فإن شيخنا سيدي محمد بلقايد نشأ على كره الاستعمار والذود عن حرمان العروبة والإسلام، وإلى ذلك كان يدعو، فلما اندلعت ثورة التحرير كان من المنخرطين الأوائل في صفوف جبهة التحرير، ومن المجاهدين الأوائل متخذاً من الزاوية الهبرية بتلمسان ملجأً للمجاهدين، ولما تفتنت لذلك السلطات الاستعمارية أقدمت على إغلاق الزاوية بعد أن تأكد لديها أن المجاهدين كانوا يأتونها مستترين بزِي النازحين من الريف والفاشرين طلباً للأمن، فنقل الشيخ سيدي محمد بلقايد نشاطه النضالي إلى مسجد سيدي ابن مرزوق، واتخذ مقرأً للتربية الجهادية ومركزاً لتخزين السلاح وتكوين الفدائيين والمجاهدين، واستمر هذا شأنه إلى أن مَنَّ الله على الجزائر بالاستقلال. وقد تفضل فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية السيد عبد العزيز بوتفليقة - حفظه الله - بتقليده بعد انتقاله إلى رحمة الله وسام الأثير عرفاناً له بالدور الذي قام به في ثورة التحرير الكبرى.

■ وفاته رحمته الله:

مرض مدة زمنية تربو على ست سنوات، فاضطر خلالها للانتقال إلى مدينة وهران، وظل هناك يستقبل الضيوف والفقراء والعلماء، ويرشد ويوجه حتى يخيل إلى الجالس بين يديه أنه لا يعاني أي مرض، وكثيراً ما كان يشير إلى دنو أجله وقرب انتقاله، وظل رحمته الله يستقبل الزوار حتى وافته منيته وزفه الأجل إلى جوار ربه مساء يوم الجمعة 28 ربيع الآخر 1419 هـ الموافق لـ 21 أوت 1998 م بمدينة وهران، وقد حضر نجله وخليفته سيدنا الشيخ محمد عبد اللطيف تلك اللحظة المهيبة وكان بعض الفقراء حاضرين يذكرون قصيدة سيدي أبي مدين رحمته الله والتي

مطلعها : لما بدا منك القبول... فلما بلغوا قوله : النظرة فيك يا جميل.. فاضت روحه مشرقاً وجهه. وتم نقل جثمانه الشريف إلى مدينة تلمسان ليوارى الثرى جوار آبائه وأجداده رحمهم الله بمقبرة سيدي السنوسي بتلمسان، وقد حضر جنازته جمع غفير وخلق كثير، فكان مشهداً مهيباً ويوماً مشهوداً، وصلى عليه شيخنا سيدي محمد عبد اللطيف رحمته الله.

(3) الشيخ سيدي محمد الهيري:

هو العالم العلامة والبحر الفهامة والإمام الصدر الشيخ سيدي محمد بن سيدي الحاج محمد الهيري العزاوي الإدريسي الحسني، وُلد رحمته الله في مطلع العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، ونشأ في زاوية أبيه وسط أسرة كريمة أفرادها الفقراء وأهل القرآن والعلماء، مما وفر له جواً خاصاً بعث فيه حب الطريقة عامة وأقطابها خاصة، وذلك ما أهله وهو في ريعان الشباب لأن يقوم مقام المشائخ الكمل ويضطلع بمهمة التربية وتلقين الاسم الأعظم في عهد والده الشيخ سيدي الحاج محمد الهيري، حيث لقن أحد كبار العلماء وهو الشيخ أحمد الدكالي، وكان سبباً في إخراجه من دائرة التعلق وحجاب الاشتغال بمطالعة الكتب إلى ساحة التوجه إلى حضرة الحق بالفناء في الشيخ، فقال له : لو أنك اخترقت السبع الطباق وجلت الأرضين السبع ما وجدت ما يأتيك مني في كتاب. فألقى السمع وأعرض عن مطالعة الكتب، ففتح الله له على يد سيدي محمد الهيري ونال به في الطريقة منزلة سنية، فكان سبباً في نشر الطريقة بتلمسان، وكان أول من تأثر به فضيلة الشيخ سيدي محمد بن العربي بلقايد الذي أخذ العهد مباشرة عن الشيخ سيدي الحاج محمد الهيري قدس الله سره كما سبق ذكره.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ سيدي محمد الهيري لازمه المرض ولم يفارقه لحظة منذ نعومة أظافره إلى آخر عهده، حتى إنه لما وافت والده المنية كان هو غائباً للعلاج فلما بلغه الخبر رجع مسرعاً إلى الزاوية بجبل تاغيت، فاجتمعت كلمة الفقراء عليه بعد ما أبلغهم سيدي محمد بن الحاج الغرماوي وصية والده الشيخ سيدي الحاج محمد الهيري؛ ومفادها أن الخلافة من بعده باقية في نجله

سيدي محمد الهبري، وكان الأمر كذلك، فزادت به الطريقة شهرة وتوسعاً إلى درجة أفلقت الاستعمار الفرنسي، فقام بنفيه إلى مدينة آفلو بالهضاب العليا الجزائرية خلال الحرب العالمية الأولى 1914/1918 حيث كان الفقراء يزورونه بكثرة، فازداد تخوف الاستعمار منه فنقلوه إلى عنابة خوفاً من استفحال أمره. ويعود سبب هذا الموقف الاستعماري إلى كون الشيخ رحمه الله رفض الاستجابة لإغراءاتهم، ورفض المنصب الذي اقترحوه عليه ليستميل لهم الرعية فأجابهم: "إن مهمتي تنحصر في إرشاد الناس إلى عبادة الله وذكره"، واستمر في المنفى حتى انتهت الحرب فسمح له بالعودة إلى الزاوية.

وكان الاستعمار قد أمم كل أراضي الزاوية، ونازعه الشيخ قضائياً في باريس، ووكّل لذلك محامياً، فجاءه يوماً وقال له: تمكنت من استرجاع نصف الأراضي، فرفض الحكم وقال: "لا أقبل حكماً إلا حكماً يسترجع للزاوية كامل أراضيها"، لكن الاستعمار لم يمكنه من ذلك، واستولى على الأراضي كلها، فدعا على فرنسا قائلاً: "أخذوا مني أرضي وربّي يسلم عليهم من يخرب بلادهم"، فابتلاههم الله بالألمان فأذلهم على أيديهم وخرب بهم مؤسساتهم عام 1940م. واستمر قدس الله سره بعد الإفراج عنه والسماح له بالعودة إلى الزاوية ينشر العلم والطريقة إلى أن توفاه الله في شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 1939م.

(4) الشيخ الحاج محمد الهبري:

هو الولي الصالح والعالم الجليل والشيخ الكامل سيدي الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الشهير بالهبري، الذي يرتفع نسبه إلى سيدنا ومولانا إدريس الأكبر إلى سيدنا الحسن السبط رضوان الله عليهم ولد رحمه الله عام 1239هـ، وكان والده رحمه الله فقيهاً وولياً صالحاً، حرص على تنشئة ابنه على العلم والمعرفة، وشاءت الأقدار أن يتوفى والده وهو ما زال في سن الصبا، فتولت والدته السيدة الفاضلة الصالحة تربيته، وقد تميز ﷺ بالحرص على التعلم فآتم حفظ القرآن العظيم ودرس الفقه والحديث والتفسير، وحفظ الحكم العطائية، وكتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم لسيدي أحمد بن عجيبة، وتلقى عن مشائخ

كرام من أبرزهم سيدي أحمد بن موسى الكرزازي الثاني قدس الله سره وسيدي أحمد الفاسي، وأما الإذن في الطريقة فقد تلقاه عن الشيخ الكامل سيدي أبي عزة المهاجي، الشريف الذي أرشده إلى طلب حاجته عند غيره، فقصده رحمته الله قبر جده، وأتم عنده ختم القرآن أربعين مرة فألهمه الله أن يذهب إلى جبل كركر وهناك جمعه الله بشيخه وسنده سيدنا محمد بن قدور الوكيل الكركري، ففتح الله له على يده فنطق بالحكمة، ثم أذن له شيخه سيدي قدور في فتح زاوية بجبل تاغيت ببني زناسن، فبنى واحدة بسفح ذلك الجبل وثانية بأعلاه وثالثة بواد صفرو ورابعة بضريوة، وكان قدس الله سره مولعاً بالسفر والتجوال بمعية الفقراء خاصة إلى البقاع المقدسة والحرمين الشريفين، فكان يحج مرة كل خمس سنوات عام 1295هـ و1300هـ و1305هـ و1310هـ، وقد أمضى رحمته الله كل حياته في الذكر والمذاكرة وتعليم القرآن والفقه ومختلف علوم الشريعة والإرشاد والسلوك وتلقين الاسم، واستمر هذا ديدنه ودأبه إلى أن وافته منيته مساء يوم 23 رمضان 1317هـ الموافق لـ 1898م. وتجدد الإشارة إلى أن الاستعمار الفرنسي كان يحاول بعد احتلال الجزائر 1830م وتونس 1881م بسط نفوذه على المملكة المغربية، فصرح الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري قائلاً: " لا تدخل فرنسا هذه الأرض ما دمت حياً"، فكان الأمر كذلك، فهي لم تبسط نفوذها على المملكة إلا في 1912م.

(5) الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي:

هو الفرد الكامل العارف الدال بقوله وفعله وحاله على الله، الجامع لمحاسن الشيم والأخلاق، الذائع الصيت، المحلق بجناحي الشهرة في شرق البلاد وغربها، صاحب الوقار الشيخ الإمام والغوث الهمام درة عصره ووحيد زمانه مولانا العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الإدريسي الحسني، المكنى أبا علي.

ولد رحمته الله بعد عام 1150هـ بقبيلة بني زروال بالمغرب الأقصى، وبها نشأ وترعرع وأمضى معظم حياته، ونما وسط أسرة كريمة تميزت بالعفاف والصيانة والحياء والمروءة. اشتغل رحمته الله في صباه بالقراءة والتعلم وزيارة الأخيار، وقد أتم حفظ القرآن العظيم في السلكة الأولى (الختمة الأولى) وكان يسلك أي يصحح

للطلبة ألواحهم، وكثيراً ما يمسك اللوح بيده فيتبين مافيه من أخطاء بمجرد قبضه، قال ﷺ: كنت أسلك للطلبة ألواحهم، وكثيراً ما أقبض اللوح بيدي وأقول لصاحبه قبل أن أنظر فيه: هذا اللوح ثقيل، فيه كذا وكذا خسارة (أي خطأ)، أو خفيف ما فيه إلا كذا وكذا، أو لا شيء فيه، فلا أجد إلا ما أخبرتهم به. وقد جمع القرآن بالسبع، ثم اشتغل بطلب العلم بمدينة فاس بالمدرسة المصباحية، واستمر كذلك إلى أن جمعه الله بالشيخ الجليل والعارف الشهير الشريف الإدريسي الحسني سيدنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني المعروف بالجمل، الذي حدث عن نفسه فقال: "ومما مَنَّ الله به علي أن جعلني سبحانه مهما ذكرت رسول الله ﷺ أو جلت فيه إلا وجدته حاضراً بين يدي هو وأصحابه العشرة الكرام المبشرون ﷺ، وذلك حساً ومعنى ونتكلم معهم ونأخذ العلم من عين العلم، والعمل من عين العمل".

ولما بزغ نجم شيخنا سيدي مولاي العربي الدرقاوي قدس الله سره توجه قاصداً زاوية شيخه سيدي علي الجمل فوجده قائماً يشطب الزاوية بيده، أي يكتسها، فسأله عن مراده فلبس عليه الأمر ولم يجبه في البداية وتستر عنه، فعاد إليه من الغد بعد أن استخار الله تعالى، فلما علم منه الصدق أخذ بيده وفرح به فرحاً عظيماً، فقال سيدي مولاي العربي الدرقاوي: يا سيدي كم لي أفتش عن شيخ! فقال له سيدي علي الجمل ﷺ: وأنا أفتش عن مريد صادق. واستمر سيدي مولاي العربي معه مدة سنتين، وقد فتح الله له على يده فتحاً مبيناً، فاستأذن شيخه وعاد إلى قبيلته بني زروال وبها باشر التربية والتلقين، وظهر على يده الخير الكثير، وتخرج على يده اثنان وأربعون ألفاً ما بين مرشد وشيخ، وقد تميز ﷺ في أول أمره بالزهد والإعراض عن الدنيا والتجرد حساً ومعنى. وصفه تلميذ تلميذه سيدي أحمد بن عجيبة فقال: مكث مولانا العربي على هذه الحالة الموصوفة أي حالة الزهد خمساً وعشرين سنة لا يترك من عشاءه لغدائه ولا من غدائه لعشاءه... ثقة بالله تعالى واعتصاماً بالله. وصفوة القول فيه أنه آية كبرى من آيات الرحمن تبوأ من طريق القوم مقعداً جليلاً، وارتقى منبراً شامخاً، فكان سراجاً منيراً استنار به الوجود.

توفي ﷺ بزاويته بقبيلة بني زروال السنية ليلة الثلاثاء 22 من صفر 1239هـ.

(6) الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي:

هو البحر الواسع والنجم الساطع والقطب الرباني الجامع ، شيخ مشائخنا طراً الحائز محاسن الشيم والأخلاق الذائع صيته البازغة شمسه ، الذي كان في عهده بكل جدارة واستحقاق شيخ العصر في مقام الجبر والكسر وصار في زمانه كعبة الطائفين وقدوة السالكين وملاذ الخائفين وسراج السائرين ، الوارث المحمدي مولانا علي بن عبد الله بن عبد الجبار المكنى بأبي الحسن والملقب بالشاذلي نسبة إلى شاذلة بالأراضي التونسية. ينتهي نسبه إلى سيدي مولاي إدريس الأكبر.

ولد ﷺ بقرية غمارة بالأراضي المغربية، وزار تونس وهو في عهد الصبا، وتنقل إلى الديار المصرية حيث أمضى بقية عمره، وحج عدة مرات، كما زار العراق بحثاً عن القطب ويحدث ﷺ عن نفسه فيقول: "لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي... وكان مطلبي على القطب فقال لي بعض الأولياء: أنظلب القطب بالعراق وهو ببلادك؟! ارجع إلى بلادك تجده".

فرجع ﷺ إلى المغرب حيث جمعه الله بشيخه وصاحب الفضل عليه القطب الغوث مولانا أبي محمد عبد السلام بن مشيش ﷺ، ويتحدث قدس الله سره عن قصة التقائه بشيخه فيقول: "لما قدمت عليه وهو ساكن بمغارة في راقطة في رأس جبل اغتسلت في عين في أسفل ذلك الجبل، وخرجت عن علمي وعملي وطلعت إليه فقيراً، وإذا به هابط إلي وعليه مرقعة وعلى رأسه قلنسوة من خوص، فقال لي: مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار فذكر نسبي إلى رسول الله ﷺ، ثم قال لي: يا علي طلعت إلينا فقيراً عن علمك وعملك فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة. قال: فأخذني منه الدهش، وأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله علي بصيرتي، ثم أمره شيخه بالرحيل إلى تونس، وأمره بأن يسكن شاذلة، وأخبره بأن الله يسميه الشاذلي، قال ﷺ: فقلت: يارب لم سميتني الشاذلي ولست بشاذلي؟ قال: فقيل لي: يا علي ما سميتك بشاذلي إنما أنت الشاذلي بتشديد الذا " أي المفرد لخدمتي وصحبتني.

ثم انتقل ﷺ إلى أرض مصر بإذن من النبي ﷺ حيث قال: " رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا علي انتقل إلى الديار المصرية ترى بها أربعين صديقاً " ، فأمر أصحابه بالحركة، وسافر إلى مصر، وكان بصحبته الشيخ الفاضل أبو علي يونس بن

السماط، فلما بلغ الركب مدينة طرابلس اختار ابن السماط رحمته الله طريق الساحل، واختار سيدنا أبو الحسن الشاذلي الطريق الوسطى، ثم اجتمعا بمدينة الإسكندرية، وبعد صلاة الصبح توجه الشيخ أبو علي يونس بن السماط إلى خباء الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي صحبة تلاميذه فدخل عليه وجلس بين يديه وتأدب معه أدباً على غير العادة، فلما أراد الانصراف قال: يا سيدي هات يدك أقبليها، فقبل يده وانصرف وهو يبكي، فتعجب أصحابه من ذلك فقال لهم: رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: يا يونس كان الشيخ أبو الحجاج الأقسري بالديار المصرية وكان قطب الزمان فمات البارحة وأخلفه الله بأبي الحسن الشاذلي. فقال: فأتيته حتى بايعته بيعة القطبانية.

وتزوج رحمته الله بمصر، ورزق عدة أولاد، منهم ثلاثة ذكور، وهم شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي وأبو عبد الله محمد شرف الدين، وبنتان وهما زينب وعارفة الخير.

وأخذ عنه جمع غفير من الناس على رأسهم خليفته ووارث سره سيدنا الشيخ أبو العباس المرسي، ومنهم العالم العلامة سيدنا العز بن عبد السلام، ولما دنا أجله رحمته الله تجهز للسفر وقال لأصحابه: احملوا معكم فأساً ومسحاة فإن توفي أحد منا واريناه الثرى. فكان ذلك إشارة لوفاته كما أخبر بذلك أحد تلاميذه سيدي ماضي بن سلطان رحمه الله. ويخبر ولده الشيخ الصالح سيدي شرف الدين بن علي أبي الحسن الشاذلي عن الرحلة التي توفي فيها والده فيقول: فلما أراد الشيخ السفر أمرنا أن نتحرك معه بجميع الأهل والأولاد... قال: وسافرنا، فلما دخلنا البرية مرض الشيخ، وكان معهم شاب يتيم في كفالة الشيخ صحبه معه في السفر فأصيب هو الآخر بمرض ومات في الطريق، فأمر الشيخ بحمله حتى بلغ الركب إلى حميثة، فلما نزلوا بها غسلوه وصلى عليه الشيخ ودفنوه، ثم توفي الشيخ بعده، وفي تلك الليلة فدفن هنالك بحميثة ببرية عيذاب في واد على طريق الصعيد المصري. وكانت وفاته رحمته الله في سنة 656هـ، عن عمر يناهز ثلاثاً وستين سنة.

وصفه أحد تلاميذه وهو سيدي ماضي، رحمه الله، فقال: إنه كان آدم اللون، نحيف الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، طويل أصابع اليدين، كأنه حجازي، فصيح اللسان عذب الكلام.

(7) ورد الطريقة المبارك:

البلقاندية الهيرية) التي طلعت شمسها بالمغرب، ونشرت أشعتها على معظم أصقاع العالم الإسلامي، وظهرت ثمارها واعتنقها أفواج من الشباب وأولي العلم ولا سيما على يد شيخها محيي الطريق، الناطق بما يؤيده التشريع والتحقيق، أستاذنا العارف بالله والموصل إليه تعالى الإمام الشيخ سيدي محمد بلقائد قدس الله سره، الذي طلعت في أفق الملة أنواره وظهرت في القارات الإسلامية آثاره.

وإن هذه الطريقة الميمونة قد حوت أسرار الأوائل وحكمة الأواخر، وكادت تختص بخصوصية "الاسم الأعظم" الذي إذا دعي به الله أجاب، والذي لا طريق إلا طريقه لإدراك الولاية العظمى، ولا سبيل إلا سبيله (أي الاسم الأعظم) للفناء في الذات العلية، وهو نهاية آمال الأكابر من أولياء الله تعالى من الأمة المحمدية الكريمة.

فإننا بذلك ننصح إخواننا وأبناءنا من سائر الأصقاع أن يبادروا لانتهاز فرصة الانسلاخ في هذه الطريقة المشهود لها بالتوافق وبالانفراد بالاسم الأعظم في جميع الديار، وعلى يد شيخها الحالي سيدي مولاي الشريف محمد عبد اللطيف بلقايد الذي أذعن له أكابر أولي العلم في عصرنا، وانقاد إليه عدد لا يحصى من الشباب ولا سيما من كبار المثقفين ثقافات علمية عالية، فأدركوا من المقامات والأحوال ما لم يدركه أكابر العباد الزهاد.

فعليك بورد الطريقة المباركة المنهل العذب النابع من صميم القرآن الكريم ومن معين السنة المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام بالصدق والطهور وعلو الهمة وعدم الالتفات. وذلك عند الصباح والمساء.

■ ورد سعادة الدارين :

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (مرة واحدة)

بسم الله الرحمن الرحيم. (3 مرات)

● ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20/73] (مرة واحدة)

- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. (33 مرة)
- ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56/33] (مرة واحدة)
 - اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا. (33 مرة)
 - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19/47]. (مرة واحدة)
 - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (33 مرة)
 - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1/112-4]. (3 مرات)
 - ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 1/7-1]. (مرة واحدة)
 - سُورَةُ الْفَتْحِ. (مرة واحدة)

(8) زاوية الشيخ سيدي محمد بلقايد بسيدي معروف (وهران):

هي معلّم من معالم الطريقة البلقايدية الهبرية، شرع في تشييدها منذ حياة الشيخ سيدي محمد بلقايد، على يد نجله وخليفته من بعده صاحب الوقار الشيخ سيدي محمد عبداللطيف بلقايد، وتم تدشينها سنة 1998م. وشرع الطلبة يؤمونها من مختلف ربوع الوطن للدراسة في معهدها وتلقي مختلف العلوم في الشريعة؛ كالفقه والأصول ومصطلح الحديث، بالإضافة إلى علوم اللغة والسيرة وعلم التجويد، على ألا يشرع الطالب في ذلك حتى ينتهي من حفظ القرآن الكريم. كما تتولى الزاوية مهمة الإرشاد والتوجيه، وتنظيم دروس عامة للمواطنين، فضلاً عن إقامة شعيرة الجمعة.

هذا علماً بأن وظيفة الزاوية الأساسية هي التربية الروحية والسلوكية سعياً بمريدها إلى الرسوخ في مقام الإحسان، كما قال رسول الله ﷺ: "اعبُد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

■ فروع الزاوية :

إن زاوية سيدي معروف هي الأم والأصل لعشرات الزوايا التي هي فروع وامتداد لها؛ بحيث إن لها في كل ولاية أكثر من زاوية تتولى بعض النشاطات؛ كتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الفقه على ضوء توجيهات الشيخ. كما أن لها زوايا في مناطق متعددة من العالم غرباً وشرقاً.

■ التسيير :

يتولى تسيير الزاوية مجلس إداري يتشكل من أساتذة وأطباء ومشرفين تربويين وإداريين، يسهرون على توفير كل الشروط الضرورية للسير الأمثل للمؤسسة طبقاً للتنظيم الداخلي. هذا وتحتوي الزاوية على كل المرافق الضرورية التي توفر للطلبة الراحة والجو الملائم للدراسة والتعلم كما هو موضح في البطاقة الفنية.

■ بطاقة المعهد الفنية :

يتربع المعهد على مساحة (6000 متر مربع) تم تشييده على طراز يجمع بين الحداثة والأصالة، ويتألف من المرافق والخدمات التالية:

- مسجد جامع يتسع لأكثر من 1500 مصلاً، وملحق يتسع لنحو 1000 مصلاً.
- قاعات الدراسة؛ وتتكون من (7) أقسام، بطاقة استيعابية (580 مقعداً) أي بمعدل (80) مقعداً لكل قسم.
- قاعات المحاضرات، وعددها (4) قاعات، باستيعاب (1100 تلميذ) بواقع 300 تلميذ لكل قاعة.
- قسم إداري خاص بإدارة المعهد وحفظ ملفات الطلاب مزود بوسائل المراقبة والإعلام الآلي الحديث.

- مكتبة المعهد، مجهزة بكتب في جميع العلوم الدينية واللغوية والتاريخية.
- قاعة خاصة بالإعلام الآلي السمعي والبصري الحديث.
- قاعة للإرشاد والتوجيه وإعطاء معلومات عامة وخاصة تتعلق بالزاوية ومهامها.
- عيادة صحية، مجهزة بأسرة فحص ومعدات طبية أولية.
- قاعات الطعام، وعددها (2)، بطاقة استيعابية (300 مقعد) أي 150 مقعد لكل واحدة منهما. ومطبخ مجهز بوسائل حديثة ومؤمنة.
- مجمع دورات المياه والوضوء والنظافة، وعددها (4) مجمعات تغطي احتياج المعهد.
- جناح استقبال خاص لكبار الضيوف والزوار.
- وللمعهد إمكانات للتوسع مستقبلاً وإضافة أقسام ومرافق أخرى حسب الاحتياج.



الباب
الثاني



﴿اللَّهُ نُورٌ نُّورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى
نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[النور: 35/24]

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴿

(1) [الأحزاب: 21/33]

اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره، ثم سلخ منها العوالم كلها العلوي والسفلي، ثم أعلمه بنبوته وآدم لم يكن - إلا كما قال ﷺ - بين الروح والجسد، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فهو الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات، ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر ظهر سيدنا محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، ففي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَمِنْ جُمْلَةِ مَا كَتَبَ فِي الذِّكْرِ وَهُوَ أَمُّ الْكِتَابِ أَنْ مُحَمَّدًا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ".

وعن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَإِنْ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، أَي طَرِيحَ مَلْقَى، قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ"، وعن ميسرة الضبي قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد". وعن سهيل بن صالح الهمداني قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي: كيف صار محمد ﷺ يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ كان محمد ﷺ أول من قال بلى، ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث.

وعن الشيخ تقي الدين السبكي أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فالإشارة

(1) انظر الأنوار المحمدية للإمام النبهاني.

بقوله ﷺ كنت نبياً إلى روحه الشريفة أو إلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها خالقها، ومن أمدته الله تعالى بنور إلهي فحقيقة النبي ﷺ قد آتاها الله وصف النبوة من قبل خلق آدم إذ خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها منذ ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، وعن الشعبي قال رجل: يا رسول الله، متى استنبئت؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق"، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً.

وعن بعضهم أنه ﷺ خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح لأنه ﷺ هو المقصود من خلق النوع الإنساني، وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده، وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ؛ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأخذ بذلك العهد على قومه، ويروى هذا عن ابن عباس أيضاً، وقيل: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم السلام فغشاهم منه ما أنطقهم الله به فقالوا: يا ربنا من غشنا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوتة، فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَتَلْتَضِعُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81/3] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ السَّالِفِينَ﴾ [آل عمران: 81/3] قال الشيخ تقي الدين السبكي: في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله ﷺ: "وبعثت إلى الناس كافة" لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضاً، ويتبين بهذا معنى قوله ﷺ: "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد".

فإذا عرف هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء، ولهذا يظهر ذلك في الآخرة؛ فجميع الأنبياء تحت لوائه، وظهر في الدنيا كذلك ليلة الإسراء حين صلى بهم، ولو اتفق

مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم لوجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، وعن كعب الأحبار قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء منيرة، فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم عليهما السلام، قال ابن عباس: أصل طينة رسول الله ﷺ من سررة الأرض بمكة ومن موضع الكعبة، دحيت الأرض فصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين، والكائنات تبع له.

وعن صاحب عوارف المعارف أن الماء (يعني في الطوفان) لما تموج رمى بالزبد إلى النواحي فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة، فكان ﷺ مكيًا مدنيًا، ويروى أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ألهمه أن قال: يا رب لم كنيتهني أبا محمداً؟ قال الله تعالى: يا آدم ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى نور محمد ﷺ في سرادق العرش، فقال: يا رب ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت السماء ولا أرضاً.

وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: "يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم

الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأوّل السّمواتِ ومن الثاني الأَرْضينَ ومن الثالث الجَنَّةَ والنَّارَ، ثم القسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أُنصارِ المؤمنينَ ومن الثاني نُورَ قلوبهم وهي المَعْرِفَةُ بالله تعالى ومن الثالث نُورَ أُنسِهِم وهو التَّوْحِيدُ لا إلهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ .

وعن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: " كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَي رَّبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ " ، وفي الخبر: لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلعب في جبينه فيغلب على سائر نوره، ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته، وحمله على أكتاف ملائكته، وأمرهم فطافوا به في السموات ليرى عجائب ملكوته. وعن ابن عباس: كان خلقه يوم الجمعة في وقت الزوال إلى العصر، ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده لها فقالت له الملائكة: مه يا آدم. قال: ولم وقد خلقها الله لي؟! فقالوا: حتى تؤدي مهرها. قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد صلى الله عليه وآله ثلاث مرات. وفي رواية عشرين مرة. وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وآله مقروناً باسم الله تعالى فقال: يا رب، هذا محمد من هو؟ فقال: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك، فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي: يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَفَرْتَ لِي. فقال الله: يا آدم وكيف عرفتَ محمداً ولم أخلقُه؟ قال: لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روجك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحبُّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد عفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك، وهو آخر الأنبياء من ذريتك " ، وفي حديث سلمان رضي الله عنه قال: هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: " إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا فَقَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا، وَمَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ، وَلَقَدْ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا

لَأَعْرِفَهُمْ كَرَامَتِكَ وَمَنْزِلَتِكَ عِنْدِي، ولولاك ما خلقت الدنيا، وقد ولدت حواءَ مِنْ أَدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَدًا فِي عِشْرِينَ بَطْنًا وَوَضَعْتَ شَيْئًا وَحَدَه كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ نُورَهُ انْتَقَلَ مِنْ أَدَمَ إِلَى شِيثِ، وَقَبْلَ وَفَاتِهِ جَعَلَهُ وَصِيًّا عَلَى وَلَدِهِ، ثُمَّ أَوْصَى شِيثَ وَلَدَهُ بِوَصِيَّةِ أَدَمَ أَلَّا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إِلَّا فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَارِيَةً تُنْقَلُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ إِلَى أَنْ أَدَى اللَّهُ النُّورَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَظَهَرَ اللَّهُ هَذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرَضِيَّةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٍ، مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الْإِسْلَامِ".

أولاً: في ذكر أسمائه ﷺ:

اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد سمي الله تعالى نبينا ﷺ بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً، فمنهم من بلغ تسعة وتسعين كعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث، قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً، وقال ابن دحية: إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفت ثلاث مئة.

وقال أبو بكر بن العربي: قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، وذكر منها صاحب المواهب ما يزيد على الأربع مئة اسم. فمنها: إسمه "مُحَمَّدٌ" ﷺ وهو أشهر أسمائه عليه الصلاة والسلام سماه الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق بألفي عام، كما ورد من حديث أنس، وبه سماه جده عبد المطلب، وقد قيل له: ما سميت ولدك؟ قال: محمداً. فقيل له: كيف سميت به باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: لأنني أرجو أن يحمدني أهل الأرض كلهم، وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب؛ فقد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها، فعبرت له

بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء وأهل الأرض، فلذلك سماه محمداً مع ما حدثه به أمه آمنة حين قال لها الملك: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعته فسميه محمداً.

ومن خصائص هذا الاسم كونه متكوناً من أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى، وأنه على شكل صورة آدمي؛ فالميم الأول رأسه والحاء جناحه والميم الثاني سرتة والدال رجلاه، ويظهر ذلك في الخط القديم الكوفي. قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها - أعاذنا الله منها - إلا ممسوخ الصورة، إكراماً لصورة لفظ محمد، وأنه مشتق من اسم الله تعالى محمود كما قال حسان:

أَغْرُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبُوءَةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ نُورٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنِ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

وروى ابن عساكر عن كعب الأحمدي أن آدم قال لابنه شيث عليهما السلام: "أبي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التَّقوى والعروة الوثقى، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وطُفت السموات فلم أر فيها موضعاً إلا ورأيت اسم محمد مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور حور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحُجُب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكّره في كل ساعاتها".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوباً مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ خَلْفِي" اهـ. ووجد على حجارة قديمة مكتوباً: مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ أَمِينٌ، ذَكَرُهُ فِي الشِّفَاءِ. ووجد على حجر بالخط العبراني وكتبه موسى بن عمران: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبَشْرِ عَنْ مَعْمَرِ الزَّهْرِيِّ.

وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان قال: عصفت بنا رياح ونحن في لبحر الهند فأرسلنا في جزيرة، فرأينا فيها ورداً أحمر ذكي الرائحة طيب

الشم، وفيه مكتوب بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، وورداً أبيض مكتوباً عليه بالأصفر براءة من الرحمن الرحيم إلى جنات النعيم لا إله إلا الله محمد رسول الله. وذكر في الشفاء أنه شوهد في بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جنبه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وشوهد ببلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم أنه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمراً كاللوز، له قشر إذا كسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية مكتوب فيها بالحمرة لا إله إلا الله محمد رسول الله، كتابة جلية، وهم يتبركون بها قال: فحدثت بذلك أبا يعقوب الصياد فقال: ما أستعظم هذا، كنت أصطاد على نهر الأبله فاصطدت سمكة على جنبها الأيمن لا إله إلا الله وعلى جنبها الأيسر محمد رسول الله، فلما رأيتهما قذفتها بالماء احتراماً لها. وروى خبر هذه الشجرة التي تحمل ثمراً كاللوز القاضي أبو البقاء بن الضياء في منسكه نقلاً عن عبد الله بن مالك أنه رأى تلك الشجرة وثمرتها مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله. ووجد في تسع وثمانية حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون أسود محمد.

وفي كتاب النطق المفهوم لابن طغر بك عن بعضهم أنه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كثير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة كتابة بينة واضحة في الورقة ثلاثة أسطر؛ الأول لا إله إلا الله، والثاني محمد رسول الله، والثالث إن الدين عند الله الإسلام.

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته ﷺ أنه لم يسم أحد قبله باسمه محمد صيانةً من الله لهذا الاسم الشريف كما فعل يحيى عليه السلام؛ إذ لم يجعل له من قبل سميّاً، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه سمي قوم أولادهم كذلك رجاء أن يكون هو هو، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد بلغوا خمسة عشر نفساً.

ومنها اسمه "أحمد" ﷺ، وهو اسمه الذي سمي به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام، وهو منقول عن اسم التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه، وكذلك هو ﷺ لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله،

فيحمد ربه بها ويعقد له لواء الحمد، ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد الخلق لربه، فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسمه أحمد على اسمه محمد فذكره عيسى فقال: اسمه أحمد وذكره موسى حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللّهُم اجعلني من أمة أحمد، فأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، وذكر ذلك السهيلي والقاضي عياض. وقال القاضي عياض أيضاً: أحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد.

ومنها اسمه "محمود" ﷺ، وهو شبيه باسمه تعالى الحميد؛ لأن معناه المحمود، وهذا الاسم الشريف وقع في زبور داوود عليه السلام.

ومنها اسمه "الماحي" ﷺ، فسره في الحديث بمحو الكفر، ولم يمخ الكفر بأحد من الخلق مثل ما محي بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار ما بين عباد أوثان ويهود ونصارى وصابئة ودهرية وعباد كواكب وعباد نار، فمحاها الله تعالى برسوله عليه الصلاة والسلام حتى أظهر دينه على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

ومنها اسمه "الفتاح" ﷺ لأن الله فتح به ﷺ باب الهدى إذ كان مرتجأ، وفتح به أعيناً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، وفتح أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والآخرة.

ومنها اسمه "الحاشر" ﷺ، فسر أيضاً في الحديث أنه الذي يحشر الناس على قدمه، أي يقدمهم وهم خلفه، وهو أول من تنشق عنه الأرض، فيحشر الناس على أثره وإليه يلجؤون في محشرهم ﷺ.

ومنها اسمه "العاقب" ﷺ وهو الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي، لأن العاقب هو الآخر.

ومنها اسمه "المقفي" ﷺ، ومعناه كالعاقب، أي قفا آثار من سبقه من الرسل وكان خاتمهم.

ومنها اسمه "الأول" ﷺ، لأنه أول النبيين خلقاً وكما أنه أول في البدء هو أول في العود، فهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وأول

شافع، وأول مشفع، كما كان في أوليات البدء في عالم الذر أول مجيب إذ هو أول من قال بلى إذ أخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية فأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم، فهو ﷺ الأول في ذلك كله على الإطلاق.

ومنها اسمه "الآخر" ﷺ، لأنه آخر الأنبياء في البعث.

ومنها اسمه "الخاتم" ﷺ، لأن الله تعالى ختم به النبيين، كما أنه أولهم، قال عليه الصلاة والسلام: "كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث".

ومنها اسمه "الظاهر" ﷺ، لأنه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الأديان دينه.

ومنها اسمه "الباطن" ﷺ، لأنه المطلع على بواطن الأمور بواسطة ما يوحيه الله سبحانه وتعالى إليه.

ومنها اسماء "الرؤوف الرحيم" ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128/9]، والرؤوف من الرأفة وهي أرق من الرحمة، قاله أبو عبيدة، والرحيم من الرحمة، وقيل: رؤوف بالمطيعين رحيم بالمدنيين.

ومنها اسمه "الحق" ﷺ، ومعناه ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره، قال تعالى: ﴿حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الزخرف: 29/43]، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: 108/10] قيل: هو محمد ﷺ، وقيل: القرآن.

ومنها اسمه "المبين" ﷺ، معناه البيان أمره ورسالته، والمبين عن الله ما بعث به كما قال تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44/16].

ومنها اسمه "الجبار" ﷺ، سمي به ﷺ في مزامير داوود عليه السلام في قوله في المزمور الرابع والأربعين: تقلد أيها الجبار سيفك، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، فهو ﷺ الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق وصددهم عن الكفر جبراً، قال القاضي عياض: وقد نفى الله تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: 45/50].

ومنها "المزمل" ﷺ، ومعناه المتلفف في ثيابه، قال السدي: معناه يا أيها النائب وكان متلففاً في ثياب نومه.

ومنها "المدثر" وهو المتلفف بالذثار، وهو ما يلقيه عليه الإنسان من كساء أو غيره، روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: كنت بحراء، فنوديت، فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر أحداً، ونظرت فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض، يعني الملك الذي ناداه، فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني، فنزل جبريل فقال: ﴿يَتَابَى الْمَدِيثُ﴾ [المدثر: 1/74].

ومنها اسمه "القيب" ﷺ، ومعناه شاهد القوم وناظرهم وضمنهم.

ومنها اسمه "العظيم" ﷺ، ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل وسيلد عظيماً لأمة عظيمة.

ومنها "طه"، قيل: معناه يا طاهر يا هادي.

ومنها "يس"، عن جعفر الصادق معناه: يا سيد، وعن أبي بكر: يا سيد البشر.

ومنها "النبي والرسول"، واختلف هل هما بمعنى أو بمعنيين، فقال بالأول قوم وقال آخرون بالثاني، فعلى هذا النبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول أخص مطلقاً.

ومنها "نبي الملاحم"، وهي الحروب، وفيه إشارة إلى ما بعث به ﷺ من القتال، ولم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد ﷺ وأمته.

ومنها "مقيم السنة" ففي كتاب الشفاء قال داوود عليه السلام: اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة بعد الفترة.

ومنها "عبد الله" سماه الله تعالى به في أشرف مقاماته، كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1/25] وغيرها من الآيات، ولما قال ﷺ: "لا تُظروني كما أظرت النصارى عيسى ولكن قولوا: عبد الله ورسوله".

ومنها "(ماذ ماذ)" ونقل العلامة الحجازي في حاشيته على الشفاء عن السهيلي ضم الميم وإشمام الهمزة ضمة بين الواو والألف ممدودة، وقال: نقلته عن رجل

أسلم من علماء بني إسرائيل، وقال: معناه طيب طيب، ولا ريب أنه ﷺ أطيّب الطيبين.

ومنها "البارقليط" بالباء ويقال: الفارقليط، ووقع في إنجيل يوحنا، ومعناه روح الحق، وقال ابن الأثير في النهاية: معناه الذي يفرق بين الحق والباطل والذي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

ومنها "حمطايا" قال أبو عمرو: سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال: معناه يحمي الحرم من الحرام ويوطئ الحلال.

و"أحيد" عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "اسمي في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأنني أحيد عن أمتي نار جهنم".

ومنها "المخمنا" بالسريانية محمد ومثله "المشفح"، ففي كتاب شعيا في البشارة به عليه الصلاة والسلام يفتح العيون العور والأذان الصم ويحيي القلوب الغلف، وما أعطيه لم يعطه أحد مشفح يحمد الله حمداً جديداً.

ومنها "قثم" ومعناه الجامع للخير.

ومن أسمائه ﷺ أيضاً: السراج، النور، المنير، المصباح، النجم، القمر، الشمس، السيد، السعيد، المسعود، الرشيد، الخبير، المذكر، المبلغ، الميسر، المبشر، المنذر، العزيز، البصير، البر، البشير، النذير، الأمي، المكي، المدني، العربي، الحجازي، التهامي، النقي، التقى، الوفي، الصفي، الولي، المولى، الأمين، المأمون، المؤتمن، الحبيب، الحسيب، الطيب، الطاهر، المطهر، الشاكر، الشكور، الشارح، الشافع، الناصح، المصلح، الضحاك، المبارك، الحامد، الحماد، الجواد، الكريم، الحكيم، العليم، الحليم، المؤيد، المختار، المصطفى، المخلص، الهدى، المعصوم، الوجيه، الوسيلة، العفو، الصفوح، العطوف، الهادي، المقدس، البرهان، الحنيف، الخليل، الخليفة، المكين، الصفوة، الصادق، المصدق، صاحب الحوض المورود، صاحب المقام المحمود، صاحب اللواء، صاحب المعجزات، رسول الرحمة، نبي التوبة، إمام الخير، إمام

المتقين، إمام النبيين، أكرم الناس، خير البرية، خيرة الله، دار الحكمة، دليل الخيرات، رحمة العالمين، علم اليقين، العروة الوثقى، مدينة العلم، هدية الله، عبد الكريم ﷺ.

وعن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد الحميد، وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القهار، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحيتان عبد القدوس، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وفي التوراة موزموز وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد ﷺ. وكنيته أبو القاسم لأنه يقسم الجنة بين أهلها ﷺ.

ثانياً: في كمال خلقته وجمال صورته ﷺ:

اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى قد جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يخلق آدمي مثل خلقه. قال البوصيري:

فَهُوَ الَّذِي نَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئَ النَّسَمِ
مُنَزَّةً عَنِ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

قال القرطبي: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ. (فأما وجهه الشريف) ﷺ فقد روى الشيخان عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ. (رواه الترمذي وغيره).

وسئل البراء أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ. (رواه البخاري). وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة، وقال له رجل: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَكَانَ

مُستديراً. وعن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان (أي مقمرة) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو في عيني أحسن من القمر. وروى الترمذي وغيره عن علي رضي الله عنه ﷺ قال: لم يكن بالمطهم ولا المكلم، وكان في وجهه تدوير، والمطهم الكثير السمن، والمكلم المدور الوجه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل. وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أسيلَ الحَدَّيْنِ. والخذ الأسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة.

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وكنا نعرف ذلك منه. وقالت عائشة: كان ﷺ إذا سُرَّ تَبَرَّقَ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ. وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت إلينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة القمر، فهذا محمول على صفته عند الالتفات. وعن أبي بكر الصديق وكعب بن مالك كان وجه رسول الله ﷺ كأنه دارة القمر. وروى البيهقي عن أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من همدان قالت: حججت مع النبي ﷺ، فقلت لها: شبيهه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله. وروى الدارمي وغيره عن أبي عبيدة قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ، قالت: لو رأيته قلت الشمس طالعة.

وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله ﷺ، فقال: كان أبيض مليح الوجه، وكان عليه الصلاة والسلام إذا سر فكأن وجهه المرأة، وكأن الجدر ترى في وجهه. وفي حديث ابن أبي هالة يتلألاً وجهه تَلَأَلُوا القمر ليلة البدر،

(وأما بصره الشريف) ﷺ، فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17/53]. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "هَلْ تَرَوْنَ قَبْلَتِي هَهُنَا؟ فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ، إِنِّي لِأَرَاكُمْ مِنْ وِرَاءِ ظَهْرِي". (رواه البخاري ومسلم). وعند مسلم من رواية أنس أنه ﷺ قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي".

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَأَكَ مِنْ تَقْوَمٍ ۖ ۚ﴾ [218-219/26] قال: كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه. وذكر القاضي عياض في الشفاء أنه ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجماً. وعند السهيلي اثني عشر. وفي حديث ابن أبي هالة: "وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره ﷺ إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ. وعن علي رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة. (رواه البيهقي).

وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين سهل القدمين. (رواه مسلم). والشكلة الحمرة تكون في بياض العين، وهو محمود محبوب، وأما الشهلة فإنها حمرة في سوادها. وعند الترمذي من حديث علي رضي الله عنه لما نعت رسول الله ﷺ قال: كَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أبيض مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، وهي شعر العين.

وعنده أيضاً عن علي قال: كان رسول ﷺ أسودَ الحَدَقَةِ أهدبَ الأشفار. وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فرآني حَبْرٌ من أخبار اليهود فقال لي: صِفْ أبا القاسم. فقلت: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير... (الحديث)، وفيه قال علي: ثم سكت، فقال الحبر: في عينيه حمرة، حسن اللحية، فقال علي: هذه والله صفته. قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي، وأنا أشهد أنه نبي، وأنه رسول الله إلى الناس كافةً.

(وأما سمعه الشريف) فقد قال ﷺ: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن تئط؛ ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى". (رواه الترمذي عن أبي ذر). وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيظ السماء وما تلام أن تئط؛ ما فيها موضع شبرٍ إلا وعليه ملك ساجد أو قائم". والأطيظ الصوت.

(وأما جبينه الكريم) فقد كان ﷺ واضح الجبين مقرون الحاجبين، بهذا وصفه علي فقال: مقرون الحاجبين، صلت الجبين (أي واضحه)، وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله ﷺ فإذا رجُلٌ حَسَنَ الْجِسْمِ عَظِيمِ الْجَبْهَةِ دَقِيقِ الْحَاجِبِينَ. وقال ابن أبي هالة: أزج الحواجب، وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر، ثم قال: سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب.

وعن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا بن الطاهرة البكر البتول، إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آيةً للعالمين، فيأي فاعبد وعلي فتوكل، فسر لأهل سوران إني أنا الله الحي القيوم لا أزول، صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهرافة، الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج الأنجل العينين، الأقنى الأنف، الواضح الخدين، الكث اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كأن عنقه إبريق فضة... (الحديث). والنجل الواسع شق العين. والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين.

قال ابن الأثير: والصحيح في صفته ﷺ أن حواجه سوابغ من غير قرن كما وصف ﷺ. والقنى في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حذب قليل في وسطه. وقد وصفه ﷺ ابن أبي هالة وغيره بأنه كان عَظِيمَ الْهَامَةِ أي الرأس. وقال علي كرم الله وجهه: ضَخْمَ الرَّأْسِ. وقال أنس: كان عليه الصلاة والسلام ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ، وهي رؤوس العظام، وقال في رواية الترمذي: جليل المشاش والكتد، وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين أي عظيمها. والكتد مجتمع الكتفين.

وكان عليه الصلاة والسلام دَقِيقَ الْعَرْنِينَ أي أعلى الأنف كما وصفه به علي ﷺ، ووصفه أيضاً بأقنى الأنف، وفسر بالسائل المرتفع الوسط. وقال ابن أبي هالة: أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم. والأشم الطويل قصبة الأنف.

(وأما فمه الشريف) فعن جابر أنه ﷺ كان ضَلِيعَ الْفَمِ. وقال ابن أبي هالة: يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه، يعني لسعة فمه، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم. ووصفه ابن أبي هالة فقال: أَشْنَبُ مُفْلَجِ الْأَسْنَانِ. وَالشَّنْبُ رونق

الأسنان وماؤها، ومفلج الأسنان أي متفرقها. وقال علي: مبلج الثنايا، وفي رواية عنه: راق الثنايا. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه. (رواه الترمذي). وعن أبي قرصافة قال: بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي: يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فيه.

(وأما ريقه الشريف) ﷺ ففي الصحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.

ومج ﷺ في بئر ففاح منها رائحة المسك، وبصق في بئر في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها. وكان ﷺ يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة رضي الله عنها فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات: "لا ترضعنهم إلى الليل"، فكان ريقه ﷺ يجزيهم. (رواه البيهقي). ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس، فوجدنه يأكل قديداً، فمضغ لهن قديداً فمضغنهن كل واحدة قطعة، فلقين الله وما وجد لأفواههن خلوف. (رواه الطبراني)، والخلوف تغير رائحة الفم. ومسح ﷺ بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم أطيّب منه رائحة. وأعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظمأه فمصه حتى روي.

(وأما فصاحة لسانه) ﷺ فكان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً، حتى كأن كلامه يأخذ بالقلوب، قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان ﷺ يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه، وكان يقول: أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ.

وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: "كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظنيها". (رواه

أبو نعيم). وعن علي رضي الله عنه قال: قلنا: يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره؟ فقال: "إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد بن بكر". وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك. قال: "أدبني ربي ونشأت في بني سعد". وأما ما يروى أنا أفصح من نطق بالضاد، فقال ابن كثير: لا أصل له لكن معناه صحيح.

ثالثاً: فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية رضي الله عنه:

كان رضي الله عنه يقول: "اللهم كما أحسنت خلقي فحسن خلقي"، أخرجه أحمد وغيره. وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح، "وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت". ولما اجتمع فيه رضي الله عنه من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد. أثنى الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه الكريم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: 14/68]. وحسن الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، وإنما كان خلقه رضي الله عنه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه. قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى بعثني بتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال" (رواه الطبراني)، وفي رواية مالك رضي الله عنه في الموطأ "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه رضي الله عنه القرآن. فكما أن معاني القرآن لا تتناهى كذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى؛ إذ في كل حالة من أحواله رضي الله عنه يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلا الله تعالى، إذ حصر جزئيات أخلاقه الجميلة ليس من مقدور الإنسان. وقد كان رضي الله عنه مجبولاً على الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية، لم يحصل له ذلك بريضة نفس، بل بجود إلهي. ولهذا لم تزل تشرق أنوار المعارف في قلبه حتى وصل إلى الغاية العليا والمقام الأسنى، وأصل هذه الخصال الحميدة كمال العقل؛ لأنه به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل. وهو أمر روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية. وقد كان رضي الله عنه من كمال العقل

في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه. قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ، إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا. وأن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً. (رواه أبو نعيم) في الحلية وابن عساكر. وفي عوارف المعارف عن بعضهم: اللب والعقل مئة جزء؛ تسعة وتسعون في النبي ﷺ، وجزء في سائر المؤمنين. ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد مع الطبع المتنافر المتباعد، وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم، واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم، من غير ممارسة سبقت لهم ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين، تحقق أنه أعقل العالمين ﷺ.

ولما كان عقله عليه والصلاة والسلام أوسع العقول، لا جرم، اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء. فمن ذلك اتساع خلقه العظيم ﷺ في الحلم والعفو مع القدرة، وصبره عليه الصلاة والسلام على ما يكره. وحسبك صبره وعفوه عليه الصلاة والسلام عن الكافرين به المقاتلين له المحاربين له في أشد ما نالوه منه من الجراح والجهد، بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف، حتى شق ذلك على أصحابه شديداً وقالوا: لو دعوت عليهم. فقال: إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وفي رواية: اهد قومي.

وقد وقع له ﷺ أنه غضب لأسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كان في أمر الله سبحانه وتعالى، فصبره وعفوه إنما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة. وقد روى الحاكم وغيره عن زيد بن سحنة، وهو أجل أحبار اليهود الذين أسلموا، أنه قال: لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه؛ يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلاًماً. فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن. فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه

وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضييني يا محمد حقي، فوالله إنكم - يا بني عبد المطلب - مطل؟! فقال عمر: أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟! فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتوعدة وتبسم.

ثم قال: "أنا وهو كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي. اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مَكَانَ مَا رَعْتَهُ". ففعل. فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما فقد اخترتهما. أشهدك أنني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً. وروى البخاري عن أنس قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة. فنظرت إلى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَه بِعَطَاءٍ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مَتَفَحِشًا وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ". وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهْ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدُتِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ". (رواه البخاري) قال ابن بطال: هذا الرجل هو عيينة بن حصن الفزاري، وكان يقال له: الأحمق المطاع. (رواه البخاري) وورد عن عائشة أيضاً مثل هذه القصة مع مخزومة بن نوفل، قال القاضي عياض: لم يكن عيينة - والله أعلم - حينئذ أسلم، وقد كان منه في حياة النبي ﷺ وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه. وما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر اسمه؛ أي بصريحه. وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله. ولا سئل شيئاً قط فمنعه، إلا أن يسأل مأثماً. وما انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمت الله، فيكون لله ينتقم. (رواه الحاكم).

ومما روي من اتساع خلقه وحلمه ﷺ اتساع خلقه للمنافقين الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ويتملقون له إذا حضر. وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية. وكان عليه الصلاة والسلام، كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم باباً من الرحمة. ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره، وعفا عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح. ومن اتساع خلقه ﷺ تواضعه وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه. وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام أن خير ربه تعالى بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختر أن يكون نبياً عبداً. فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع. فلم يأكل متكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله" (رواه الترمذي).

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه كان لا ينهر خادماً. قال أنس رضي الله عنه: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء صنعت: لم صنعت؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟" وكذلك كان ﷺ مع عبيده وإمائه، ما ضرب منهم أحداً قط. وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية لولا التأييدات الربانية. وفي رواية مسلم: ما رأيت أحداً أرحم للعيال من رسول الله ﷺ. وقالت عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله تعالى فينتقم لله" (رواه مسلم).

وسئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: ألبين الناس بساماً ضحاكاً، لم ير قط ماداً رجله بين أصحابه. وعنّها: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الأصحاب إلا قال لبيك. وروى عنها الإمام أحمد وغيره: كان ﷺ يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويرفع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. وهذا يتعين حملة على أوقات؛ فإنه ثبت أنه كان له خدم، فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة، وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه. وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف. (رواه الترمذي).

وعن قيس بن سعد رضي الله عنه، قال: زارنا رسول الله ﷺ، فلما أراد الانصراف قرب إليه سعد حماراً وطأ عليه بقטיפه، وركب عليه الصلاة والسلام، ثم قال سعد: يا قيس اصحب رسول الله ﷺ. قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ: اركب. فأبيت. فقال: إما أن تركب، وإما أن تنصرف. وفي رواية: اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها. رواه أبو داود وغيره. وأردف ﷺ بعض نسائه وأردف معاذ بن جبل وأردف أسامة بن زيد. ولما قدم ﷺ مكة استقبله أغلمة بني عبد المطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه.

وذكر الطبري في مختصر السيرة النبوية أنه ﷺ ركب حماراً عرياً إلى قباء، وأبو هريرة معه، قال: يا أبا هريرة، أحملك؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، قال: اركب. فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله ﷺ فوقعا معاً، ثم ركب رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أبا هريرة، أحملك؟ فقال: ما شئت يا رسول الله. فقال: اركب. فلم يقدر أبو هريرة على ذلك. فتعلق برسول الله ﷺ، فوقعا جميعاً. ثم قال: يا أبا هريرة أحملك؟ فقال: لا والذي بعثك بالحق، لا رميتك ثالثاً. وذكر المحب الطبري أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل: يا رسول الله، علي ذبحها. وقال آخر: يا رسول الله علي سلخها. وقال آخر: يا رسول الله علي طبخها. فقال رسول الله ﷺ: وعلي جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل. فقال ﷺ: قَدْ عَلِمْتُ أَنْكُمْ تَكْفُونِي، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أْتَمِيزَ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمِيزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

وعن أبي قتادة، وقد وفد وفد النجاشي، فقام ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك. قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم. وجاءته ﷺ امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: إن لي إليك حاجة. فقال: اجلسي في أي سلك المدينة شئت اجلس إليك، حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها. وقال عبد الله ابن أبي الحمساء: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه، فنسيت، فذكرت بعد ثلاث، وإذا هو في مكانه. فقال: لَقَدْ شَقَقْتُ عَلَيَّ أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِ أَنْتَظِرُكَ. (رواه أبو داود).

وقال ابن أبي أوفى: كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة. (رواه النسائي) وفي رواية البخاري: إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتطلق به حيث شاءت. وفي رواية أحمد: فتنتطلق به في حاجتها. ودخل الحسن وهو ﷺ يصلي قد سجد فركب على ظهره فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن. فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله، لقد أطلت سجودك. قال إنَّ ابني ارتحلني فكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ أَيَّ جَعَلَنِي كَالرَّاحِلَةِ فَرَكِبَ عَلَيَّ ظَهْرِي، وكان عليه الصلاة والسلام يعود المرضى ويشهد الجنائز. وحج عليه الصلاة والسلام على رحل رث، وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم. فقال: اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة.

وكان إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه فربما جاؤوه بالغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم وغيره، وكان عليه الصلاة والسلام حسن العشرة مع أزواجه، وكان ينام معهن. قال النووي: وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه، مع مواظبته ﷺ على قيام الليل، فینام مع إحداهن، فإذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها، فيجمع بين وظيفته وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يسرب إلى عائشة رضي الله عنها بنات الأنصار يلعبن معها. (رواه الشيخان) وإذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب. (رواه مسلم) وإذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه اللحم - أخذه فوضع فمه على موضع فمها. (رواه مسلم أيضاً) وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم. (رواه الشيخان) وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه. (رواه البخاري). وروي أنه ﷺ سابقها فسبقتها، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها. وقال هذه بتلك. وعن أنس بن مالك أنهم كانوا يوماً عند رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها إذ أتى بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة، فوضعت بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: ضعوا أيديكم. فوضع نبي الله ﷺ ووضعنا أيدينا فأكلنا، وعائشة تصنع طعاماً عجولته، وقد رأت الصحفة التي أتى بها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعت ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها، فقال رسول الله ﷺ: كلوا

بسم الله، غارت أمكم. ثم أعطى صحفتها أم سلمة وقال: طعام مكان طعام وإناء مكان إناء. (رواه الطبراني وغيره).

وبالجملة؛ فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيامى والأرامل والأضياف والمساكين علم أنه ﷺ قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مدى وراءها لمخلوق، وأنه كان يشدد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق إلى غير ذلك.

وقد كان ﷺ يباسط أصحابه، وكان رجل يسمى زهيراً يهادي النبي ﷺ بموجود البادية بما يستطرف منها، وكان ﷺ يهاديه ويكافيه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها، وكان ﷺ يقول: زهير باديتنا ونحن حاضرته. وكان ﷺ يحبه فمشى ﷺ يوماً إلى السوق فوجده قائماً، فجاءه من قبل ظهره وضمه بيديه إلى صدره، فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته. فجعل رسول الله ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ قال له زهير: يا رسول الله إذا تجدني كاسداً. فقال له ﷺ: أنت عند الله غال.

وعن زيد بن أسلم أن رجلاً كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي ﷺ، وقال: أعط هذا حق متاعه، فما يزيد النبي ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطى، وكان عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقاً. كما روى أبو هريرة. وقد قال له رجل كان فيه بله: يا رسول الله احملني. فقال: أحملك على ابن الناقة. فقال: وما عسى يغني عني ابن الناقة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك وهل يلد الجمل إلا الناقة؟! (رواه الترمذي). وروى الترمذي عن الحسن أته ﷺ عجوز فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة. فقال: يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز. قال فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: 35-36].

وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحدثهم ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره. وعن أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً. وقال أنس:

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير. وكان له نغر يلعب به فمات. فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير. (رواه البخاري ومسلم).

والنغير تصغير نغر طائر صغير كالعصفور. ومج مجة من ماء في وجه محمود بن الربيع وهو ابن خمس سنين يمازحه بها. ودخلت عليه ربيته زينب بنت أم سلمة وهو في مغتسله، فنفخ الماء في وجهها، فكان ماء الشباب ثابتاً في وجهها زاهراً في رونقها وهي عجوز كبيرة، وكان قد ألقى عليه ﷺ مع الدعابة المهابة. ولقد جاء إليه ﷺ رجل فقام بين يديه فأخذه رعدة شديدة ومهابة، فقال له: هون عليك فإني لست بملك ولا جبار، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة. فنطق الرجل بحاجته، فقام ﷺ فقال: يا أيها الناس إني أوحى إلي أن تواضعوا. ألا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد، وكونوا عباد الله إخواناً. ولما رآته عليه الصلاة والسلام قيلة بنت مخزومة في المسجد وهو قاعد القرفصاء أرعدت من الفرق؛ أي الخوف. (رواه أبو داود).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: صحبت رسول الله ﷺ وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيماً له. ولو قيل لي صفه لما قدرت، وقد كانت مجالسه ﷺ مع أصحابه ﷺ مجالس تذكير بالله سبحانه وتعالى وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر. فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. روى أحمد وغيره عن أبي هريرة، قال: قلنا: يا رسول الله، ما لنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة، فإذا خرجنا من عندك عافسنا أهلنا وشمنا أولادنا وأنكرنا أنفسنا؟ فقال ﷺ: لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَلِكَ لَزَارَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ. وقوله عافسنا أي جامعنا أهلنا ولاعبناهم. ومن تواضعه ﷺ أنه ما عاب ذواقاً قط ولا عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. (رواه الشيخان) هذا إن كان الطعام مباحاً، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه.

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام أنه لم يكن له بواب راتب.
وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً. فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.

(وأما حياؤه) ﷺ؛ فحسبك ما في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها. وقال القاضي عياض: روي عنه ﷺ أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد. والحياء - كما قال عليه الصلاة والسلام - لا يأتي إلا بخير، وهو من الإيمان كما رواه البخاري.

(وأما خوفه) ﷺ من ربه جل وعلا، فقد قال ﷺ: "أَنَا أَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً". وقال عليه الصلاة والسلام: "إِنِّي لِأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً". (رواه البخاري) وروى أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً".

وكان ﷺ يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. رواه النسائي وغيره. والمرجل القدر وأزیزها غليانها.

(وأما ما روي عن شجاعته وقوته ونجدته) ﷺ فعن أنس رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس. لقد فرغ أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم راكباً فرساً لأبي طلحة عري، والسيف في عنقه، وهو يقول: لن تراعوا (رواه البخاري) وغيره وفي رواية له: فرغ أهل المدينة مرة فركب النبي ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف. فلما رجع قال: وجدنا فرسكم هذا بحراً. فكان بعد لا يجارى. يقال قطف الفرس في مشيه إذا تضايق خطوه والبحر الواسع الجري.

وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله ﷺ. وذكر ابن إسحاق في كتابه وغيره أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع. وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم. فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله ﷺ فقال له: يا ركانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ فقال له ركانة: يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك؟ قال: رأيت إن صرعتك أتؤمن بالله

ورسوله؟ قال: نعم يا محمد. فقال له: تهيأ للمصارعة. قال: تهيأت. فدنا رسول الله ﷺ فأخذه ثم صرعه. فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الإقالة والعود، ففعل به ثانياً وثالثاً، فوقف ركانة متعجباً، وقال: إن شأنك لعجيب. ورواه الحاكم في مستدرکه عن أبي جعفر محمد بن ركانة المصارع.

وقد صارع ﷺ جماعة غير ركانة منهم أبو الأسود الجمحي، كما قاله السهيلي ورواه البيهقي، وكان شديداً بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب أطرافه عشرة لينزعه من تحت قدميه فيتفري الجلد ولم يتزحزح عنه. فدعا رسول الله ﷺ إلى المصارعة، وقال: إن صرعتني آمنت بك. فصرعه رسول الله ﷺ، فلم يؤمن.

وفي البخاري من حديث البراء وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر. كان هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على المغانم فاستقبلنا بالسهام، وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها والنبي يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، لأنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة ليست بسريرة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب. وهو مع ذلك يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه. صلوات الله وسلامه عليه، وفي حديث علي كرم الله وجهه: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ.

(وأما سخاؤه وجوده) ﷺ فقد كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس. (رواه البخاري ومسلم). وما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه. فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. (رواه مسلم).

وروي أيضاً أن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي. قال ابن

شهاب أعطاه يوم حنين مئةً من الغنم ثم مئةً ثم مئةً. وفي مغازي المواقدي أن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءاً إبلاً ونعماً. فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي، وإنما أعطاه ذلك لأنه عليه والصلاة والسلام علم أن داءه لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان، فعالجه به حتى برأ من داء الكفر وأسلم. وكان علي كرم الله وجهه إذا وصف النبي ﷺ قال كان أجود الناس كفاً وأصدق الناس لهجة. وروي عن أنس مرفوعاً أنا أجودُ بني آدم. فهو ﷺ بلا ريب أجود الناس على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة.

قال جابر رضي الله عنه: " ما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن شيء فقال لا "، (رواه البخاري ومسلم) أي ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه. قال الحافظ بن حجر: إن كان عنده أعطاه إن كان العطاء سائغاً، وإلا سكت. كما قال ابن الحنفية: كان ﷺ إذا سئل فأراد أن يفعل، قال: نعم. وإذا لم يرد أن يفعل سكت.

وروى الترمذي أنه حمل إليه ﷺ تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها، فما رد سائلاً حتى فرغ منها. قال: وجاءه رجل فقال: ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ فإذا جاءنا شيءٌ فصّيناه. فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ ذلك. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقللاً. فتبسم رسول الله ﷺ وعرف البشر في وجهه، وقال: بهذا أمرت، وذكر ابن فارس في كتابه في أسماء النبي ﷺ أنه في يوم حنين جاءته امرأة وأنشدت شعراً تذكره أيام رضاعته في هوازن. فرد عليهم ما أخذ وأعطاهم عطاءً كثيراً، لم يعط قوماً ما أعطاهم ذلك اليوم. فكان خمس مئة ألف ألف. قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود والذي لم يسمع بمثله في الوجود.

وفي البخاري أتى ﷺ بمال من البحرين، فقال: انثروه، يعني صبوه في المسجد، وكان أكثر مالاً أتى به ﷺ. فخرج إلى المسجد ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه، إذ جاءه العباس فقال: أعطني فأعطاه ما استطاع حمله. فما قام عليه الصلاة والسلام وثمة منها درهم. وروى ابن أبي شيبه أنه كان مئة ألف أرسل به العلاء بن الحضرمي من خراج

البحرين، قال: وهو أول مال حمل إليه ﷺ، وسأيره جابر على جمل له، فقال له عليه الصلاة والسلام: بعني جملك. فقال: هو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: بل بعنيه. فباعه إياه. وأمر بلائاً أن ينقده ثمنه فنقده، ثم قال له ﷺ: اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما. مكافأة لقوله بل هو لك. فأعطاه الثمن، ورد عليه الجمل، وزاده الدعاء بالبركة فيهما. وحديثه في البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد كان جوده عليه الصلاة والسلام كله لله وفي ابتغاء مرضاته تعالى. فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج، وتارة ينفقه في سبيل الله تعالى، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه. وكان يؤثر على نفسه وأولاده؛ فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار. وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع.

وكان ﷺ قد أتاه سبي، فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤونة بيتها. فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد، وقال: لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع. وأتته امرأة ببردة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا فاكسنيها. فقال: نعم؟ فلما قام عليه الصلاة والسلام لأمه أصحابه قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه. (رواه البخاري)، وبالجملة فهو ﷺ في سائر صفات الكمال أفضل الخلق على الإطلاق وأكملهم في جميع أنواع مكارم الأخلاق.

رابعاً: في آيات تتضمن عظم قدره ورفعته ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته على الأنبياء وتشريف منزلته ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 2/253] قال المفسرون: يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة، وليس نصاً في اختصاص موسى بالكلام. وقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا أيضاً. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 2/253] يعني محمداً ﷺ رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه؛

بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات؛ لأنه عليه الصلاة والسلام أوتي من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله. قال الزمخشري: وفي هذا الإيهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشبهه والمتميز الذي لا يلتبس.

وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55/17] أن مراتب الرسل والأنبياء متفاوتة.

قال بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض: والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا، وذلك بثلاثة أحوال؛ أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر، أو تكون أمته أزكى وأكثر، أو يكون في ذاته أفضل وأظهر، وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته وتفضيله بكلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه.

فلا مرية أن آيات نبينا ﷺ ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى، ومنصبه أعلى ودولته أعظم وأوفر، وذاته أفضل وأطهر، وخصوصياته على جميع الأنبياء أشهر من أن تذكر. فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين.

وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهائها إليه وانفراده هناك بالسؤدد كما قال ﷺ: "أنا سيّد ولد آدم وأوّل من تُنشق عنه الأرض يوم القيامة" رواه ابن ماجه. وفي حديث أنس عند الترمذي: "أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربّي ولا فخر". قال الفخر الرازي في المعالم: إنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة، ثم قال لمحمد ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْدَرُهُ﴾ [الأنعام: 90/6]. وقد أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة؛ فقد اجتمع فيه ما كان مفرقاً فيهم، فيكون أفضل منهم، وإن دعوته عليه الصلاة والسلام وصلت إلى أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الأنبياء، فظهر أن انتفاع أهل الدنيا بدعوته ﷺ أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء، فوجب أن يكون أفضل من سائر الأنبياء. وقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي: آدم فمن سواه إلا تحت لوائي".

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وهذا يدل على أنه أفضل من آدم عليه السلام ومن كل أولاده.

ولم يقل ﷺ أنا سيد الناس عجباً وافتخاراً على من دونه، حاشاه من ذلك. وإنما قاله عليه الصلاة والسلام إظهاراً لنعمة الله تعالى عليه، وإعلاماً لأمة تقدر إمامها ومتبوعها عند الله تعالى وعلو منزلته لديه تعالى لتعرف نعمة الله عليهم وعليه فذلك فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58/10].

وقال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4/94] روى ابن خزيمة من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: "أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي" وذكره الطبراني وصححه ابن حبان. وقال يحيى بن آدم رفعه بالنبوة.

وعن ابن عطاء جعلتك ذكراً من ذكري، فمن ذكرك ذكروني. وعنه أيضاً جعلت تمام الإيمان بذكرك معي.

قال البيضاوي: وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة، وجعل طاعته طاعته يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80/4] ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: 62/9]، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: 13/4] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: 46/8] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 3/132] وقال قتادة: ورفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القرآن والخطب والأذان ويؤذن باسمه في موقف القيامة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لَمَّا نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْهِنْدِ اسْتَوْحَشَ فَتَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَنادى بِالْأَذَانِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ. والحديث، وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها. (رواه ابن عساكر). وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعاً: "لَمَّا عُرِّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ

ما مَرَزْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا؛ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ". وفي الحلية عن ابن عباس عن النبي ﷺ: "مَا فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ". وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
وسماه من أسمائه الحسنی بنحو سبعین اسماً. وصلى عليه وملائكته، وأمر
المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56/33] فأخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في
الملا الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر العالم
السفلي بالصلاة والتسليم عليه، فيجتمع الثناء عليه من الله وأهل العالمين العلوي
والسفلي جميعاً. وغير ذلك من وجوه رفعة ذكره ﷺ.

وقال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: 20-1-2] ذكروا في
سبب نزولها أقوالاً؛ أحدها أن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا
لرسول الله ﷺ: إنك تشقى حيث تركت دين آبائك، فقال ﷺ: بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً
للعالمين. وأنزل الله هذه الآية رداً عليهم وتعريفاً له ﷺ بأن دين الإسلام والقرآن هو
السلم إلى نيل كل فوز، والسبب في إدراك كل سعادة. وما فيه الكفرة هو الشقاوة
بعينها.

وثانيها أنه ﷺ صلى بالليل حتى تورمت قدماه، فقال له جبريل عليه الصلاة
والسلام: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا. أي ما أنزلناه عليك لتنهك نفسك
بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة. ومعنى طه يا رجل
قاله ابن عباس وغيره. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1/108]
قال الإمام فخر الدين الرازي: في هذه السورة كثير من الفوائد؛ منها أنها كالمتممة
لما قبلها من السور، وذلك لأنه تعالى جعل سورة الضحى في مدح نبينا ﷺ
وتفصيل أحواله، فذكر في أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته وهي قوله: ﴿مَا دَعَاكَ رَبُّكَ
وَمَا قَالَ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: 3/93-
5] ثم ختمها كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ
يَتِيمًا فَتَوَّأى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 6-8] أي

عن علم الحكم والأحكام [الضحى: 7-8] ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة أشياء، وهي «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» [الشرح: 1/94] أي ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق «وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ» [الشرح: 2/94] أي عناؤك الثقيل «الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» [الشرح: 3-4/94] هكذا سورة سورة حتى قال: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» [الكوثر: 1/108] أي أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي تأتي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافرها. وإذ أنعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم.

ثم إن الاشتغال بالعبادة إما أن يكون بالنفس، وهو قوله: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ» [الكوثر: 2/108]. وإما بالمال وهو قوله: «وَأَنْحَرْ» [الكوثر: 2/108]. وتأمل قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ» [الكوثر: 1/108] كيف ذكره بلفظ الماضي. ولم يقل سنعطيك ليدل على أن هذا الإعطاء حصل في الزمان الماضي قال عليه الصلاة والسلام: "كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ". ولا شك أن من كان في الزمان الماضي عزيزاً مرعي الجانب أشرف ممن سيصير كذلك. كأنه سبحانه وتعالى يقول: يا محمد، قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود، فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا؟! يا أيها العبد الكريم إنا لم نعطك هذا الفضل العظيم لأجل طاعتك، وإنما اخترناك بمجرد فضلنا وإحساننا من غير موجب.

واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه، منها أنه نهر في الجنة، وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف، روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوف". قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر" (رواه البخاري). وفي صحيح مسلم من حديث أنس: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما يضحك منك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آتفاً سورة فقرأ «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾» [الكوثر: 1-3/108] ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعذنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أممي يوم القيامة آيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم فأقول: ربي إنه من

أُمَّتِي، فيقول: ما تدري ما أحدثَ بعدك؟" وهو تفسير صريح منه ﷺ بأن المراد بالكوثر هنا الحوض. فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه ما أفاضه عليه من نعمه الجسيمة.

وقد جرت عادة الله مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أن يناديهم بأسمائهم الأعلام نحو ﴿يَتَذَكَّرُ أَسْكَنُ﴾ [البقرة: 35/2، الأعراف: 19/7] ﴿يَنْوُحُ أَهْبَطُ﴾ [هود: 11/48] ﴿يَمُوسَىٰ إِيَّتِ أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: 30/28] ﴿يَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: 110/5]. وأما نبينا محمد ﷺ فناداه بالوصف الشريف من الإنباء والإرسال فقال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول. لله در القائل:

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا عبده بأفضل ما أوجد لهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا آخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه.

وانظر ما في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30/2] فكاف (ربك) خاصة بالنبي ﷺ، وفي ذلك من تنبيهه على شرفه، واختصاصه بالمخاطبة ﷺ. وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وعظيم قدره وعلو منصبه ورفعته ذكره ﷺ ما يقضي بأنه استولى على أقصى درجات التكريم. ويكفي إخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر الإذن الذي منحه إياه في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: 43/9] وتقديم ذكره على الأنبياء تعظيماً له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7/33] وإخباره تعالى بتمني أهل النار طاعته ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 66/33] وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد.

خامساً: في آيات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [النساء: 59/4، ومحمد: 33/47] وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132/3] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32/3] قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله، وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزييل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80/4] يعني من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: 80/4] فإن من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فإن أحداً من خلق الله لا يقدر على إرشاده، وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم في جميع الأوامر والنواهي، وفي كل ما يبلغه عن الله؛ لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة لله تعالى. وأيضاً وجب أن يكون معصوماً في جميع أفعاله؛ لأنه تعالى أمر باتباعه في قوله: ﴿وَأَتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: 158/7] والاتباع هو عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير. فثبت أن الانقياد له في جميع أقواله وأفعاله فيما خصه الله به طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69/4] الآية. والطاعة في هذه الآية خاصة بأصحاب رسول الله ومن بعدهم. وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه. فأتاه يوماً، وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله، فقال: يا رسول الله ما بي وجعٌ غيرَ أني إذا لم أركُ اشتقتك واستوحشتُ وحشةً عظيمةً حتى ألقاك، فذكرتُ الآخرةَ بحيث لا أراك هناك لأنني إن دخلتُ الجنةَ فأنت تكونُ في درجاتِ النبيين (وإن أنا لم أدخل الجنة) فحيثُ لا أراك أبداً فنزلت هذه الآية.

وذكر ابن أبي حاتم عن مسروق قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك. فإنك لو قد مُتْ لرفعت فوقنا ولم نرك فأنزل الله الآية. وذكر عن

عكرمة مرسلًا قال: أتى فتى للنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إن لنا منك نظرةً في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك، فإنك في الجنة في الدرجات العلى، فأنزل الله هذه الآية، فقال له رسول الله ﷺ: أنتَ معي في الجنة. قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات إلا أن سبب نزول هذه الآية يجب أن يكون شيئاً أعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها. فإننا نعلم أن خصوص السبب لا يقدر في عموم اللفظ، فهذه الآية عامة في حق جميع المكلفين، وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية في المراتب الشريفة عنده تعالى، وقد ثبت وصح عنه ﷺ أنه قال: "المرء مع من أحب". وثبت عنه أيضاً عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا نزلتهم منزلاً إلا هم معكم حبسهم العذر".

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31/3] وهذه الآية الشريفة تسمى آية المحبة. قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله هذه الآية إشارةً إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها؛ فدليلها وعلامتها اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة، فلا محبة لكم حاصلة ومحبه لكم منتفية، ويستحيل ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله ﷺ، فدل على أن متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره. ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ومتى كان شيء عنده أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة، وليس له أن يطمع في هداية الله له، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفِكَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24/9].

فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم، أو رجاءه أو التوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله، فهو من الذين لا يقدمون حب الله ورسوله على

ما سواهما. وإن قال بلسانه فهو كذب منه وإخبار بما ليس هو عليه. وقال تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158/7] أي إلى الصراط المستقيم، فجعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين بالإيمان بالرسول واتباعه عليه الصلاة والسلام.

وقال تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: 8/64] يعني القرآن. فالإيمان به ﷺ واجب متعين على كل أحد. لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65/4] الآية معناها فوربك و(لا) (زائدة للتأكيد لمعنى القسم)، ولا يؤمنون جواب القسم؛ أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع أموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهراً وباطناً، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءه أو يخالفها. كما ورد في الحديث "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ لا يكون مؤمناً، وعلى أنه لا بد من حصول الرضا بحكمه في القلب، وذلك بأن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق، فلا بد من الانقياد له ﷺ باطناً وظاهراً.

سادساً: فيما يتضمن الأدب معه ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1/49] قال مجاهد: لا تتقدموا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه. وانظر أدب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة (كيف تأخر عن الإمامة لما قدم رسول الله ﷺ، وقوله: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ، وكيف أورثه الله مقامه والإمامة بعده). وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون رسول الله ﷺ، وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى.

فمن الأدب ألا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك في هذه الآية. وهذا باق إلى يوم القيامة لم

ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته، لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم. ومن الأدب معه ﷺ ألا ترفع الأصوات فوق صوته كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: 2/49] قال الرازي أفاد أنه ينبغي ألا يتكلم المرء عنده ﷺ إلا كما يتكلم العبد عند سيده أي يكون صوته دون صوته. وإذا كان رفع الأصوات فوق صوته ﷺ موجباً لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ﷺ؟!.

وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار، أي الكلام الخفي الذي يراد كتمه. وأن عمر رضي الله عنه كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي ﷺ حديثه بعد هذه الآية حتى يستفهمه. وروي أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله عز وجل أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2/49] ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3/49] وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4/49] وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً فاستكان لها أبو جعفر.

ومن الأدب معه ﷺ ألا نجعل دعاءه كدعاء بعضنا بعضاً قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: 63/24] وفيه قولان للمفسرين؛ أحدهما: لا تدعوه باسمه، كما يدعو بعضكم بعضاً، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، مع التوقير والتواضع. الثاني: أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً، إن شاء المدعو أجاب وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة.

ومن الأدب معه ﷺ أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهباً في حاجة له حتى يستأذنه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾
 [النور: 62/24] ومن الأدب معه ﷺ أنه لا يستشكل قوله، بل تستشكل الآراء بقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف تسميه أصحابه معقولاً، ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجرأة عليه ﷺ.

ورأس الأدب معه ﷺ كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل على أن يقدم عليه آراء الرجال فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد للرسول كما وحد المرسل بالعبادة، فهما توحيدان لا نجاة إلا بهما. والقرآن مملوء بالآيات المرشدة إلى الأدب معه ﷺ.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾

[الأحزاب: 33/33]

سيدنا حمزة بن عبد المطلب ❖ (... - 3هـ)

هو البطل الضرغام. أسد الله وأسد رسوله. وسيد الشهداء والأبطال القرشي الهاشمي البدري سيدنا حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكنيته أبو عمارة القرشي. عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب مع أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وكان سيدنا حمزة رضي الله عنه أسن من النبي ﷺ بسنتين وقيل بأربع. أمه (وأم صفية بنت عبد المطلب) هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي بنت عم السيدة آمنة أم النبي ﷺ.

وكان له من الأبناء: يعلى، عمارة، عمرو، عامر. ومن البنات: أم الفضل، أمامة، ولا عقب له.

كان رضي الله عنه شجاعاً كريماً سمحاً أشد فتى في قريش وأعزهم شيمة.

سبب إسلامه رضي الله عنه:

أنه بلغه مقولة أبي جهل في رسول الله ﷺ فدخل المسجد غاضباً فضرب رأس

* انظر صفة الصفوة (حمزة بن عبد المطلب) لابن الجوزي.

أبي جهل بالقوس ضربة شج رأسه بها وأعلن إسلامه في ذلك الموقف وعلى مسمع من قريش. فذهب إلى الرسول ﷺ، وقال له: يا ابن أخي أظهر دينك والله ما أختار أن لي ما أظلت الغبراء وأنا على دين قومي، فعز به رسول الله ﷺ والمسلمون، وكف المشركون عن بعض ما كانوا ينالون منهم، وذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دخول الرسول ﷺ دار الأرقم.

هاجر ﷺ إلى المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ. وأخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة.

وقال يزيد بن رومان: أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة المنورة لحمزة، وذلك حين بعثه إلى سيف البحر في (30) راكباً من المهاجرين، فلقني أبا جهل بالساحل من أرض جهينة في (300) راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ولم يكن قتال. وذلك في السنة الثالثة من الهجرة.

يوم بدر:

شهد بدرًا، وهو معلم بريشة نعامة وأبلى فيها بلاءً عظيمًا. وقاتل ﷺ بسيفين بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ. وأباد صناديد الكفر وفعل بأهل الشرك الأفاعيل.

وعن سيدنا علي عليه السلام قال: لما كان يوم بدر، ودنا الناس منا إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: يا علي ناد لي حمزة. وكان أقربهم من المشركين. من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال.

قال: فبرز عتبة وشيبة والوليد فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار. فقال عتبة: لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا فقال رسول الله ﷺ: "قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبدة بن الحارث". فبارز حمزة عتبة فقتله، رواه الإمام أحمد.

يوم أحد:

وكان ﷺ في يوم أحد مثل الجمل الأورق⁽¹⁾ والأسد الضاري، يرصد المشركين بسيفه. وقتل واحداً وثلاثين رجلاً، كما قاله الإمام النووي رحمه الله.

وعشر عشرة وقع منها على ظهره ببطن الوادي عند جبل الرماة فانكشف الدرع عن بطنه، فرماه وحشي بن حرب بحربة، فأكرمه الله تعالى بالشهادة على يديه. يقول وحشي لجعفر بن عمرو الضمري: والله إني كنت أتهدأ له إذا تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال له: يا سباع، يا ابن أم أنمار، يا ابن مقطعة البظور، أتحارب الله ورسوله؟! ثم ضربه حمزة، والله لكان ما أخطأ رأسه، ما رأيت شيئاً قط كان أسرع من سقوط رأسه. فهزرت حربتي حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه ف وقعت في ثنته⁽²⁾ حتى خرجت بين رجله فوق، فذهب ينهض متثاقلاً فغلب. فتركته وإياها حتى إذا مات قمت إليه فأخذت حربتي ثم رجعت إلى المعسكر وكان ذلك آخر العهد به.

فلما فتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف. ولما خرج وفد الطائف ليسلموا، قال لي رجل: والله ما يقتل محمد أحدًا دخل في دينه. فخرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله ﷺ فقال لي: وحشي؟! قلت: نعم قال: "اجلس... اجلس... فحدثني كيف قتلت حمزة؟" فحدثته، فقال: "وَيْحَكَ عَيْبٌ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أُرَيْتَكَ" فكنت أمشي خلف رسول الله ﷺ حيث كان، لثلا يراني حتى قبضه الله.

استشهد أسد الله (سيدنا حمزة) في يوم السبت منتصف شوال سنة ثلاث من الهجرة عن سبع وخمسين سنة وقيل تسع وخمسين. ثم مثل به المشركون وبقرؤا بطنه.

وأخرجت هند بنت عتبة كبده في نذر نذرته حين قتل أباه يوم بدر فلاكتها ومضغتها، فلم تستطع أن تصيغها، فألقته من فيها، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك: "لَوْ دَخَلَ بَطْنُهَا لَا تَدْخُلُ النَّارَ لِأَنَّ حَمْزَةَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخَلَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِهِ النَّارَ".

(1) الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد.

(2) أسفل البطن إلى العانة.

ولما وقف الرسول ﷺ ورأى ما به من التمثيل لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع إلى قلبه منه. وغاظه ذلك وقال: "لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيظُ إِلَيَّ مِنْ هَذَا".

وقال: "لَوْ لَا تَجَزَعُ صَفِيَّةٌ وَنِسَاؤُهَا لَمْ أَدْفِنُهُ حَتَّى يَحْشُرَ مِنْ بُطُونِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيُورِ"؛ أي ليشد غضب الله على من فعل ذلك به.

وقال: "وَلَيْنَ ظَفَرَنِي اللَّهُ بِقُرَيْشٍ لَأَمْتَلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ". فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 16/126]. فقال الرسول ﷺ: "بل نَصِير". فكفر عن يمينه، وقال: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ فَعَوْلًا لِلْخَيْرِ وَصَوْلًا لِلرَّحِمِ".

كفن ﷺ في نمرة إذا خمر رأسه بدت رجلاه، وإذا خمرت رجلاه بدا رأسه ثم وضع في القبلة.

فقام الرسول ﷺ ووقف على جنازته فبكى وشهق حتى كاد يبلغ الغشي وهو يقول: "يا عمَّ رسولِ الله وأسدِّ الله وأسدِّ رسوله... يا حمزة...! يا فاعِلَ الخيرات... يا حمزة...! يا كاشِفَ الكُربات... يا حمزة... يا ذاباً عن وَجْهِ رسولِ الله".

وقال ﷺ: "جاءني جبريلُ وأخبرني أَنَّ حمزةَ مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ: حمزة بنُ عبدِ المُطلبِ أسدُ الله وأسدُّ رسوله".

وفي المستدرک للحاکم عن جابر مرفوعاً: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حمزة، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ".

وعن السدي في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ﴾ [الفصص: 28/61]، أنه نزل في حق سيدنا حمزة.

وأخرج السلفي عن بريد في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿27﴾ أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً رَهِيئَةً﴾ [الفجر: 28-27/89] (إنه حمزة ﷺ).

روي عن ابن عباس قال: سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبي ﷺ يسبه، فأخبر حمزة... الرواية (إلى أن قال): فأسلمت وقلت: أين رسول الله قالت (أي

أخت عمر): إنه في دار الأرقم فأتيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: مالكم؟ قالوا: عمر.

قال: وعمر! افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه. وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فتشهدت فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، قلت: يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال: "بلى" فقلت: ففيم الاختفاء. فخرجنا صفيين أنا في أحدهم وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله ﷺ (الفاروق) يومئذ، وفرق بين الحق والباطل.

دفن ﷺ بالربوة المشهورة. ويقال: إن معه في قبره عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وقيل شماس بن عثمان.
وقال كعب بن مالك بيكيه من قصيدة:

ولقد هددت لفقده حمزة هدة ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو أنه فجعت حواء بمثله لرأيت رأس صخرها يتهدد
قرم تمكن من ذؤابة هاشم حيث النبوة والندى والسؤدد
والعافر الكوم الجلال إذا غدت ربح يكاد الماء منها يجمد⁽¹⁾
والتارك القرن الكمي مجندلاً يوم الكريهة والقنا يتفصد⁽²⁾
وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراشن أريد⁽³⁾
عم النبي محمد وصفيه ورد الحمام فطاب ذاك المورد⁽⁴⁾
وفي المنية معلما في أسرة نصرروا النبي ومنهم المستشهد

(1) العافر الكوم: مغبر قطع الإبل بالتراب.

(2) القرن: سيد القوم، الكمي: لابس السلاح، المجندل: المثقل بالسلاح.

(3) يرفل: يتبخر، ذو لبدة: الأسد، شثن البراشن: خشن وغليظ الكف مع الأصابع، أريد: الأسد.

(4) الحمام: الاستشهاد.

فلما كان أيام معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عامله بالمدينة ألا يجري عيناً إلى أحد، فكتب إليه عامله: إنها لا تجري إلا على قبور الشهداء. فكتب إليه أن انبشوها، فأخرجوا الشهداء من القبور على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام حتى أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة فأنبعث دماً.

أم المؤمنين السيدة خديجة ❖ (... - 3 سنوات قبل الهجرة)

امرأة لن ينساها التاريخ الإسلامي ما بقيت الدنيا بأهلها، إنها السيدة التقية، والزوجة الوفية، عرفت في الجاهلية بالطاهرة العفيفة، ولقبت في الإسلام بأم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية.

ولدت في أواسط بيوت قريش شرفاً وعزاً وسؤدداً ومجداً. وكان مولدها قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة.

وعرفت بنجابة الرأي، والحزم والعقل، وحسن التصرف، ثم ورثت عن والدها خويلد بن أسد القرشي ثروة طائلة وتجارة دائرة.

كانت السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها محط أنظار الرجال، فالكل يرغب في الزواج منها، فهي الطاهرة، العفيفة، ذات المكانة والثروة.

وتم زواجها من أبي هالة بن زرارة التميمي وعاشت معه في نعمة وسكينة وأنجبت خلال ذلك هالة، وهنداً.

ثم مات أبو هالة، فتزوجت من عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي، فعاشت معه فترة من الزمان حتى افترقا، فتقدم لها الكثيرون من أشرف قريش ولكن أبت الزواج مرة جديدة، فقد أحبت التفرغ لتربية الأبناء.

وتمر الأيام وتسمع الطاهرة السيدة خديجة بنت خويلد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن صفاته الفاضلة التي عرف بها قبل البعثة النبوية.

* انظر سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد.

من الصدق والأمانة وكمال الأخلاق وعلو الهمة وكرم العشرة وحسن الصحبة، فأحبت أن تستأجره ليقود تجارتها. وحدث بالفعل. وقاد الرسول ﷺ تجارة السيدة خديجة وأحست بفضلها وعلو شأنه.

ومرت الأيام والتجارة تزداد نجاحاً بقيادة الصادق الأمين. وأعجبت السيدة خديجة بأمانة الرسول ﷺ وحسن قيادته للتجارة.

وتم الزواج بين الرسول ﷺ والطاهرة العفيفة التي تستحق أن توصف بأنها: (أوفى زوجة في الدنيا).

ملاحح الوفاء في حياة السيدة خديجة:

وليس ذلك بغريب على امرأة من أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً وعزاً.

ومع كل ذلك فقد تحملت ما لم يتحمّله الكثير من الرجال، وتحملت مصاعب الدعوة الإسلامية في بداياتها. ووضعت كل أموالها في نصرتها. وضربت أروع الأمثلة في البذل والعطاء والصبر والثبات في مواطن المحن والبلاء.

عندما نتعرف على شخصية أوفى امرأة عرفها التاريخ الإنساني نجد أنها شخصية مكتملة الملامح. فنسبها من أشرف أنساب العرب، أبوها هو خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي، وأمها هي فاطمة بنت زائدة بن جندب بن رواحة بن حجر القرشي.

كريمة عند أهلها، سخية على جيرانها، مصونة في شبابها، عاقلة في تديرها. تزوجها الرسول ﷺ ولها أربعون سنة، وله خمسة وعشرون سنة، فهي أسن بخمس عشرة سنة.

ومن أدل الدلائل على وفائها وتحملها لمتاعب الدعوة الإسلامية، والمصائب التي واجهت خاتم الأنبياء في بدء الدعوة، مع أنها كانت تحيي قبل الإسلام حياة الترف والدعة.

فالرجال يعملون لديها، وأموالها تدار في الشام واليمن، ومع كل ذلك فلما جاء جبريل عليه السلام إلى النبي في أول مرة وضمه إليه وطلب منه أن يقرأ بسم ربه، وعاد الرسول ﷺ إلى بيته. ماذا حدث بعد ذلك؟

لقد رجع النبي ﷺ إلى داره يرجف فؤاده، فدخل على السيدة خديجة رضي الله عنها فقالت "زملوني... زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الروح، وقص الأمر على السيدة خديجة قائلاً بعد ذلك: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي".

فقالت رضي الله عنها: "كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، أبشر، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، وتكسب المعدوم، وتقري الضعيف".

وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل. وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له السيدة خديجة: "يا بن عم، اسمع من ابن أخيك". فقال له ورقة: "يا بن أخي، ما ترى".

فأخبره الرسول ﷺ بما رأى وسمع. فقال له ورقة بن نوفل: "هذا التاموس الذي أنزل الله على موسى عليه الصلاة والسلام يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك".

فقال رسول الله ﷺ: "أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟".

قال: "نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي" (1).

فما أروع موقف الزوجة الوفية. لقد يسرت أمراً كان عسيراً وهونت موقفاً كان صعباً. أليست هي أوفى امرأة في التاريخ؟!

إنها بمواقفها العطرة، وأعمالها الحسنى، وكلماتها الجميلة جعلت اسمها مدوناً في سجل الطهر والعفاف، والهمة والإباء، والصبر والحمية. إباء الإيمان ضد الكفران وحمية الصبر والثبات أمام الشدائد.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3). (4953).

الوفاء المتبادل:

وظلت السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بسيرتها العطرة ملء الأسماع والأذهان، حتى بعد وفاتها، وظل الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وفيأ لها.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يتذكر السيدة خديجة، فيحسن الثناء عليها. فذكرها يوماً من الأيام، فأدركت الغيرة عائشة رضي الله عنها فقالت: وهل كانت إلا عجوزاً؟!... فقد أبدلك الله خيراً منها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أهتز مقدم شعره من الغضب. ثم قال: " لا والله ما أبدلني الله خيراً منها. آمَنتُ بي إذ كَفَرَ النَّاسُ. وصدَّقْتَنِي وكذَّبني النَّاسُ. وواسَتنِي في مالِها إذ حَرَمَنِي النَّاسُ. ورَزَقَنِي اللهُ مِنْها أولاداً إذ حَرَمَنِي أولاد النَّساء" ⁽¹⁾.

هذا هو ما تدعوننا إليه أوفى امرأة في تاريخ بني الإنسان. وعليه استحققت رضا الرحمن، والبشارة بالفوز بأعلى الجنان.

فهذا جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي إلى الأمين محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه طعام. أو شراب فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب" ⁽²⁾. فقالت السيدة خديجة رضي الله عنها: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فما أجل منزلة الصحابية الجليلة، أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد!

وما أعظم علمها وفهمها!

لقد علمت أن الله لا يرد السلام كما يرد على المخلوقين. لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وهو أيضاً دعاء بالسلامة.

فكأنها تقول: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يطلب ومنه يحصل؟!

(1) رواه أحمد 6/118.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3817). ومسلم (2435). والترمذي (3879) وابن ماجه (1997).

فيستفاد منه أنه لا يليق بالله تعالى إلا الثناء عليه، فجعلت مكان السلام عليه الثناء عليه، ثم غيرت بين ما يليق بالله تعالى. وما يليق بغيره.

فقالت: "وعلى جبريل السلام" ثم قالت: "وعليك السلام".

فمن تمام أدبها ردت السلام على من أرسله إليها، وعلى من بلغه إياه وما أجل هذا البيت الذي لا صخب فيه ولا نصب ولا صياح يحتاج إليه فيه ولا منازعة، بيت الطمأنينة والأمان، والهدوء والسلام.

وهكذا استحقت أوفى امرأة في البيت النبوي الثناء الجميل والسيرة العطرة في الدنيا، والنعيم العظيم في جنات الجليل في الدار الآخرة.

أبناء الطاهرة السيدة خديجة:

ومن فضائل أوفى النساء، ومكارمها أن الله تعالى رزق نبيه ﷺ منها الولد، ولم يرزق من غيرها مع كثرة زوجاته الطيبات.

فرزق خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام من خير النساء عدة من الأولاد القاسم وهو أكبر ولده وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وعبد الله. وكان يقال له الطيب والطاهر.

وكل أولاده ﷺ من أم المؤمنين خديجة إلا إبراهيم، وكانوا قبل الإسلام ما عدا عبد الله الذي كان في الإسلام. وكلهم ماتوا في حياته ﷺ ما عدا فاطمة رضي الله عنها التي كانت وفاتها بعده على خلاف في مدة ذلك ما بين شهرين إلى ستة أشهر.

تلك هي الذرية الطاهرة لأوفى امرأة في بيت النبوة. وهي زوجة من زوجات خاتم الأنبياء في جنات النعيم. وهي من سيدات نساء الجنة وأفضلهن.

القدوة والأسوة:

فهلا اقتدينا بسيدة نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد؟!!

وهلا اتصفنا بشيء من الوفاء لديننا؟!!

وهلا سعينا في نصره الإسلام كما سعت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها؟! يقول عليه الصلاة والسلام: "أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ" (1).

وبعد رحلة مليئة بصدق الإيمان والعزيمة على بلوغ كل ما يرضي الرحمن والصبر والثبات واحتساب الأجر والثواب عند رب الأرض والسموات، فارقت أوفى امرأة في البيت النبوي الدار الدنيا إلى الدار الآخرة لتلقى روحاً وريحاناً ورباً عنها راضياً.

فقد كان موعد صعود روحها إلى أعلى العليين قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت في الحجون بمكة المكرمة وكان عمرها خمساً وستين سنة (2).

فرضي الله عنها وأرضاها ولا حرمنا أجرها ولا فتننا من بعدها.

أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب (23 قبل الهجرة - 40هـ)

يلتقي سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبدالمطلب الجد الأدنى، فهو أقرب العشرة نسباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينسب إلى هاشم فيقال: القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه.

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (1/322-393). والحاكم (3/160-185) وصححه وأقره الذهبي. وأخرجه الطبراني (11928) في الكبير. وقال الهيثمي في المجمع (9/223): رجاله رجال الصحيح.

(2) انظر المزيد من التفصيل حول ترجمة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها - طبقات ابن سعد (8/52)، المستدرک (3/182)، الاستيعاب (4/1817)، أسد الغابة (7/78)، تاريخ الإسلام (1/14)، سير أعلام النبلاء (2/109)، الأعلام (1/326)، شذرات الذهب (1/14).

الأول: كنيته أبو الحسن:

وكناه رسول الله ﷺ أبا تراب، وكانت أحب ما ينادى به إليه، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. قال أبو عمر: هي أول هاشمية ولدت هاشمياً أسلمت وتوفيت بالمدينة، وشهدها رسول الله ﷺ وتولى دفنها، وألبسها قميصه واضطجع في قبرها.

روى الطبراني في الكبير والأوسط برجال الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالا: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: يَرْحُمُكَ اللهُ يَا أُمَّيْ، كُنْتُ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِيْنَ وَتُشْبِعِيْنِي وَتُعْرِيْنَ وَتُكْسِيْنِي، وَتَمْنَعِيْنَ نَفْسِكَ طَيِّباً، وَتُطْعِمِيْنِي، تُرِيدِيْنَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تَغْسَلَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءَ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَنَهَا بِبِرْدٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ، وَعَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفَرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وَأَخْرَجَ تَرَابَهُ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْرَهَا فَاضْطَجَعَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ الَّذِي يَخِي وَيَمِيْتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِنَهَا حُجَّتَهَا، وَوَسَّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا سَوَى عَلَيْهَا التَّرَابَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتَ أَنَّكَ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ وَاضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِأُحَفِّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ صَنِيعًا بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ.

ولد، وأبوه غائب، فسمته أمه حيدرة الأسد الشجاع، فلما قدم أبوه كره هذا الاسم، وسماه علياً، وكان ضخم البطن شاسع المنكب، ضخم الذراعين مستدقهما ضخم عند الساق، فوق الرقبة، ضخم المنكبين، طويل اللحية عظيمها، قد ملأت صدره، أبيض الرأس واللحية، إن عينته من قريب قلت: أسمر، أصلع، شديد

الصلح، بويع له بالخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان رضي الله عنه بخمسة أيام، ولم يقبلها حتى تكرر قولهم له مراراً يوم السبت التاسع عشر، وقيل: يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: أول من بايعه طلحة.

الثاني: في ولده رضي الله تعالى عنهم:

له من الولد الحسن والحسين ومحسن وزينب الكبرى من فاطمة رضي الله تعالى عنهم، وله أولاد من غيرها كثيرون، محمد وعمر الأكبر، والعباس الأكبر، كلهم أعقبوا، وكذا الحسن والحسين ومحمد الأصغر قتل بالطائف والعباس الأصغر، وعمر الأصغر قتل بالطائف وعثمان وجعفر قتل بالطائف، وعبد الرحمن وحمزة وأبو بكر عتيق، يقال: قتل بالطائف، وعون درج ويحيى مات طفلاً، وبناته زينب الصغرى، وأم كلثوم الكبرى وأم كلثوم الصغرى، ورقية الكبرى، ورقية، وفاطمة، وفاطمة الصغرى وفاخته وأمة الله، وحمانة، ورملة، وأم سلمة وأم الحسن، وأم الكرام وهي نفيسة وميمونة، وخديجة وأمامة، فالجميع سبعة وثلاثون.

الثالث: في فضائله وجزارة علمه:

وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره وأبو السبطين وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد القلائل العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، ولم يسجد لصنم قط، وبات ليلة على فراشه ﷺ يقيه، بنفسه، وخلفه بمكة ليرد الودائع التي كانت عنده، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ العظمى في القتال، فيقدم بها في بحر العدو وشهد معه مشاهد كلها وأبلى فيها بلاء حسناً، وشهد وقعة أحد وبايعه على الموت، وكان من أشجع الناس، لم يبارز أحداً قط إلا قتله، وسار لما ولي الخلافة بسيرة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم في القسم والتسوية بين الناس، وكان إذا ورد عليه مال لم

يترك منه شيئاً حتى يقسمه، وكان يكنس بيت المال ويصلي فيه، يقول: يا دنيا غري غيري، ولم يخص بالولايات إلا أهل الديانات.

وروي له عن رسول الله ﷺ خمس مئة وستة وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر، قال ابن المسيب: ما كان أحد يقول: سلوني غير علي، قال ابن عباس: أعطي علي تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي.

فإذا ثبت لنا الشيء الباقي عن علي لم نعدل عنه إلى غيره، ولي الخلافة خمس سنين، وقيل إلا شهراً، بويح له على الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لسته أشهر، فسأل عنها أصحاب رسول الله ﷺ فقال علي: لا رجم عليها ألا ترى أنه يقول: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحاف: 15/46] وقال: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14/31] وكان الحمل منها ستة أشهر، فتركها عمر. قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر ستة أشهر.

وروى سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه عن مكحول، وسعيد بن منصور وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عنه عن علي، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن بريدة، وأبو نعيم من طريق آخر عن علي في قوله تعالى: ﴿وَتَعَبًا أَدْنُ وَعِيَةً﴾ [الحاقة: 12/69] قال رسول الله ﷺ زاد بريدة "يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أُذْنِكَ وَلَا أُفْصِيكَ، وَأَنْ أُعَلِّمَكَ، وَأَنْ تَعْبِيَ وَحَقُّ لَكَ أَنْ تَعْبِيَ، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أَدْنُكَ، قَالَ مَكْحُولُ: وَكَانَ عَلِي يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى إِلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً فَنَسِيتهُ زَادَ بَرِيدَةَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ﴿وَتَعَبًا أَدْنُ وَعِيَةً﴾ [الحاقة: 12/69].

وروى ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30/47] قال يبغضهم علي بن أبي طالب.

وروى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما كنا نعرف

المنافقين على عهد رسول الله ﷺ "إِلَّا يُبْغِضُهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ".

وروى الطبراني عن علي بن الأقرم عن أبيه قال: رأيت علياً رضي الله تعالى عنه يعرض سيفاً له في رحبة الكوفة، وهو يقول: "من يشتري مني سيفي هذا، فوالله، لقد جلوت به غير كربة عن وجه رسول الله ﷺ ولو أن عندي ثمن إزار ما بعته".

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَاحِبُ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وروى أبو يعلى برجال الصحيح عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلِيَّ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلِيَّ تَنْزِيلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: لَا، قَالَ عُمَرُ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِمُ النَّعْلِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ عَلِيٌّ نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا".

وروى أبو يعلى عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مِنْ أَضْحَابِكَ ثَلَاثَةً فَأَحِبَّهُمْ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمَقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ".

وروى البزار والترمذي وأبو يعلى والحاكم والطبراني عن أنس رفعه قال: "اِشْتَأَقْتُ الْجَنَّةَ إِلَى ثَلَاثَةٍ، عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَبُو ذَرٍّ".

ورواه الطبراني بسند حسن أيضاً بلفظ: "ثَلَاثَةٌ تَشْتَأِقُ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَالْحُورُ الْعِينُ: عَلِيٌّ وَعَمَّارٌ وَسَلْمَانٌ".

وروى ابن عساكر عن حذيفة رضي الله تعالى عنه والطبراني عن أنس في الكبير على أن رسول الله ﷺ قال: (اِشْتَأَقْتُ الْجَنَّةَ) (تَشْتَأِقُ) وَفِي لَفْظِ الْجَنَّةِ قَدْ اِشْتَأَقْتُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٌّ وَسَلْمَانٌ وَأَبِي وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ".

وروى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أَعْلَمُ النَّاسِ بَعْدِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ".

وروى الإمام أحمد والطبراني عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه أن

رسول الله ﷺ قال لفاطمة: "أما تَرْضَيْنَ أَنْ زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي إِسْلَامًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ جِلْمًا".

وروى الطبراني عن فاطمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: "أما تَرْضَيْنَ أَنِّي زَوَّجْتُكَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَامًا، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْمًا، فَإِنَّكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي، كَمَا أَنَّ مَرْيَمَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ قَوْمِهَا".

وروى ابن ماجه والحاكم وأبو نعيم في الحلية، والترمذي، والرياني والحاكم في المستدرک والضياء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة" وفي لفظ "إن الله عز وجل يحب من أصحابي أربعة: وأخبرني أنه يحبهم، علي منهم، وأبو ذر منهم، وسلمان منهم" الحديث.

وروى أبو داود الطيالسي والحسن بن سفيان وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: "إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن".

وروى الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال للعباس: "إن علياً سبقك بالهجرة".

وروى الطبراني في الكبير عن أبي سعيد وسلمان رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن وصيي، وموضع سري، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب".

وروى الخطيب عن البراء، وأبو بكر والمطيري في جزئه عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "علي مني بمنزلة هارون من موسى، وفي لفظ: إنما علي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".

وروى العقيلي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "يا أُمَّ سَلْمَةَ إِنَّ عَلِيًّا لَحُمُهُ مِنْ لَحْمِي، وَدَمُهُ مِنْ دَمِي وَهُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي".

وروى الحاكم أن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كفوا عن علي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "في علي ثلاث خصال ليكون لي واحدة منهن: أحب إلي

مما طلعت عليه الشمس. كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة نغد والنبى ﷺ متكئاً على عليّ حتى ضرب بيده على منكبه، ثم قال: يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، ثم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى".

وروى الشيخان عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". تنبيه: هو حديث متواتر عن نيف وعشرين صحابياً، واستوعبها الحافظ ابن عساكر عن نحو عشرين ورقة.

وروى الترمذي وقال: غريب، وأبو نعيم في الحلية، وفي المعرفة عن علي والحاكم وتعقب والخطيب والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ قال: "أنا دار الحكمة" وفي لفظ "مدينة العلم، وعلي بأبها، فمن أراد العلم فليأت الباب" وفي لفظ "فليأته من بابه".

وروى الخطيب عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ رأى علياً فقال: "أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة".

وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة عن زيد بن أرقم، والبراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إن الله وليي وأنا ولي كل مؤمن، من كنت مولاه فعلي مولاه".

وروى الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي والضياء والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله، إنه لأخشن في ذات الله عز وجل وفي سبيل الله".

وروى الطبراني في الكبير عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ بعث علياً مبعثاً، فلما قدم، قال: "الله ورسوله وجبريل عنك راضون".

وروى ابن عساكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: "النظر إلى وجه علي عبادة".

وروى الطبراني في الكبير والرافعي عن عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين عن أبيه عن عمران بن حصين والحاكم وتعقب عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري عن عمران بن حصين والشيرازي في الألقاب، والطبراني في الكبير والحاكم وتعقب أن رسول الله ﷺ قال: "النَّظْرُ إِلَى عَلِيِّ عِبَادَةٌ".

وروى الخطيب والديلمي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "ذَكَرْتُ عَلِيَّ عِبَادَةٌ".

وروى الديلمي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ "علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رَأْفَةٌ وَمَوَدَّةٌ عِبَادَةٌ".

وروى الطبراني في الكبير عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: "يا علي محبُّك محبي، ومبغضُك مبغضي".

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "مَرْحَبًا بِسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ".

وروى الصدفي وأبو يعلي الضياء عن سعد بن أبي وقاص، والإمام أحمد والبخاري في تاريخه وابن سعد والطبراني والحاكم عن عمرو بن شاش أن رسول الله ﷺ قال: "من آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي".

وروى الطبراني في الكبير عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده، والطبراني في الكبير عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله".

وروى الطبراني في الكبير عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده عن أم سلمة والحاكم عن سلمان رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب علياً فقد أحبني" وفي لفظ "ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني" وفي لفظ "ومن أبغضني فقد أبغض الله".

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يا علي، من أحبك فبحبي أحبك، فإن العبد لا ينال ولايتي إلا بحبك".

وروى الطبراني في الكبير عن سلمان رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي: "محبك محبي، ومبغضك مبغضي".

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من فارق علياً فارقتي، ومن فارقني فارق الله".

وروى الحاكم وتعقب عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يا علي، من فارقك فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقتي".

وروى الإمام أحمد والطيالسي وابن عساكر عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: "من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله".

وروى الطبراني في الكبير عن عمرو بن شرحبيل قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم، انصر من نصر علياً، اللهم أكرم من أكرم علياً، اللهم اخذل من خذل علياً وفي لفظ "اللهم أعنه وأعن به وارحمه وارحم به، وانصره وانصر به".

وروى الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه قال قال: رسول الله ﷺ "لا تسبوا علياً فإنه كان ممسوساً في ذات الله".

وروى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس وابن أبي شيبه والإمام أحمد عن ابن عباس عن بريدة، والإمام أحمد وابن ماجه عن البراء، والطبراني في الكبير عن جرير، وأبو نعيم عن جندع بن قانع عن حبشي بن جنادة، والترمذي وقال حسن غريب والنسائي والطبراني في الكبير والضياء عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم والطبراني عن حذيفة بن أسيد الغفاري، والطبراني والضياء عن أبي أيوب وجمع من الصحابة، وابن أبي شيبه وابن أبي عاصم والضياء عن سعد بن أبي وقاص، والشيرازي في الألقاب عن عمر، والطبراني في الكبير عن مالك بن الحويرث، وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم، وابن عتبة في كتاب الموالاتة عن حبيب بن بديل بن ورقاء، وقيس بن ثابت، وزيد بن شرحبيل

الأنصاري، والإمام أحمد عن علي وثلاثة عشر رجلاً، وابن أبي شيبة عن جابر والحاكم وابن عساكر عن علي وطلحة، والإمام أحمد والطبراني في "الكبير" والضياء عن علي وزيد بن الأرقم وثلاثين رجلاً من الصحابة، وأبو نعيم في "فضائل الصحابة" عن سعد، والخطيب عن أنس، والطبراني في الكبير عن عمرو بن مرة وزيد بن أرقم معاً، وحبشي بن جنادة، وابن أبي شيبة والإمام أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والضياء عن بريدة والنسائي عن سعيد بن وهب عن عمرو بن مرة وعبد الله بن الإمام أحمد عن القواريري عن يونس بن أرقم من طرق صحيحة عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، عن ابن عباس وعائشة بنت سعد، وعن البراء وأبي أسيد والبخاري وسعد والطبراني في الكبير عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم، والطبراني في الكبير عن ابن عمر، وابن أبي شيبة عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ دعا لعلي فقال: "من كنت مولاه"، وفي لفظ "اللهم من كنت مولاه"، وفي لفظ "وليه، فعلي"، وفي لفظ "فهذا"، وفي لفظ "فإن، هذا مولاه"، وفي لفظ "فهذا وليه"، وفي لفظ "إن الله ولي المؤمنين، ومن كنت وليه"، وفي لفظ: "إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، من كنت وليه فهذا وليه"، وفي لفظ "إني وليكم وهذا وليي" والمؤدي عني، وإن الله موال من والاه، ومعاد من عاداه"، وفي لفظ "اللهم، وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه"، وفي لفظ "واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأعن من أعانه".

وروى مسلم عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق".

وروى الترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني في الكبير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن".

وروى الطبراني في الكبير عنها رضي الله تعالى عنها قالت: "لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق".

وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يأبها الناس، لا تشكوا علياً فإنه لأخشن في ذات الله عز وجل".

وروى الديلمي عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لبريدة "يا بريدة، إن علياً وليكم بعدي، فأحب علياً، فإنه يفعل ما يؤمر".

وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي، إن وليت الأمر بعدي، فأخرج أهل نجران من جزيرة العرب".

وروى ابن أبي شيبه والإمام أحمد والحاكم وأبو نعيم في المعرفة عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي إن لك كنزاً في الجنة وإنك ذو قرنيها فلا تتبعن النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة" وفي لفظ "الثانية".

وروى الديلمي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يا علي، أنت تغسل جثتي وتؤدي ديني في حضرتي، وتفي بدمتي، وأنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة".

وروى أبو نعيم في الحلية عن معاذ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخضم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش. وفي لفظ: سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد، أنت أولهم إيماناً بالله، وفي لفظ: أول المؤمنين إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم، وفي لفظ: وأعدلهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأبصرهم، وفي لفظ وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة، وفي لفظ "عند الله مزية".

وروى أبو نعيم في الحلية عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا علي إن الله قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها، هي زينة الأبرار عند الله عز وجل. الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً".

وروى الحاكم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يا علي، الناس من شجر شتى، وأنا وأنت من شجرة واحدة".

وروى ابن عساكر عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ

قال: "يا علي ستقاتلك الفئة الباغية، وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني".

وروى الطبراني في الكبير عن البراء وزيد بن أرقم معاً، والطيالسي والإمام أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص، والطبراني في الكبير عن أم سلمة، والطبراني في الكبير عن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: "يا علي، أنت مني" وفي لفظ "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".

وروى الخطيب والرافعي عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "سألت الله فيك خمساً فأعطاني أربعاً ومنعني واحدة؛ سألته فأعطاني فيك أنك أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، وأنت معي معك لواء الحمد وأنت تحمله، وأعطاني أنك ولي المؤمنين من بعدي".

وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة عن زيد بن الأرقم والبراء بن عازب معاً رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إن الله وليي وأنا ولي كل مؤمن، ومن كنت مولاه فعلي مولاه".

وروى ابن أبي شيبة وهو صحيح عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ "علي مني وأنا منه، وعلي ولي كل مؤمن من بعدي".

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقعوا في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم من بعدي".

وروى الترمذي وقال: حسن غريب والطبراني في الكبير والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال "ما تدرّون من علي؟ ما تدرّون من علي؟ ما تدرّون من علي؟ إن علياً مني وأنا من علي، وعلي ولي كل مؤمن".

وروى ابن أبي شيبة والإمام أحمد والترمذي وقال: حسن (صحيح) والنسائي وابن ماجه وابن أبي عامر في السنة والبغوي وابن قانع والطبراني في الكبير والضياء عن حبشي بن جنادة السلولي أن رسول الله ﷺ قال: "أنا من علي، وعلي مني، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي".

وروى ابن مردويه والديلمي عن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "علي بن أبي طالب ينجز بوعدي ويقضي ديني".

وروى الطبراني في الكبير وابن عساكر والضياء عن عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "علي أصلي وجعفر فرعي".

وروى الخطيب عن البراء وابن مردويه والديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ قال: "علي مني بمنزلة رأسي من بدني".

وروى الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "علي أخي في الدنيا والآخرة".

وروى الحاكم عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "علي مع القرآن، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

وروى ابن عدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين".

وروى الدار قطني في الأفراد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "علي بن أبي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً".

وروى أبو نعيم عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "علي بن أبي طالب أعلم الناس بالله وأكثر الناس حباً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله".

وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قم يا علي فقد برئت وما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله".

وروى الطبراني في الكبير عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي".

وروى عبد الله بن الإمام أحمد وأبو نعيم في فضائل الصحابة والحاكم وتعقب

عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي، إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها".

وروى الإمام أحمد والحاكم عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي ألا أعلمك كلمات إذا قلتها غفر لك علي أنه مغفور لك. لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين".

وروى ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يا علي، كن سخيّاً، فإن الله تعالى يحب السخي، وكن شجاعاً، فإن الله تعالى يحب الشجاع، وكن غيوراً فإن الله تعالى يحب الغيور، وإن امرؤ سألك حاجة فاقضها فإن لم يكن لها أهلاً كنت أنت لها أهلاً".

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي والبزار عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي، إذا تقرب الناس إلى خالقهم في أبواب البر فتقرب إليه بأنواع العقل، تسبقهم بالدرجات والزلقى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة".

وروى عبدالرزاق والترمذي عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "يا علي، إني أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، لا تقرأ وأنت راعع ولا وأنت ساجد، ولا تصل وأنت عاقص شعرك، فإنه كيد الشيطان، ولا تقع بين السجدين، ولا تعبت بالحصباء في الصلاة، ولا تفتش ذراعيك ولا تفتح على الإمام، ولا تتختم بالذهب ولا تلبس القسي ولا المعصفر، ولا تركب على المياثر الحمر، فإنها مراكب الشيطان".

الرابع: فيما أثر عنه من حكمه وكلماته وأشعاره رضي الله تعالى عنه:

كان رضي الله تعالى عنه: أفصح الناس وأعظمهم بالله وأشدهم للناس حباً وتعظيماً (لخدمة) لا إله إلا الله. وقيل له: ألا نحرسك؟ فقال: حارس كل إنسان أجله، وإن الأجل جنة حصينة، وقال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم

بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبل؟ وقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك وحلمك، وتكون مشغولاً بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله تعالى وإن أسأت استغفرت الله، فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين؛ رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك (أي يتداول) ذلك بتوبة، ورجل يسارع بالخيرات. وقال: احفظوا عني خمساً، فلوركبتم الإبل في طلبهن لا تصيبهن، لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، الله أعلم. والصبر والإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له. وقال: إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها، وقال: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الليل، خلقى الثياب، جدد القلوب، تعرفون في ملكوت السموات، وتذكرون في الأرض.

وقال: أيها الناس، إنكم والله إن حننتم حنين الوالد الثكلان، وجأرتم جوار مبتلى الرهبان، ثم خرجتم من الأموال والأولاد في التماس القرب إلى الله عز وجل، وابتغاء رضوانه، وارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة، كان ذلك قليلاً فيما تطلبون من جزيل ثوابه، والخوف من عقابه، والله لو سألتهم إصلاح عيوبكم رغبة ورهبة عليه سبحانه وتعالى ثم عمرتم عمر الدنيا مجدين في الأعمال الصالحة، ولم تبقوا شيئاً من جهدكم لما دخلتم الجنة بأعمالكم، ولكن برحمته سبحانه وتعالى، جعلنا الله وإياكم من التائبين أو العابدين، أو كما قال.

قال لكميل بن زياد: القلوب أوعية وخيرها أوعاها، فاحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق،

مع كل ريح يميلون لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، العلم خير لك من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدثه بعد موته، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، هاه هاه، وأشار بيده إلى صدره، إن هاهنا علماً لو أصبت له حملة بلى أصبته لفتى غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدنيا للدين، فيستظهر لحجج الله تعالى على كتابه، بنعمه على عباده، وينقاد لأهل الحق ولا بصيرة له في إخبائه، يقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك أو منهوماً للذات، سلس القياد للشهوات، أو مغر لجمع الأموال والادخار لهما في دعاة الدين، أقرب شبيهاً بالأنعام السائحة، كذلك يموت هذا العلم بموت حامله، اللهم لا تخل الأرض من قائم لله عز وجل بحجة الله لكيلا تبطل حجج الله وبيانه أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظم عند الله قدراً، بهم يدفع الله عز وجل عن حججه، حتى يؤديها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلبوا ما استوعد منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر إلى الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاه إلى دينه، هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم، استغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم.

دخل ضرار بن صخرة الصدائي على معاوية، رضي الله تعالى عنه فقال: صف لي علياً، فقال: كان - والله - بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس إلى الليل وظلمته، وكان - والله - غزير الدمعة، كثير العبارة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا تكلمه خشية له، فإن تبسم يضيء مثل اللؤلؤ المكنون المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله، ولا يبئس

الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يتمثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تمللم السليم، ويبكي بكاء الحزين. فكأنني أسمعه الآن وهو يقول: يا دنيا يا دنيا، غري غيري ثم يقول للدنيا: إلي تعرضت، أم إلي تشوقت؟ غري غيري قد بنتك ثلاثاً فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطوك كثير، آه آه، من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فوكفت دموع معاوية على لحيته ما تملكها، وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء، وقال هذا أبو الحسن، كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحداً في حجرها، لا يرق دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج، ولما امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء، قال: الله أكبر، وأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غري غيري، حتى ما بقي منها دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه، وصلى فيه ركعتين رجاء أن تشهد له يوم القيامة.

وقيل له: لم ترفع قميصك؟ قال لأنه يخشع القلب ويقتدي به المؤمن، ويبعد من الكبر، وأتي بفالزوج فوضع بين يديه، فقال: إنك طيب الريح، حسن اللون طيب الطعام، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تتعود، وكان بالخورنق يرعد تحت قطيفة، فقيل له: إن الله قد جعل لك، ولأهل بيتك في هذا المال حظاً، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله، ما أرزؤكم من مالكم شيئاً، إنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة.

ورئي وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول: من يشتري هذا السيف، فوالذي خلق الحبة وبرأ النسمة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان عندي ثمن إزار ما بعته قط، وأنشد يقول:

وقد تجوح الحاجات يا أم مالك كرائم من رب يُهينُ صنينَ

ومن كلامه في المناجاة:

كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحب فوفقني إلى ما تحب، وفي العلم: المرء مخبوء تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما ضاع امرؤ عرف قدره، وفي الإرب: أنعم على من شئت تكن أميره،

واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وقال: من وسع عليه في دنياه، فلم يعلم أنه مكربه فهو مخدوع عن غفلة، وقال: الدنيا جيفة فمن أراد شيئاً منها، فليصبر على مخالطة الكلاب، ومما يروى من شعره:

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قوتُ
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس يدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل وما أرزاقه عنا تفوت
وقال:

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفرنا الذي يمسي ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي توسط لحمها بدمي ولحمي
وسبطاً أحمد ولدي منها فأبكم له قسم كقسمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم رسول الله يوم (غدير خم)
وقال أبو عمر الزاهد سمعت علياً يقول: اجتمعت رواة الشعر من الكوفيين
والبصريين فلم يزيدوا على عشرة أبيات صحيحة لأمر المؤمنين، وأجمعوا على أن
ما كان زائداً على العشرة فهو منحول ومن الصحيح قوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدر
كليث غابات كربه المنظرة
أوفيهم بالكيل كيل السنندر

وروى ابن عساكر عن نبيط الأشجعي قال: قال علي رضي الله تعالى عنه:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق بما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوبُ

ولم يُرَ لانكشاف العسر وجهه ولا أغنى بحيلته الأريب
 أتاك على قنوط منك غوث يجيء به القريب المستجيب
 وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب
 وروى أيضاً عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله
 تعالى عنه لرجل كره صحبة رجل:

لا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
 يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
 وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وروى أيضاً عن المبرد رحمه، الله تعالى، قال: كان مكتوباً على سيف علي بن
 أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير
 لم يرزقوها بفعل إنما قسمت لكنهم رزقوها بالمقادير
 كم من أديب لبيب لا تساعده وسابق نال دنياه بتقصير
 لو كان عن قوة أو عن مغالبة طار البزاة بأرزاق العصافير
 وروى عن حمزة بن حبيب الزيات، رحمه الله تعالى، قال: كان علي بن
 أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه يقول:

لا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا
 فإني رأيت غواة الرجال لا يدعون أديماً صحيحاً

وقال ابن النجار: أخبرني يوسف بن المبارك بن كامل الخطاب قال: أنشدنا
 أبو الفتح مفلح بن أحمد الرومي، قال: أنشدنا أبو الحسين بن أبي القاسم التنوخي
 عن أبيه عن جده عن أجداده إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

أصم عن الكلم المحفظات وأحلم والحلم بي أشبه

وإنني لأترك حلو الكلام لئلا أجاب بما أكره
 إذا ما اجتروت سفاه السفية علي فإنني أنا الأسفه
 فكم من فتى يعجب الناظرين له ألسن وله أوجه
 ينام إذا حضر المكرمات وعند الدناءة يستنبه
 وكان بفص خاتمه محمد رسول الله ﷺ ويتختم في يساره، وكان ممن جمع
 القرآن في حياة رسول الله ﷺ.

وركب مرة حماراً، ودلى رجله إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذي أهنت
 الدنيا، وكان يقول: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنما أهله
 الذين يعملون به، وسيأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره.

وصعد يوماً المنبر فحمد الله. وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ وذكر
 الموت، فقال: عباد الله، الموت ليس فيه فوت، ثم قال: فالنجاء النجاء،
 والرجاء الرجاء، وراءكم طالب حثيث، القبر فاحذروا ضمته ووحشته، ألا وإن
 القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا إنه يتكلم في ذلك
 اليوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود أنا بيت الوحشة،
 ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتضع كل ذات
 حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد،
 ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وخازنها
 مالك، ثم بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها
 السموات والأرض أعدت للمتقين، أحلنا الله وإياكم دار النعيم، وأجارنا وإياكم
 من العذاب الأليم، وقال لرجل ذم الدنيا: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار
 نجاة لمن فهم عنها، ودار غناء لمن يتزود منها، ومهبط وحي الله عزوجل،
 ومصلى ملائكته، مسجد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ومنجز أوليائه، فيا أيها
 الذام للدنيا المعلل نفسه حتى خدعتك الدنيا، لا تغتر بها ولا يغرنكم بالله
 الغرور، أو كما قال.

وقال: إن الزهد في كلمتين من القرآن ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: 23/57] وقال: عجت لمن يدعو ويستبطن الإجابة، وقد سد طرقها بالمعاصي والذنوب.

الخامس: فيما حصل له من المشاق، ووصيته، وسبب وفاته رضي الله عنه:

وأخبره عليه السلام بأنه لا يبرزاً من الدنيا شيئاً، ولا ترزاً منه الدنيا. فلم يصف الأمر له مدة الخلافة، واستنجد أهل الشام وصالوا وجالوا، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف أمر أهل العراق، فتحلوا (أي فدخلوا) عنه، ونكلوا عن القيام معه وكان يكثر أن يقول: ما يحسب أشقاها، أو ما ينتظر، ثم يقول: لتخضبن هذه، ويشير إلى لحيته الكريمة، من هذه، ويشير إلى هامته، كما رواه البيهقي من طرق.

وروى الخطيب عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: من أشقى الناس من الأولين؟ قال؟ عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك.

وروى أبو داود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحرسه كل ليلة عشرة بيبتون في المسجد بالسلاح فرأهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: نحرسك، فقال: من أهل السماء؟ ثم قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السموات، وإن علي من الله جنة حصينة، وفي رواية: وإن الأجل جنة حصينة، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك، فلا تريده دابة ولا شيء إلا قال: اتقه اتقه، فإذا جاء القدر خلياً عنه، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وكان يدخل المسجد كل ليلة فيصلي فيه، فلما كانت الليلة التي قتل فيها صبحتها قلق تلك الليلة، وجمع أهله.

وفي رواية: قال الحسن دخلت على أبي ليلة قتل صباحها فوجدته يصلي، فلما انصرف، قال: يا بني إنني بت البارحة أوقظ أهلها لأنها ليلة الجمعة، صبيحة

قدر لسبع عشرة من رمضان فملكنتني عينا، فأريت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللد؟!.

فقال لي رسول الله ﷺ: " ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم من هو شر مني، قال الحسن: فبينما هو يحدثني إذا جاء مؤذنه ابن التياح فأذنه بالصلاة، فلما خرج المؤذن بين يديه، ونادى بالصلاة اعترضه ابن ملجم وفي رواية: فما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم قبحة الله تعالى على دماغه فانتبه وكان سيفه مسموماً، وضربه شبيب فلم يصبه لأن ضربه جاء في الطارق، ونادى علي: لا يفوتكم الرجل، فشد الناس عليهما في كل ناحية فهرب شبيب، وقبض ابن ملجم، فقال علي رضي الله تعالى عنه: أطعموه واسقوه، فإن عشت فأنا ولي دمي فإن شئت أن أعفو أو أقتص. قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45/5] وإن مت فاقتلوه كما قتلني ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.

قال أهل السير: انتدب ثلاثة من الخوارج عبد الله بن ملجم المرادي، وهو من حمير، وعداد من بني مراد، وهو حليف ابن جبلة من كندة، المبارك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاقدوا ليقتلن علي بن أبي طالب، ومعاوية وعمرو بن العاص، فقال: ابن ملجم: أنا لعلي، وقال ابن المبارك: أنا لمعاوية، وقال الآخر: أنا لعمر، وتعاهدوا ألا يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا ليلة عشرة من رمضان، فتوجه كل واحد إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله، فضرب ابن ملجم علياً بسيف مسموم في جبهته، فأوصله إلى دماغه في الليلة المذكورة ليلة الجمعة، ولما ضربه ابن ملجم قال: فزت، ورب الكعبة، فلعن الله وقبحه، هذا وقد أوصى الإمام علي كرم الله وجهه سيدينا الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بتقوى الله عز وجل والصلاة والزكاة، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، وتلاوة القرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش، ووصاهما بأخيها محمد بن الحنفية، ووصاه بما وصاهما وأن يعظهما، ولا يقطع أمراً دونهما، وكتب ذلك كله في كتاب وصيته، وصورة الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين "أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم، وطاعته، وحسن عبادته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. وانظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم، ولا تبغوا الدنيا ولا تبكوا على ما زوى عنكم منها، وقولوا الحق وارحموا اليتيم، وكونوا للظالم خصماً، وللمظلوم نصراً، واعملوا بما في كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ ولا يأخذكم في الله لومة لائم، ثم ليهون عليكم الحساب، الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم، والله الله في الجهاد في سبيل الله عز وجل بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذرية نبيكم محمد ﷺ لا يظلمن بين ظهرائكم، والله الله في أصحاب نبيكم ﷺ فإن رسول الله ﷺ أوصى بأهل بيته وأصحابه، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم ولا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم الله عزوجل من أراذلكم وبغى عليكم، وقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، كما أمركم الله عز وجل، ولا تتركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيولى الأمر شراركم، ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم، وعليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم بيتكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، ولما احتضر جعل يكثر من قول رسول الله ﷺ: لا إله إلا الله لا يقول غيرها حتى قبض.

وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور، وقيل: إن آخر كلامه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7-8) ثم توفي بالكوفة ليلة الأحد السابع والعشرين وقيل: التاسع

والعشرين من رمضان وقيل: التاسع عشر من رمضان سنة أربعين رضي الله تعالى عنه وغسله ابنه الحسن والحسين، وعبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم. وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، وكان عنده شيء من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به فحنطوه به، وصلى عليه الحسن، ودفن في الكوفة عند قصر الإمارة، وغمي قبره، وقيل: إن علياً صبر في صندوق وكثروا عليه من الكافور، وحمل على بعير يريدون به المدينة، فلما كان ببلاد طيء أضلوا البعير ليلاً، فأخذته طيء ودفنوه، ونحروا البعير وقال المبرد عن محمد بن حبيب: أول من حول من قبر إلى قبر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه ورضي عنا به ورزقنا محبته وسائر أصحاب رسول الله ﷺ وأدام ذلك لنا إلى يوم نلقاه.

السيدة فاطمة الزهراء (17 قبل الهجرة - 11هـ)

هي بضعة الرسول الأعظم، وسيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. ولدت ﷺ قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات. وكانت آخر أولاده ﷺ من السيدة خديجة ﷺ، ورابع بناته (زينب، رقية، أم كلثوم).

إنها ريحانة رسول الله ﷺ التي كانت تلازمه أينما سار. لقد كانت تحب والدها العظيم حباً لا يحتمله قلب طفلة في مثل سنها، لهذا كانت تحرص عليه، وتسير معه في طرقات مكة، وتذهب وإياه إلى الكعبة، وتحضر الندوات السرية التي كان يعقدها لأوائل المسلمين الذين عزروه ونصروه.

وذهبت فاطمة الزهراء مع رسول الله ﷺ يوماً إلى الكعبة فانتحى ناحية فيها وراح يصلي لله ركعتين، وفاطمة ابنته تقف بجانبه وترعاه بقلبها الصغير، ومر به أحد المشركين فسخر منه وهو ساجد. وألقى على ظهره بعض القاذورات فتقدمت فاطمة ﷺ ورفعت القاذورات عن ظهر أبيها وهو ساجد لله. ولما انتهى النبي من صلاته. دعا على هذا المشرك الذي سخر منه.. فبكت فاطمة فقال لها النبي ﷺ: "لا تبكي يا ابنتي.. ولسوف يخزيه الله".

وهكذا كانت فاطمة الصغيرة ترى وتشهد ما يلاقي أبوها من الأذى والاضطهاد. ووقعت الصدمة الأليمة في دار رسول الله ﷺ، عندما ماتت السيدة خديجة أم فاطمة، فحزن لموتها رسول الله ﷺ أشد الحزن، وفقد بموتها أكبر عون له.

أما فاطمة فقد أصبحت صبابة تخطو قدماها نحو الشباب حين فقدت أمها. لقد حزنت عليها حزناً مريراً. وبكتها بكاء حاراً. وأحست أنها تحمل مسؤولية عظمى وعليها أن تقوم بها وحدها، لقد شعرت نحو أبيها الرسول بما كانت تشعر به أمها من قبل. فقد أصبحت تسهر على راحة أبيها، وتمنحه من العطف والرعاية والحنان ما كانت تمنحه أمها إياه.

لهذا سميت فاطمة (بأم أبيها)، لأنها كانت له بمثابة الأم الحنون والبنات الوفية والحببية المخلصة التي عاوته في أحلك اللحظات وأخطر المواقف وأشد الأزمات.

ألقابها:

لقبت السيدة فاطمة عليها السلام بالزهراء وذلك لبياض وجهها. وما كان يتلأأ فيه من أنوار. كانت إذا قامت تصلي أشرق المحراب بنور وجهها. وشعت في جوانبه أشعة من الأضواء.

ولقبت (بالبتول) لأنها انقطعت عن مخالطة النساء، وتفرغت لعبادة الله والصلاة، وقراءة القرآن الكريم.

زواجها:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: "خطب أبو بكر وعمر فاطمة. فقال رسول الله ﷺ: **إِنَّهَا صَغِيرَةٌ، وَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فزَوَّجَهَا مِنْهُ**" (رواه البخاري).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَزْوَجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ" (1).

(1) أخرجه الطبراني، وأورده صاحب كنز العمال برقم (37752).

تقول أم سلمة زوج الرسول الكريم ﷺ: "بينما كان رسول الله ﷺ عندي، طرق الباب طارق، فقال لي الرسول: قومي وافتحي الباب، فإن الطارق رجل يحبه الله ورسوله، قلت فذاك أبي وأمي يا رسول الله، ومن يكون هذا الرجل؟ قال الرسول ﷺ: هو أخي وأحب الخلق إلي هو علي بن أبي طالب، ولما دخل علي، جلس بين يدي النبي ﷺ وجعل يطرق إلى الأرض وهو صامت، فقال له النبي ﷺ: يا علي إنك قاصد حاجة فما هي؟ قال علي: يا رسول الله: إنك تعلم من أنا منك وتعلم أنك ذخري ووسيلتي في الدنيا والآخرة، وقد جئت خاطباً ابنتك فاطمة، فهل تزوجني يا رسول الله؟ فأجاب الرسول: يا علي إن فاطمة لك وأنت لها، وإن الله قد أمرني بتزويجها لك، ولكن: أعندك مهر لفاطمة؟ قال علي: عندي فرسي ودرعي. قال الرسول ﷺ: أما الفرس فاحتفظ بها للجهد في سبيل الله، وأما الدرع فبعها وتزوج بها".

كاد علي بن أبي طالب يطير من الفرح، وذهب إلى عثمان بن عفان فباع له الدرع بأربع مئة درهم، وأخذ الدراهم وهم بالانصراف، ولكن عثمان استوقفه وقال له: يا ابن أخي: أرد إليك درعك هدية مني لك في زواجك من فاطمة بنت رسول الله، فشكر له علي صنيعه.

وخرج من عنده وقصد رسول الله ﷺ ودخل عليه وصب الدراهم بين يديه وهو يقول: هذا هو مهر فاطمة، وهذا هو درعي هدية من عثمان بن عفان، أجاهد بها في سبيل الله.

أخذ رسول الله ﷺ الدراهم، وأعطها لبلال بن رباح مؤذن الرسول وقال له: يا بلال: اشتر جهاز العروس، وكان الجهاز سريراً مصنوعاً من خشبتين مشدودتين بخيوط من الخوص المجدول. وقطعة بساط من وبر الجميل، ووسادة من جلد بداخلها كمية من الليف.

فغن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي كرم الله وجهه قال: "جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر".

وفي رواية أخرى عنه كرم الله وجهه: "أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين" وتبرع سيد من الأنصار بكبش سمين مذبوح، فأكل المدعوون حتى شبعوا.

حياتها ﷺ في بيت زوجها:

بعد أن صلى الرسول ﷺ صلاة العشاء. توجه ليلة الزفاف إلى دار فاطمة الجديدة وطلب من بركة (أم أيمن) أن تحضر له كوزاً كبيراً من الماء. فقرأ عليه بعض الأدعية. ثم أمر الزوجين أن يشربا من الماء ويتوضأ بما يتبقى منه، ففعلا. ثم خرج وهو يقول: "اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في شبلهما" (1).

ولما هم النبي ﷺ بالخروج. تذكرت فاطمة أمها السيدة خديجة (رضي الله عنها). وأحست أنها فارقت دار أبيها رسول الله ﷺ لتعيش لأول مرة في دار غريبة عنها لم تألفها بعد.. ولم تستطع فاطمة أن تخفي شعورها. فشهقت بالبكاء.

ونظر إليها الرسول ﷺ وقال: أتبكين يا فاطمة؟ إنك لست في دار رجل غريب عنا.. إنه علي بن أبي طالب. وهو من تعرفين مكانته عندنا.. لقد زوجتك يا ابنتي أقدم الناس إسلاماً. وأعظمهم مقاماً. وأكثرهم أدباً وفضلاً. وأكفاهم شجاعة وإقداماً.

ثم قال وهو يحنو على فاطمة في رقة وعطف.. إنني زوجتك علي بن أبي طالب بأمر من الله، وإنه أخي في الدنيا والآخرة، أو ما كفأك هذا يا فاطمة؟

وعاشت السيدة فاطمة مع الإمام علي كرم الله وجهه حياة خشنة صعبة؛ لأنه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ولكنها شاركته هذه الحياة راضية مرضية. وكان الإمام علي كرم الله وجهه يساعدها ما أمكنه ذلك؛ إذ إنه لم يكن في إمكانه أن يستأجر لها من يخدمها. وكان يرى آثار الرحي في يديها اللطيفتين فيتأثر.

عن علي رضي الله عنه أنه قال لأم ابن عبد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت أحب أهله إليه "كانت عندي فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وقممت، أي كنست، البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها. وفي رواية وخبزت حتى تغير وجهها فأصابها من ذلك ضرر".

وكانت السيدة فاطمة نحيفة القوام، ضعيفة البدن، وكان الإمام دائماً مشفقاً عليها من أعمال البيت، ولذلك فعندما علم كرم الله وجهه أن النبي الكريم ﷺ عنده بعض السبايا التي غنم المسلمون من حروبهم ضد المشركين قال لفاطمة الزهراء: اذهبي إلى أبيك رسول الله ﷺ واطلبي منه خادمة تعينك على أعمال البيت، وذهبت إلى أبيها ﷺ فسألها: ما بك يا بنية؟

فقالت: إنما جئت لأسلم عليك، ومنعها الحياء من أن تطلب شيئاً من أبيها، وعادت إلى بيتها كما جاءت. ولما عرف علي ما كان من أمرها، أخذها وذهب إلى رسول الله ﷺ، وتكلم هو هذه المرة، وأوضح له أنها استحييت أن تطلب منه امرأة من السبي الذي وصله من غنائم الغزو لتعينها على العمل؛ لأنها لم تعد قادرة بمفردها على إنجازها. فأجابهما رسول الله ﷺ: "لا والله لا أعطيكمما وأدعُ أهل الصُّفَّة تتلوى بطنهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم". وقال لفاطمة: "اصبري يا فاطمة، إن خير النساء التي نَفَعَتْ أهلها" (1).

وعادت الزهراء والإمام علي كرم الله وجهه وقد رضيا بما سمعاه من رسول الله ﷺ. وفي المساء ذهب إليهما عليه الصلاة والسلام ودخل عليهما في بيتهما وفتح عليهما الباب، وقد انكمشا في غطائهما مقررورين، إذا غطيا رأسيهما انكشفت قدماهما وإذا غطيا قدميهما انكشف رأساهما. فقال لهما "ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فأجابا: بلى يا رسول الله. فقال لهما ﷺ كلمات علمني إياها جبريل عليه السلام: "تسبحان الله دُبُر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلي فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين. وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران ثلاثاً وثلاثين، ثم ودعهما وانصرف" (2).

منزلتها:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: تحدث عن فاطمة الزهراء: "كانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها، فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ

(1) أخرجه الطبري في كتابه (التهديب).

(2) رواه البخاري رقم (3113. 3705).

إذا دخل عليها، قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها" (1).

وقال رسول الله ﷺ: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني" (2).

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: "أنا حرب لمن حاربتهم. وسلم لمن سالمتم" (3).

وقال رسول الله ﷺ: "كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (4).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة" (5).
هذه هي منزلة فاطمة الزهراء التي كانت تعيش مع الله بقلبها ووجدانها.. تسهر الليل ساجدة في عبادة الله والتسبيح بحمده وترديد الشكر لآلائه وأفضاله.

أولادها:

أولادها رضي الله عنها وعنهم هم الحسن والحسين، ومحسن وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب.

وكان النبي ﷺ يدلل الحسن والحسين ويعجب بهما. ويمنحهما كل حبه ورعايته وعطفه.

روى الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث أسامة بن زيد قال رضي الله عنه جئت إلى بيت النبي ﷺ، فقيل لي: إنه عند السيدة فاطمة، فأتيته فلما طرقت الباب خرج لي رسول الله ﷺ، وهو متدثر بعباءته، ورأيته يحمل شيئاً داخلها بينها وبين صدره، فقلت له: ما هذا يا رسول الله؟

(1) أخرجه الترمذي رقم (3872).

(2) رواه البخاري رقم (3767).

(3) رواه أحمد والترمذي.

(4) رواه البخاري رقم (3411).

(5) رواه أحمد في المسند.

فابتسم وقال: " هذان ابناي الحسن والحسين. اللهم فأحبهما وأحب من يحبهما" (1).

وفاة السيدة فاطمة عليها السلام:

حزنت السيدة فاطمة الزهراء حزناً عظيماً لوفاة أبيها فلم تر أبداً مبتسمة.

تقول السيدة فاطمة: " بعد وفاة أبي بأيام، بكيت بكاء شديداً، وفي إحدى الليالي صليت ونمت، فرأيت في منامي كأن ملائكة طاروا بي في السموات، حتى وصلت إلى مكان بديع، فيه القصور والحدود، فقالوا لي: إنه مكان أبيك والأنبياء والصدّيقين. ورأيت أبي جالساً على أريكة من النور، فأخذني بجانبه ثم قبل رأسي وقال: انظري يا فاطمة إلى تلك القصور البيضاء، والبساتين الفيحاء. فنظرت إليها وقلت: لمن هذه القصور يا أبتاه؟

قال: إنها مسكنك أنت وعلي والحسن والحسين. ثم صحوت من نومي وأنا مشتاقة إلى لقاء أبي الحبيب.

وتوفيت عليها السلام يوم الثلاثاء لثلاث من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنت ثمان وعشرين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بستة أشهر".

ودفنت بالبقيع ليلاً، فسلام الله على الزهراء في الخالدين، وسلام الله عليها في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

(1) رواه الترمذي رقم (3769). وأحمد في مسنده رقم (446/2).

"أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بَأْيِهِمِ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ"

الحمد لله الذي أرسل سيدنا محمداً ﷺ رحمة للعالمين وأيده بأله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين حماة الدين ونجوم الهداية للمهتدين رضي الله عنهم أجمعين.

فقد جاهدوا في الله حق جهاده، ونشروا دينه في بلاده وعباده. ولذلك ذكرهم في آيات كثيرة في كتابه الأسنى وأثنى عليهم ورضي عنهم ووعدهم الحسنى، وأفضل صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته على مُشْرِفِهِمْ بصحبته، وجاعلهم بإذن الله تعالى خير أمة سيدنا محمد الرؤوف الرحيم المنبه على كثرة فضلهم في الحديث والقديم.

فهم قوم عمهم كرم الله تعالى وسعة فضله الذي لا يمكن التعبير عنه بالألسنة والأقلام. فصرح سبحانه برضاه عنهم؛ لأنهم صدقوا في خدمته وتأييد دينه وملته ومبايعة نبيه ﷺ على الموت في نصرته فأثنى عليهم سبحانه الثناء الجميل في معيته فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزِجٍ أَخْرَجَ سَطْعَهُ، فَتَازَرَهُ، فَاسْتَفَظَّ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ، يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29/48].

فقد ابتداء الحق سبحانه وصفهم بالشدة على الكفار، إشارة لما تحملوه من المشقات العظيمة في حب الله تعالى ورسوله. ثم بالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم. ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته، بابتغاء فضله ورضوانه. وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت في وجوههم، حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهدبهم.

ومن ثم قال إمامنا مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا". وهم محقون في ذلك؛ فقد اتفق جمهور السلف والخلف على أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين، وخواص الملائكة المقربين. وذلك لما اشتمل عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل صلوات الله من تزكيتهم والثناء عليهم قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَوْمِ الْمُكَرَّمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِمْ خَيْرٌ لِمُؤْمِنِي الْهَادِينَ﴾ [التوبة: 100/9].

وقوله رضي الله عنه فيما رواه الترمذي: "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله".

فتأمل هذا الفضل العظيم والمنقبة الجليلة التي نوه بها رضي الله عنه، حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضاً له، فحبهم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه رضي الله عنه، وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر سيرهم معه رضي الله عنه وأثارهم الحميدة في الإسلام في حياته وبعد وفاته. فجازاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء؛ فقد جاهدوا في الله حق جهاده حتى نشروا الدين وأظهروا شرائع الإسلام، ولولا ذلك منهم ما وصل إلينا قرآن ولا سنة ولا أصل ولا فرع، إذ هم الوسائط بيننا وبين سيد الوجود رضي الله عنه.

هذا ولما كانت فضائلهم لا تحصى ومفاخرهم لا تستقصى وعجزت الدفاتر عن حمل تلك المآثر، فإننا نستنزل الرحمات بفيض من فيض أفضل هؤلاء السادات ذوي القدر العلي والفخر الجلي؛ ساداتنا ومواليها وأئمتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فهم أفضل الصحابة على الإطلاق. روى البزار والديلمي عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اختار أصحابي من جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير".

أما سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلقد كان أول المسلمين من الرجال ومن ذلك الأوان، وهو الوزير الأول والصديق الأكبر الأكرم للنبي صلى الله عليه وسلم، وإنما سماه رضي الله عنه

الصديق لمبادرته لتصديقه في أول إسلامه في كل ما أخبره به عليه السلام من الغيوب، ولا سيما في صباح المعراج حينما كذبتة كفار قريش. ولم يزل مرافقاً له وموافقاً في جميع حالاته مع العسر واليسر والشدة والرخاء والسفر والحضر والحرب والسلم وجميع الأحوال لم يسمح له ﷺ في غزوة بدر بالمبارزة في القتال، وقال له: "أمتعنا بنفسك" وناهيك بها منقبة. وكلفه بحراسة العريش الذي أقام فيه ﷺ يدعو الله سبحانه وتعالى ويستنجزه ما وعده من النصر. كما جعله رفيقه في هجرته من مكة إلى المدينة، وقد استأذنه مراراً ليهاجر مع من هاجر من قبل ذلك من الصحابة، فلم يأذن له، وادخره لنفسه وأتحفه بالصحبة ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ إِدْهُمَا فِي الْفَجْرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40/9] فهو ﷺ مستشاره الأعظم في جميع مهامه الدينية والدنيوية.

ولم يزل كذلك عنده في المحل الأعلى والمنزل الأرفع إلى أن توفي ﷺ وهو راض عنه تمام الرضا.

ولما توفي رسول الله ﷺ اضطربت الصحابة الكرام غاية الاضطراب حتى جاء هو وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144/3].

فحينئذ سكن اضطراب الصحابة، وعرفوا أن الرسول ﷺ قد توفاه الله ونقله من دار الفناء إلى دار البقاء. ولما كان آخر اختصاص خصه به ﷺ أمره إياه في مرضه أن يصلي بالناس نيابة عنه اتفقوا بأجمعهم على أن يجعلوه خليفة له ﷺ، ولأن تخصيص النبي ﷺ له بذلك كالصريح في استخلافه، وقد تمت له - والحمد لله - الخلافة باتفاق الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فتسلم زمامها وتسلم سنامها وقام بحقوقها أحق القيام، حتى كان هو المجدد الأعظم لدين الإسلام بعد رسول الله ﷺ. وقد اتفقت على مبايعته والسرور بخلافته والاعتباط بها الأمة المحمدية جمعاء. ولما ارتدت أكثر قبائل العرب بعد وفاة النبي ﷺ جمعهم ﷺ طوعاً وكرهاً على الإسلام، وفتح بلاد العراق والشام وجيش جيوش المسلمين للجهاد في سبيل الله الملك العلام. وسيرهم إلى أعداء الدين حتى أظهر الله به دينه

غاية الظهور، وانتظمت على أحسن حال الأمور، وتتابعت الفتوحات في مدة خلافته، وختمها بالعهد إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة، ونعم الختام. وكان عمر رضي الله عنه وزيره الأعظم، كما كان هو عند النبي صلى الله عليه وسلم، فهو على كثرة فضائله وفتوحاته حسنة من حسناته. ويكفي سيدنا أبا بكر رضي الله عنه عن ذلك كله قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره" وسئل صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب إليك فقال: "عائشة فقيل من الرجال قال أبوها" متفق عليه. ف رضي الله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أما سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قبل إسلامه كان ذا وجهة عظيمة في قريش، حتى دعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يؤيد الإسلام به أو بعمر بن هشام، يعني أبا جهل، فاستجيبت دعوته صلى الله عليه وسلم في حق سيدنا عمر رضي الله عنه.

فلما أسلم دخل بإسلامه سرور عظيم على النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، وكانوا نحو عشرين، وهم مستخفون لا يقدرّون على الظهور لكثرة إذابة المشركين لهم، فأعلن سيدنا عمر إسلامه في محافل قريش وحمل النبي صلى الله عليه وسلم على الظهور، فظهر بمن معه، وكان ذلك أول يوم أعز الله به الإسلام، ولذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولم يزل مصاحباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حين إسلامه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم في جميع حالاته من شدة ورخاء وسفر وحضر وحرب وسلم. ولم يفارقه في جميع غزواته، وهو عنده في جميع ذلك صاحب المنزلة العليا والمكانة الزلفى.

ولم يزل سيدنا عمر على هذه الحالة السنوية والمكانة العلية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته، وصار بعده سيدنا عمر لسيدنا أبي بكر وزيره الأعظم بمنزلة أبي بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم. فكل ما حصل من خير للأمة المحمدية في مدة خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه فسيدنا عمر رضي الله عنه له فيه اليد البيضاء والثواب العظيم؛ لأنه كان الركن الأقوى الذي يعتمد عليه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في مهامات الدنيا والدين، ولذلك رآه كفيلاً كريماً للخلافة بعده، فعهد له بها ولم يخالف في ذلك أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كان بعضهم يخشى منه وقوع الشدة لما كان معروفاً به من عدم المداراة في دين الله. فكان الأمر بعد الخلافة على العكس، فكان أرحم الأمة

بالأمة وأشفقها عليها. وظهر منه من الحزم والتدبير وضبط الأمور والعدل بين الناس على اختلاف طبقاتهم، وسياسة الدنيا والدين والرحمة لعموم المؤمنين، والشدة على جميع المعتدين، والجهاد في سبيل الله وكثرة الفتوحات ما لم يجتمع لغيره باتفاق المؤرخين في دهر من الدهور؛ بحيث هدم أعظم دول العالم وقتئذ فارس والروم، ولم يزل الإسلام منذ أن تولى الخلافة يعلو شأنه ويسمو عزه ويتسع انتشاره ويفيض على البسيطة بحره.

وكفاه فخراً ﷺ ما صح فيه من الأحاديث النبوية الدالة على عظيم فضله، فمنها ما رواه أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمْرٍَ وَقَلْبِهِ"، وقال أيضاً: "لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب" رواه أحمد والترمذي. ف ﷺ وأرضاه وجزاه عن الإسلام أفضل الجزاء.

أما سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، فإنه كان من أعظم أكابر قريش قبل الإسلام، وكان من السابقين. هاجر الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وتزوج بنتي المصطفى ﷺ فسماه ذا النورين. ولم يزل من أول الإسلام إلى انتقاله ﷺ، وهو من أجل المقربين إليه وأعظم المحبين المحبوبين لديه. آمن به والإسلام يومئذ جديد في غاية الضعف والخفاء، والشرك حينئذ متين في غاية الظهور والقوة، فهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة. فلم يفارق النبي ﷺ في أكثر غزواته ومشاهده. وكم له من يد بيضاء في الإسلام لم يسد أحد مسدّه فيها؛ منها تجهيزه جيش العسرة في غزوة تبوك بسبع مئة جمل بحمولها، وأحضر ألف دينار ذهبي صبها بين يدي النبي ﷺ، فصار يقلبها بيديه الشريفتين ويقول: غفر الله لك يا عثمان، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم. ومنها أن النبي ﷺ أرسله يوم الحديبية إلى مكة ليطيب قلوب المؤمنين المستضعفين ف قضى حاجة رسول الله ﷺ على أتم وجه، وامتنع أن يطوف بالبيت لعدم طواف النبي ﷺ به في ذلك العام. وقد كان ﷺ يستحي منه، فسئل عن ذلك، فقال: "ألا أستحي ممن تستحي منه ملائكة الرحمن". ولم يزل كذلك عنده ﷺ في المنزلة الزلفى والمكانة العليا والمحبة العظمى والعناية الكبرى إلى أن توفي ﷺ وهو راض عنه تمام الرضا. ثم كان عند أبي بكر ﷺ أيام خلافته كذلك، ثم كان عند عمر ﷺ كذلك. ثم لما تولى الخلافة مشى على سنتهما في العدل بين

الناس والجهاد في سبيل الله حتى فتح المغرب بأجمعه وكثيراً من بلاد إفريقيا وأرمينيا وخراسان وما والاها حتى وصل إلى حدود الصين. وحصل للإسلام في مدته انتشار عظيم في أقطار الأرض، ولم يزل الناس راضين مغتبطين بخلافته إلى أن نقم عليه قوم من فساق أهل مصر والعراق، فخرجوا عن طاعته وأتوا المدينة المنورة فحاصروه في بيته وقتلوه ظلماً ﷺ، وكفيه افتخاراً قول سيدنا رسول الله ﷺ: " لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان " رواه الترمذي وابن ماجه، وقوله أيضاً لعثمان ﷺ وقد ماتت زوجته الثانية: " لو أن لي أربعين ابنة لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة ". أخرجه ابن عساکر ف ﷺ وأرضاه وجازاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أما سيدنا علي كرم الله وجهه فبعد مقتل ذي النورين اجتمع أهل الحل والعقد من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وتوجهوا إليه كرم الله وجهه فبايعوه بالخلافة، لأنها قد انحصرت فيه، ولا يستحقها أحد مع وجوده لكثرة فضائله التي لا تحصى، ومآثره التي لا تستقصى؛ منها أسبقيته للإسلام وأنه لم يعبد وثناً قط، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وابن عم رسول الله ﷺ وأخوه بالماخاة، وصهره على سيدة نساء العالمين سيدتنا فاطمة الزهراء ﷺ، وأبو سبطيه الحسن والحسين وجد آله الطاهرين، وأوحد العلماء الربانيين والزهاد المذكورين والشجعان المشهورين والخطباء المعروفين. ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدي عنه أمانته ثم يلحقه بأهله، ففعل ذلك ونام في فراشه الذي كان المشركون يراقبونه فيه ليقتلوه ففداه بنفسه، وشهد معه ﷺ سائر المشاهد إلا تبوك فإنه ﷺ استخلفه على المدينة، وقال له حينئذ: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى ". وأعطاه ﷺ اللواء في مواطن كثيرة ولا سيما يوم خيبر، وأخبر ﷺ أن الفتح يكون على يده، ووصفه بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كما في الصحيحين. إلى غير ذلك من الفضائل والمناقب والمفاخر التي تعجز عن حصرها الأقلام والدفاتر. وحين دخوله كرم الله وجهه في الخلافة دخلها والأمة في غاية الاختلاف وأمورها في غاية التشويش والاضطراب بسبب مقتل سيدنا عثمان، فتحزبت الأحزاب واختلفت الآراء وتباينت الأغراض، فكان كرم الله

وجهه كلما اشتغل بسد خرق من جانب انفتق خرق من جانب آخر. وبقي الأمر كذلك حتى قضى الله سبحانه بقتله شهيداً سعيداً على يد أشقى الآخرين أحد الخوارج المارقين. فرضي الله عن أمير المؤمنين وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

لم يرد في أحد من الصحابة الكرام ما ورد فيه من الفضائل والمناقب من أعظمها قوله ﷺ: "علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي" رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

هذه قطرة من بحار فضائل ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً على أن جميع ما ثبت من هذه الفضائل هو في الحقيقة بفضل ما نالوه من شرف الانتساب الى حضرة المصطفى ﷺ، وإن كانوا في أنفسهم فضلاء نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه، إلا أن أفضليتهم على من سواهم من الأمة إنما هي لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التي لا يوازيها عمل عامل ولا اجتهاد مجتهد، وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار. وإلا فإننا نجد في التابعين ومن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأكثر حرباً وجهاداً من بعض صغار الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له ﷺ، ولم يلزموه كثيراً في مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة. ومع هذا فأقلهم فضلاً أفضل من أفضل التابعين فمن بعدهم إلى يوم القيامة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبناءً على كل ما مر فإذا كان ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم بالحالة التي بلغتنا عنهم من المسارعة إلى امثال أوامر الله والزهد في الدنيا والمجاهدة لأنفسهم ومحبة الله ورسوله والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة. فإن ما يسمى تصوفاً أو طريقة لم يتجاوز ما عليه الصحابة والتابعون من الأخلاق السامية التي حض الله ورسوله ﷺ على التخلق بها ومدح أصحابها في غير آية وحديث. فالتصوف هو خلق الصحابة والتابعين والسلف الصالح الذين أمرنا بالاعتداء بهم والاهتداء بهديهم، قال صاحب البحر المديد الإمام ابن عجيبة رحمه الله ورضي عنه في تفسير آخر سورة الفتح ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: 29/48] قال: "وما وصف به سبحانه أصحاب

الرسول ﷺ هو وصف الصوفية أهل التربية النبوية خصوصاً طريق الشاذلية حتى قال بعضهم: من حلف أن طريق الشاذلية عليها كانت بواطن الصحابة ما حنث " اهـ.

نسأل الله المنان الوهاب أن يلحقنا بعباده الصالحين وأوليائه العارفين وأحبائه المقربين، وأن يميّتنا على محبتهم ويحشرنا في زميرهم آمين. والحمد لله رب العالمين.

فضل السند وأهمية الإسناد عند أهل الحديث

إن من منح الله سبحانه التي اختصت بها الأمة الإسلامية دون سواها أن قيض الله عز وجل لها رجالاً أمناء مخلصين بذلوا جهوداً عظيمة في سبيل حفظ سنن المصطفى ﷺ، منذ عصر ساداتنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إلى أن تم جمع الحديث النبوي الشريف في أمهات كتبه ومصنفاته.

ثم إن أعظم هذه الجهود التي بذلها ساداتنا العلماء في سبيل حفظ الحديث التزام السند، فلقد التزم الصحابة الكرام والتابعون ومن بعدهم طلب الإسناد في رواية الحديث؛ لأن السند للخبر كالنسب للمرء، ويفضل الإسناد حفظ الله تعالى دينه، وقد اشتهر بين أهل العلم والناس كافة منذ عصر التابعين عبارة العلماء: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. ويقول الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك رحمته الله: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. وقد نقل الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث عن محمد بن حاتم بن المظفر قوله: إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، إنما هي صحف بأيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تنهاى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر، حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدداً، فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة، نستوزع الله شكر هذه النعم).

هكذا انتقلت السنة النبوية الشريفة منذ صدر الإسلام إلى أن أتم الله جمعها في - أصول كتب الحديث - إذ لم يكن يقبل علماؤنا، رضوان الله عليهم، الخبر إلا عن الثقات الضابطين، ولا يعملون إلا بما رفع إلى سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه. فعن سفيان بن عيينة، رحمه الله، قال: "حدث الزهري يوماً بحديث فقلت: هاته بلا إسناد فقال الزهري: أترقى السطح بلا سلم؟" وقال سفيان الثوري رحمه الله: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿أَوْ أَتَنَزَّلَ مِنْ عَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: 4/46] هو الإسناد. قال عطاء: "أو شيء تأثرونه عن نبي كان قبل سيدنا محمد ﷺ". وجاء عن إمام الأئمة مالك بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44/43] قال: هو قول الرجل حدثني أبي عن جدي.

هكذا تضافرت جهود السادة العلماء في ضبط الحديث وطلب السند حتى أصبح الإسناد في زمنهم أمراً بديهياً مسلماً به عند العامة والخاصة لا عند العلماء فحسب، ويظهر هذا فيما يرويه الأصمعي فيقول: "حضرت مجلس ابن عيينة وأتاه أعرابي فقال: كيف أصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان: بخير نحمد الله، قال: ما تقول في امرأة من الحجيج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فقال هل من قدوة؟ قال نعم أمنا عائشة رضي الله عنها حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرها النبي ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف. قال هل من بلاغ عنها؟ (أي إسناد) قال نعم: حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها بذلك. قال الأعرابي: لقد استسمنت القدوة، وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد.

هكذا أخذ الإسناد المتصل، نصيبه من العناية والاهتمام منذ عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروي، وهو بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه، ويطمئن إلى صحة ما ينقل عندما ينتهي سنده المتصل إلى سيد الوجود ﷺ.

ولأجل بقاء هذا الاتصال والحفاظ على سلسلة أسانيد الأحاديث النبوية الشريفة سارت سنة سلفنا الصالح من العلماء العاملين بالإجازة لمن أخذ عنهم أن

يروى ما أجازوه به بسندهم المتصل الى أمهات كتب الحديث المسندة إلى سيد الوجود ﷺ، يقول ابن الصلاح: " اعلم أن الرواية بالأسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الأعصار قبله إثبات ما يروى، وإنما المقصود بها بقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة زادها الله كرامة".

ومن تمام فضل الله وكرمه فإن شيخنا محيي الطريق وخاتمة أهل التحقيق سيدي محمد بلقايد قدس الله روحه قد أخذ العلم والحديث عن أجلة علماء عصره وأجازوه، برواية أمهات كتب السنة خاصة صحيح البخاري ومسلم بسندهم المتصل، منهم محدث عصره الإمام الشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله، والشيخ الإمام سيدي أحمد بن محمد بن يلس عن الشيخ بدر الدين الحسيني، وكذا من طريق آخر عن الشيخ جعفر الكتاني رحمهم الله جميعاً.

وبهذا اتصل سنده قدس الله روحه بجده الأعظم ﷺ في علمي الظاهر والباطن. فالحمد لله على نعمه والشكر له على مزيد فضله وكرمه.

عِلْمُ التَّصَوُّفِ

علم يعرف به صلاح القلب، وسائر الحواس.

أي: يعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها المذمومة، كالحقد، والحسد، والغش، والغل، وطلب العلو، والكبر، والغضب، والطمع، والبخل، وتعظيم الأغنياء، وتحقير الفقراء، ونحو ذلك.

فهو كناية عن التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، وعمل بأنه الأخذ بالأحوط من الأمور، واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات.

وقال بعضهم: هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك.

وقال بعضهم: هو حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس.

وقال بعضهم: هو الإكباب على العمل والإعراض عن العلل.

أي: الانكباب والانهماك على العمل التكليفي، والبعد عما يعطل ثمرة ذلك العمل من الرياء ونحوه.

وقال بعضهم: هو استعمال الوقت فيما هو أولى به.

ولذا قالوا: الصوفي ابن وقته.

وقال الإمام الجنيد: هو أن يملك الحق عنك ويحييك به.

أي: يملك عن نظرك لنفسك، ويحييك بذكره ومناجاته، وهذا أعلى درجات التصوف. وقيل غير ذلك، والمعنى في الكل متقارب.

وقال القدوة "الشعراني": هو عبارة عن علم انقذح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة. فكل من عمل بهما انقذح له من ذلك علوم وآداب وأسرار، وحقائق تعجز الألسن عنها.

ويؤخذ منه أن علم التصوف إنما يدرك بالذوق وهو المعول عليه، ولذا قال بعضهم:

علم التصوف علم ليس يدركه إلا أخو فطنة بالحق معروف
وكيف يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف!؟

الحاصل: أن علم التصوف مأخوذ من الصفاء، وهو خلوص الباطن من الشهوات والكدورات، ومبناه على التمسك بآداب الشريعة والتباعد عن الشبهات، وحفظ الحواس من كل ما يغضب الله تعالى ومراعاة الأنفاس، فلا يضيع نفس في غير طاعة للتحرز من الغفلات، فإن الإنسان يخرج منه كل يوم وليلة مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نفس، ينبغي له أن يراعيها ولا يضيعها.

إصلاح الإنسان ظاهراً وباطناً:

وغايته: الفوز بأعلى المراتب في الآخرة.

وواضعه: العارفون الآخذون له عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالسند المتصل.

ونسبته: أنه فرع علم التوحيد، واستمداده من الكتاب والسنة.

واسمه: علم التصوف.

وحكمه: الوجوب.

ومسائله: قضاياها التي يبحث فيها عن العوارض الذاتية كالفناء، والبقاء، والمراقبة، والمشاهدة، والجلال، والجمال، وغير ذلك.

1- الصوفي:

أما الصوفي: فهو من تصفى من الكدر، وامتلئ من العبر، وانقطع لعبادة ربه عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

ولذا قيل :

يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي وعارفي لا تغالط أنت معروفني
إن الفتى من بعده في الأزل يوفي صافى فُصُوفِي لهذا سمي الصُوفي
وليس كمن قيل فيه :

لبست مرقعاً صوفاً وقلت أنا الصوفى ليس كما زعمت

■ أول درجات التصوف :

الإعراض عن الدنيا، ليدفع بذلك سائر الأخلاق الذميمة التي من جملتها الشح، ويتفرغ للتخلق بالأخلاق الحميدة من التوكل، والرضا، والمراقبة، والمحبة، والأنس، ونحوها. فمن تخلص عن الصفات الذميمة بالصفات الحميدة سمي صوفياً. فإذا أحل بأول الدرجات كان على أقبح القبيح من الصفات.

2- ضابط يجمع جمل معاني الأقوال في التصوف:

الصوفي: هو الذي يكون دائم التصفية. لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر. وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفر منها إلى ربه. فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقته وكدره. فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه، قال الله تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: 8/5] وهذه القوامه لله على النفس هي: التحقق بالتصوف.

والسر فيه: أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الإلهية، يعني أن روح الصوفي متعلقة مجذوبة إلى مواطن القرب وللنفس بوصفها رسوباً إلى عالمها وانقلاباً على عقبها، ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميع المتفرق في الإشارات.

هذا الاسم لم يكن موجوداً في زمنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقيل : كان في زمن التابعين.

اعلم : أن العلم ثمرة المأكول، فأكل الحرام لا ينشأ عنه إلا أعمال خبيثة محرمة، والحلال الصرف لا ينشأ عنه إلا الأعمال الصالحة، والمتشابه ينشأ عنه أعمال مختلطة لا تخلو عن الرياء والعجب والخواطر الرديئة.

3- رجال الله تعالى وفضل التصوف وأهله:

قال سيدي " محيي الدين بن عربي " في الفتوحات : رجال الله تعالى ثلاثة ضباط لا رابع لهم، عباد، وصوفية، وملامية وهم كمل الرجال.

■ 1- ضباط العباد :

إنهم رجال غلب عليهم الزهد، والتبتل. والأفعال الظاهرة المحمودة لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه، ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات، ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات، ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله.

■ 2- ضباط الصوفية :

إنهم رجال فوق هؤلاء العباد، لأنهم يرون الأفعال كلها لله مع ما هم عليه من الجهد، والاجتهاد، والورع، والزهد والتوكل وغير ذلك. ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم لا شيء. ولكنهم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لأهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى.

■ 3- ضباط الملامية :

الذين هم على قدم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب. ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها، يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة. وقد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون

عن عبوديتهم قط، ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم، فهم أرفع الرجال مقاماً، رضي الله عنهم أجمعين.

قال سيدي الأستاذ الإمام الشيخ محمود خطاب السبكي رحمه الله " فضل التصوف وفضل أهله كالشمس في رابعة الفلك".

ثم اعلم أنه لا يمكن السير إلى الله تعالى والتخلق بأخلاق الصوفية وغيرها من الأخلاق المرضية إلا بعد معرفة عقائد الإيمان، التي هي لسائر الأعمال كالروح للإنسان، إذ لا امتثال ولا عبادة إلا بعد معرفة الأمر الناهي المعبود، لأن الجهل بمعرفة ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز، ينافي كونه المقصود. وكل عاقل لا يؤمن بشيء إلا بعد إدراك أوصاف ما به يصدق حتى يعلم أنه الضار النافع لمن عصاه أو أطاعه، وأن وعده أو وعيده يتحقق. ولقد أجمع الصالحون على أن من لم يعرف ما يتعلق بربه سبحانه وتعالى من عقائد التوحيد يكون طريداً، فيخلد في العذاب الشديد. وقد تقدم أن التصوف فرع من التوحيد، فكيف يمكن للفرع أن يوجد بدون أصله؟!.

فضائل الذكر و التلقين

أولاً فضائل الذكر

اعلم أن فضل ذكر الله أشهر من أن يذكر وأكبر من أن يحصر. وهو بعد التوبة من أعظم أركان الطريق وأهمها. لأن المقصود من الذكر تخليص القلب من التعلق بما سوى الله تعالى. وهو أعظمها في ذلك؛ لأن كثرته توجب استيلاء محبة المذكور على القلب بحيث لا يبقى معها محبة السوى. وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة تنشأ عنها. ولكونه عمدة في الوصول إلى الله عزوجل وقع الحث عليه في القرآن المجيد والسنة المطهرة وتناوله أكثر الأئمة على أنه من أعظم القربات. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152/2] أي استحضروا جلالتي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطف والإحسان.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191/3] أي داوموا على الذكر في جميع الأحوال.

وقال تعالى في وصف المؤمنين الصالحين: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:

[41/33].

وختم أوصاف أهل الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾

[الأحزاب: 35/33].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُ فَكَبَّرَتْ بِأُذُنَيْهَا وَقَالَ اللَّهُ لَهَا فَاغْبِطِي وَلَا تُلْحِقِي بِالَّذِينَ كَفَرُوا لَعَلَّكُمْ تُفْحَشُونَ﴾ [الأنفال: 45/8].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 205/7].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: 8/73].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25/76]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكُر الله" (1).

وسئل رسول الله ﷺ: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة، فقال: "الذاكرون الله كثيراً" (2)، قال أبو سعيد: قلت: يا رسول الله ومن الغايزي في سبيل الله؟؟ قال: "لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل درجة" (3).

وقال رسول الله ﷺ: "من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر ذكر الله" (4). وقال ﷺ: "ما عمل آدمي عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى" (5). وقال رسول الله ﷺ: "ليذكرن الله

(1) رواه الحاكم في المستدرک برقم (1825) 1/673، وابن ماجه في سننه برقم (3790) 2/1245، والترمذي في جامعه الصحيح برقم (3377) 5/459، ورواه غيرهم.

(2) رواه الترمذي في جامعه الصحيح برقم (3376) 5/458، وأحمد في المسند برقم (11738) 3/75، ورواه غيرهما.

(3) رواه الترمذي في جامعه الصحيح برقم (3376) 5/458، وأحمد في المسند برقم (11738) 3/75، ورواه غيرهما.

(4) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (11121) 11/84، ورواه ابن حميد في مسنده برقم (641) 1/215، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب برقم (2297) 2/254.

(5) رواه الطبراني في الكبير برقم (352) 20/166، وفي الأوسط برقم (2296) 3/5-6، والسيوطي في الدر المنثور 6/467، ورواه غيرهما.

أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى" (1). وقال ﷺ: أكثرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حتى يقولوا مجنون" (2).

وعن معاذ رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أي المجاهدين أعظم أجراً؟ فقال: ﷺ: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً"، قال: فأبي الصالحين أعظم أجراً؟ قال: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً"، ثم ذكر السائل الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: "أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً"، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: "أجل" (3).

وعن أم أنس رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله أوصني، قال: "اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثرِي من ذكر الله فإنك لا تأتيين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره" (4).

وقال ﷺ: "ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها" (5).

وقال ﷺ: "ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة" (6).

(1) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (298) 124/2، والطبراني في الدعاء برقم (1860) 521/1.

(2) رواه الحاكم في المستدرک برقم (1839) 677/1، وابن حبان في صحيحه برقم (817) 99/3، وأحمد في المسند برقم (11692) 71/3، ورواه غيرهما.

(3) رواه أحمد في المسند برقم (15652) 438/3، ورواه ابن حجر الهيتمي في مجمع الزوائد 74/10، ورواه غيرهما.

(4) رواه الطبراني في الكبير برقم (182) 93/20، وفي مسند الشاميين برقم (446) 58/1، والسيوطي في الدر المنثور قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152/2] 363/1.

(5) رواه الطبراني في الكبير برقم (8316) 330/8، والسيوطي في الدر المنثور. قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152/2] 363/1.

(6) رواه أبو بكر القرشي في إصلاح المال برقم (330) 99/1 ونصه: عن أبي سلمة عن جده قال: كان رسول الله ﷺ عندنا بقاء، وكان صائماً فأتيناه عند إفطاره بقدح لبن وجعلنا شيئاً من عسل. رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل قال: "ما هذا، قلنا: يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً

وقال ﷺ: "من أكثر ذكر الله أحبه الله"⁽¹⁾، وقال ﷺ: "يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم". فقيل: "ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: "أهل مجالس الذكر"⁽²⁾.

وقال ﷺ: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ولا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم. قد بدلت سيئاتكم حسنات.

وعن عبدالله بن عمر قال: قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: "غنيمة مجالس الذكر الجنة"⁽³⁾. وقال ﷺ: "عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل". قيل: يا رسول الله. من هم؟ قال ﷺ: هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطيب الكلام كما ينتقي أكل التمر أطيبه". والأحاديث الواردة في فضل الذكر كثيرة. وفيما ذكرناه كفاية.

وأما كلمات الأكابر فكثيرة، منها ما قال الحسن البصري التابعي الأجل: "الذكر ذكران، ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل". وقال الفضيل: "بلغنا أن الله عز وجل قال: عبيد اذكروني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما".

ومن مخاطبات داوود عليه السلام لربه عز وجل: "إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي".

= من غسل. فوضعه فقال: أما إنني لا أحرمه، ومن تواضع رفعه الله عز وجل، ومن تكبر وضعه الله عز وجل، ومن اقتصد أغناه الله عز وجل، ومن بذر أفقره الله عز وجل، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله عز وجل".

(1) رواه ابن حبان في صحيحه. برقم (816) 98/3، وأورده المناوي في الاتحافات السننية برقم (219) 94/1.

(2) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه برقم (29477) 60/6، وأبو يعلى في مسنده برقم (4141) 167/7، وأحمد في المسند برقم (12476) 142/3، ورواه غيرهم.

(3) رواه السيوطي في الدر المنثور. قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152/2] 367/1، وأحمد في المسند برقم (6651) 177/2، ورواه غيرهم.

1- فضل الذكر:

الذكر أجل شيء أجدر بالفكر، وأحق عطية من عطايا الحق بالشكر، وأقوى سبب في حصيل الأجر، وأتم دواء لجلاء وانسراح الصدر، وأعظم نور يفوق البدر، وألطف قول عالي القدر، وأسرع كفارة لرفع الوزر، وأبرع تجارة لأهل التجر، وأنجح إجابة لأهل الضر، وخير هدية لأهل البر، ورأس الحكمة لأهل الشكر، وأزكى تحية لأهل الصبر، وأعلى إضاءة لأهل القبر، وأرجى كرامة لأهل الحشر، وأحلى صفة لأهل النشر، وأبهى حلية لأهل القدر.

وبالجملة: فضله مناظرته عديمة، وأهله طريقتهم قديمة، والوارد في شأنه يحيي العظام الرميمة، فليجعله شعاره ذو الطباع السليمة، فقد قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152/2]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41/33].

وقال ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم: ذكر الله" (1) رواه أبو الدرداء رضي الله عنه.

وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل، قال: أوصني بشيء.

فقال له فضيل: احفظ عني خمساً:

أولها: أن ما أصابك من شيء فقل: ذلك بقضاء الله تعالى حتى تدفع الملامة عن الخلق.

والثاني: احفظ لسانك لينجو كل الخلق منك، وأنت تنجو من عذاب الله تعالى.

والثالث: صدق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكون مؤمناً.

(1) حديث: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم. وأزكاها عند مليككم... " رواه الترمذي في جامعه وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرک کلهم عن أبي الدرداء. وقال السيوطي في الجامع الصغير (2/116): حديث صحيح.

والرابع: استعد للموت حتى لا تموت غافلاً.

والخامس: اذكر الله كثيراً حيثما كنت حتى تكون محصناً من جميع السيئات.

قال المرصفي⁽¹⁾ رحمه الله: مراد الشارع ﷺ، ومراد مشايخ الطرق من مريدهم إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأنس، ويصير قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر، بل يكون الحق مشهوده على الدوام تارة يشهد بقلبه، وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله، وأن الله يراه، وكلا الحالين إذا دام يمنعه العبد من وقوعه في المعاصي، وسوء الأدب مع الله تعالى وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة. وسمع مرة أخرى يقول من خاصية تمكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه، فمن لم يتهذب فكأنه لم يذكر، فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المريد بإكثاره من الذكر والله عليهم حكيم. قال الخواص رحمه الله: ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليساً للحق تعالى، كلما ذكر.

قال النوري⁽²⁾: ولا تنحصر فضيلة الذكر في التسبيح والتهليل والتحميد

(1) المرصفي: هو علي بن خليل المصري، ثم المدني، الشافعي، نور الدين، أبو الحسن، صوفي. كان أبوه إسكافياً يخطط النعال، ونشأ هو تحت كنفه، فوفق للاجتماع بالشيخ مدين، وهو ابن ثمانين سنين، فلقنه الذكر، وأخذ عنه خلق كثير. قال الشعراني: لقني الذكر ثلاث مرات متفرقة. له مؤلفات منها: المورد العذب شرح على الرسالة القشيرية وغيرها. من أقواله: إذا ذكر المريد ربه بقوة، طويت له مقامات الطريق بسرعة، وربما قطع في ساعة ما لا يقطعه غيره في شهر. توفي سنة 903هـ، وهو الأصوب، ويناسب أخذ الشعراني منه انظر: المناوي: الكواكب الدرية: 4/77. كحالة: معجم المؤلفين: 7/88، البغدادي: هدية العارفين: 1/742، الغزي: الكواكب السائرة: 1/269، الشعراني: الطبقات الكبرى: 2/116.

(2) النوري هو: أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادى، المنشأ والمولد. وقيل: هو خرساني الأصل من قرية بينهراة ومرو الروذ. يقال لها: بغشور، لذلك كان يعرف بابن البغوي. صحب السري السقطي، ومحمد بن علي القصاب، ورأى أحمد بن أبي الحواري. وتوفي أبو الحسين النوري رحمه الله سنة 295هـ. كان يقول: التصوف: ترك كل حظ للنفس. ويقول أيضاً: من وصل إلى وده، أنس بقربه، ومن توسل بالوداد، فقد اصطفاه من بين العباد. انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية ص164، أبو نعيم: حلية الأولياء: 10/249، ابن كثير: البداية والنهاية: 11/106.

والتكبير، ونحوها بل كل عامل لله تعالى بطاعة، فهو ذاك الله تعالى كما قال التابعي سعيد بن جبير رضي الله عنه وغيره من العلماء.

وقال الإمام القشيري: الذكر عنوان الولاية، ومعيار الوصلة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، وليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى المذكور، ومنشؤها من الذكر.

وقال سيدي محمد المنير: لا شيء أقرب لطريق الوصول إلى الله عز وجل من الذكر، فهو علم على وجود ولاية العبد المشتغل به، فمن وفق للذكر، فقد أعطي منشور الولاية. ومن سلب عنه الذكر، فقد عزل عن الولاية.

وقال أحمد الدردير أبو البركات: "اعلم أن الذكر أعظم أركان الطريق، لأن المقصود منها تخليص القلب عما سوى الله تعالى، وهو أعظمها في ذلك، لأن كثرتة توجب استيلاء المذكور على القلب حتى لا يكون فيه سواه، بل جميع الأركان تنشأ عنه، لأنه يورث القلب نوراً ساطعاً به يزهده في الدنيا، التي حبها رأس كل خطيئة".

ولذا قالوا: من أعطي الذكر فقد أعطي منشور الولاية.

فالمداومة عليه دليل على ولاية المشتغل به، ولكونه أعظم الأركان وقع الحث عليه في القرآن المجيد أكثر من غيره من الأركان.

وقال الإمام القشيري في الرسالة: ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بوقت معين، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله إما فرضاً وإما ندباً، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات، يعني بعد الإيمان. فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

يعني: وأما الذكر اللساني فقد يكره في بعض الأحيان كوقت الجلوس لقضاء الحاجة، قال "ذو النون": الذكر هو غيبة الذاكر عن الذكر، أي بأن يكون العبد مستغرقاً في المذكور. مع وجود الغيبة عن سوى المذكور، وهذه مرتبة العارفين المحققين من الأولياء.

2- مطلب حد الذكر:

قال "الغزالي": الذكر حقيقة هو استيلاء المذكور على القلب، وانمحاء الذاكر في الذكر، لكن له ثلاثة قشور، بعضها أقرب من بعض إلى اللب، واللب وراء القشور الثلاث، وإنما فضل القشر لأنه طريق إليه، فالقشر الأعلى ذكر اللسان فقط، فلا يزال الذاكر يوالي الذكر بلسانه ويتكلف استحضار القلب معه حتى يحضر، ولو تركه لاسترسل في أودية الأفكار حتى يشارك القلب اللسان، فعند ذلك تمتلئ الجوانح والجوارح بالأنوار، ويظهر القلب من أنس الأغيار، وينقطع الوسواس.

وقد سئل (الواسطي) عن الذكر، فقال: هو الخروج عن ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة، على غلبة الخوف وشدة الحب.

قوله: على غلبة الخوف، أي على نعت غلبة الخوف من الفتور والانقطاع عن الذكر وعلى نعت شدة الحب له، وهذا إشارة منه إلى أعلى أنواع الذكر لما علمت أنه قد يكون مع غفلة، ومع يقظة، ومع حضور، ومع شهود.

3- الإخلاص في الذكر:

قال الشعراني في (البحر المورود): أخذت علينا العهود ألا نطلب وقوع الراحة ما دمنا في هذه الدار، فإن درجاتنا في الجنة إنما هي على قدر التعب، وكيف يطلب عبد الراحة في هذه الدار والله تعالى يقول للرسول ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: 7/94]. أي إذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في كل أمر يأتيك في كل لحظة، فأين الراحة والفراغ. فما تنعم من تنعم في هذه الدار إلا لغفلته عما جعله الله عليه من الحقوق والسلام.

فاعلم ذلك وإياك من ظاهر قول بعضهم حب ونم، والله يتولى هداك.

ثم اعلم، أن الدرجة الرفيعة المتقدم ذكرها الثابتة لأهل الذكر، إنما هي للمخلصين الذين يعبدون الله لذاته حضر الناس أم كانوا غائبين، الذين يعلمون أن الله هو الضار النافع. ولذا قالوا: لا ينبغي للشخص أن يترك الذكر باللسان مع

القلب خوفاً من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد وجه الله تعالى، ولا يترك العمل لأجل الناس لأنه من الرياء، والعامل من يذكر الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم، ولا ينظر لفتح ولا كرامة ولا غير ذلك من وسائل النفس الأمانة، فاحذر يا أخي وأخلص لله في العمل ولا تطلب منه كرامة غير تأهيلك لخدمته، وكن عبد ربك لا عبد نفسك وهواك.

المحبيب عند الله من ادخر له جميع ما وعده به إلى الآخرة ليعطيه له في دار البقاء، لأن كل من أعطي شيئاً من محبوبات النفوس في هذه الدار نقص رأس ماله وخرج من الدنيا بخسارة، اللهم إلا أن يعطيه الحق تعالى شيئاً ابتداءً من غير ميل للنفس، فذلك محمول عن صاحبه إن شاء الله تعالى لا ينقص به رأس مال.

4- نصائح للذكر:

قال بعضهم "إياك ثم إياك أن تميل إلى شيء تألفه النفس، فإن السم معه ولا بد لنفوذ السم من معين، ولا معين له إلا النفس، فقليل له: بماذا يخرج العبد في ذكره عن العليل؟ فقال: إذا ذكر الله تعالى امتثالاً لأمره فقط لا سلماً لحصول شيء دنيوي أو أخروي والله غني حميد".

وقال سيدي محمد المنير: وحيث لازم الذاكر همته في الذكر، ولم يلتفت إلى الواردات ولا إلى الكرامات ولم يلاحظها، نال المراد وترد عليه علوم حتى يظن أنه فتح عليه بعلوم الأولين والآخرين، فإذا لاحظ ما يرد عليه من العلوم فهو سوء أدب، فيستحق العقوبة، وعقوبته في هذه الحالة أن يرد إلى حال الفهم، والفرق بين حال الفهم والعلم: أن العلم وجود يرد على القلب من حيث العلم، والفهم نظر إلى ذلك العلم، فإذا نظر إلى الفهم فقد أساء أدبه، وعقوبته أن يرد إلى حال الغفلة.

5- آداب الذكر:

اعلم: أنه لا يحصل لك الفتح إلا بالتخلق بآداب الذكر، لأن كل عبادة خلت عن الأدب فهي قليلة الجدوى، وأجمع الأشياء على أن العبد يصل بعبادته إلى حصول الثواب ولا يصل إلى حضرة ربه إلا إذا صحبه أدب في تلك العبادة.

ومن المعلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله، قال تعالى: "أنا جليس مَنْ ذَكَرَنِي" (1)، يعني ذكرني على وجه الأدب والحضور، وقال ﷺ "أدبني ربي فأحسن تأديبي" (2).

والمراد بالمجالسة: انكشاف الحجب للعبد أنه بين يدي ربه عز وجل، وهو يراه ومطلع عليه، فمتى أدام العبد هذا الشهود، فهو جليس الله، فإذا غاب عن ذكر الشهود خرج من حضرة الله.

وقد أشار بعضهم إلى أنه ليس المراد بحضرة الله تعالى مكاناً في السموات أو في الأرض أو غيرهما، كما قد يتوهمه الضعفاء.

وآداب الذكر كثيرة، فقد أوصلها بعضهم إلى ألف أدب، لكن يجمع هذه الآداب كلها عشرون أدباً، فمن لم يتخلق بها فبعيد عليه الوصول.

اعلم: أن منها خمسة سابقة على الذكر، واثنى عشر حالة الذكر، وثلاثة بعد الفراغ منه. فأما الخمسة السابقة على الذكر:

فأولها: التوبة: وحقيقتها الرجوع، وشرعاً الرجوع إلى الله تعالى عما هو مذموم في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

ثانيها: الطهارة الكاملة من غسل أو وضوء.

(1) حديث: "أنا جليس من ذكرني" رواه الديلمي في مسند الفردوس بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في شعب الإيمان عن أبي بن كعب، ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب عن كعب، وعند البيهقي أيضاً بألفاظ مختلفة في أوله عن أبي هريرة مرفوعاً، وقد رواه الحاكم وصححه بلفظه عن أنس. قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني".

(2) حديث: "أدبني ربي فأحسن تأديبي" رواه العسكري عن علي (رضي الله عنه) قال: قدم بنو نهد بن ويد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غورى تهامة... إلى نهاية الحديث "وجزم ابن الأثير في خطبة النهاية، وأخرج ابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق". فقال: ﴿حُدِّ أَلْفَوْ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199/7] انظر: مناقشة طويلة للحديث في كشف الخفاء للعجلوني: 70/1، حديث رقم (164) ولم يذكر السيوطي سوى رواية ابن السمعاني في الإملاء، وقال: عن ابن مسعود. وقال عنه: حديث صحيح، انظر الجامع الصغير: 14/1.

ثالثها : السكوت : والسكوت ليحصل له الصدق بأن يشتغل قلبه بالله ، ويذكر الله بالفكر دون اللفظ ، حتى لا يبقى له خاطر مع غير الله ، نجد أن الله غيور لا يحب أن يذكر ويذكر معه غيره ، ثم يتبع اللسان القلب .

رابعها : أن يستمد عند شروعه بهمة شيخه ويستحضره بين عينيه ليكون رفيقه في السير ، وقد قالوا : " خذ الرفيق قبل الطريق " .

خامسها : أن يرى استمداده من شيخه ، وهو حقيقة من رسول الله ﷺ لأنه هو الواسطة بينه وبينه .

وأما الاثنا عشر التي في أثنائه :

- 1- فالجلوس في مكان طاهر .
 - 2- ووضع اليدين على الركبتين كجلوس الصلاة .
 - 3- والتطيب .
 - 4- ولبس الحلال .
 - 5- والمكان المظلم إن وجد كالخلوة .
 - 6- وتغميض العينين .
 - 7- واستحضار شيخه بين عينيه .
 - 8- والصدق فيه من غير رياء .
 - 9- والإخلاص .
 - 10- والذكر بالصيغ الماثورة أو الاسم الذي لقنه له شيخه .
 - 11- واستحضار معنى الذكر بقلبه .
 - 12- ونفي كل موجود من القلب حال الذكر سوى الله تعالى .
- وأما الثلاثة التي بعد الفراغ منه :
- 1- فالسكون والسكوت مع ترقب واردة الذكر .

- 2- وكنتم النفس بقدر الطاقة أقلها ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر.
- 3- وعدم شرب الماء عقب الذكر إلا بعد ساعة أو نصفها؛ لأن الذكر يورث حرارة وشوقاً، والماء يطفئها.

6- فوائد الذكر:

للذكر فوائد جميلة. وعوائد جلييلة.

منها: توقف الإخلاص الكامل عليه دون غيره من العبادات.

قال العارف (الشعراني): وأما كون الإخلاص الكامل لا يحصل إلا بالذكر فهو كذلك، وقد ذكروا ذلك في كتبهم، فقالوا: إن أول ما يتجلى للعبد إذا اشتغل بالذكر توحيد الفعل لله تعالى، وتوحيد الملك لله تعالى، وتوحيد الوجود لله تعالى، فإذا تجلى توحيد الفعل له تعالى خرج كشافاً وبقيناً عن شهود كون الفعل له، وخرج أيضاً طلب الثواب عليه وعن الكبر والعجب والرياء به، ودخل في فضاء الإخلاص الكامل.

ومنها: زوال الهم الواقع في الدنيا.

قال الشعراني: فإن الهم والغم منها إنما هو بقدر الغفلة عن الله تعالى، فمن أراد دوام السرور، فليداوم على الذكر، فلا يلومن إلا نفسه إذا ترادفت عليه الهموم والغموم، فإن ذلك إنما هو جزاء بقدر إعراضه عن ربه عز وجل.

ومنها: ذهاب القسوة عن القلب.

قال الحكيم أبو محمد الترمذي رحمه الله ورضي عنه: " ذكر الله تعالى يرقق القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة، فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة ".

ومنها: خمود نار الأمراض الباطنة من كبر وغيره، إذ هو إكسيريها، فكما أن الإكسير يقلب الأعيان الخسيسة إلى نفيسة، فكذلك الذكر يقلب ظلمتها نوراً.

ومنها: قطع مواد الخواطر النفسانية والشيطانية.

ومنها: دفع كيد الأعداء الظاهرية والباطنية.

ومنها : منع ركوب الشيطان لعنه الله.

قال الشيخ أفضل الدين : إن الشيطان يركب كلما غفل عن ذكر الله تعالى ، فإنه دائماً واقف تجاه قلب العبد ، فكلما غفل عن ذكر الله استحوذ عليه ، وكلما ذكر الله نزل عنه ، فلو كشف لأحدنا لرأى إبليس لعنه الله يركبه كما يركب أحدنا الحمار ويصرفه كيف يشاء طول الليل والنهار.

وبالجملة فوائد الذكر لا تحصى وفوائده لا تستقصى ، والله أعلم.

ثانياً التلقين

1- سند القوم في التلقين:

إن دليل القوم في التلقين هو ما رواه (الطبراني)⁽¹⁾. و(البيزار)⁽²⁾ وغيرهما أن رسول الله ﷺ لقن أصحابه كلمة التوحيد جماعة وفرادى ، فأما تلقينهم جماعة فقال (شداد بن أوس)⁽³⁾ رضي الله عنه : كنا عند النبي ﷺ فقال : " هل فيكم غريب؟ " يعني من

(1) (الطبراني) هو : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، الطبراني ، أبو القاسم ، محدث. ولد بطبرية الشام سنة 260هـ في شهر صفر ، ورحل في طلب الحديث إلى العراق ، والحجاز واليمن ، ومصر ، وبلاد الجزيرة. سمع الكثير ، وتوفي بأصبهان. له مؤلفات منها : المعاجم الثلاثة الكبير ، والأوسط ، والصغير ، والدعاء في مجلد كبير ، وتفسير كبير. انظر ترجمته في كحالة : معجم المؤلفين : 4/ 253 ، ابن تغري : النجوم الزاهرة : 4/ 59 ، ابن كثير : البداية والنهاية : 5/ 270/11.

(2) (البيزار) هو : أبو بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، البصري ، البيزار ، قدم بغداد ورحل في خريف عمره إلى أصفهان ودمشق ، كان محدثاً ثقة. قيل : إنه اتكل على حفظه فأخطأ كثيراً. توفي رحمه الله في الرملة سنة 292هـ. ترك مؤلفات منها : مسنده ، وكتاب الصلاة على النبي. انظر ترجمته في : تاريخ التراث العربي : 1/ 316 ، كحالة : معجم المؤلفين : 2/ 36 ، البغدادي : هدية العارفين : 1/ 54.

(3) (شداد بن أوس) بن ثابت الخزرجي ، أبو يعلى الأنصاري ، صحابي جليل. شهد بدرأ ، وقيل : لم يشهدا ، وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم ، كان إذا أخذ مضجعه تعلق

أهل الكتاب، قلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب. وقال: "ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله" فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال ﷺ: "اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد". ثم قال ﷺ: "ألا فأبشروا، فإن الله قد غفر لكم" (1).

2- وأما تلقينه:

صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: "سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله. دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى، فقال: يا علي، عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سراً وجهراً، فقال علي رضي الله تعالى عنه: كل الناس ذاكرون، وإنما أريد أن تخصني بشيء فقال ﷺ: مه يا علي، أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله. ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله، ثم قال: يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله. ثم قال علي رضي الله تعالى عنه: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات. ثم قل أنت: لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع، ثم رفع رسول الله ﷺ

= على فراشه ويتقلب عليه ويتلوى، ويقول: اللهم إن خوف النار قد أفلقني، ثم يقوم إلى صلاته. وشداد: هو ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر المشهور. قال عبادة بن الصامت: كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم، نزل فلسطين وبيت المقدس، ومات سنة 57هـ، وقيل: سنة 58هـ، وقيل: سنة 64هـ عن خمس وسبعين سنة. انظر ترجمته في: ابن كثير: البداية والنهاية: 94/8/4، ابن قتيبة: المعارف: 2312، ابن حجر: الإصابة: 195/3/2، ترجمة رقم (3842).

وإنما أمر رسول الله ﷺ بغلق الباب إشارة إلى أن طريق القوم مبني على السر وصفاء الوقت، وأنه لا ينبغي أن يذكر شيء منه بحضرة من ليس منهم ولا يعتقد فيهم. 1هـ.

(1) حديث: "كنا عند النبي ﷺ فقال: هل فيكم غريب؟ يعني من أهل الكتاب" رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والبخاري، والطبراني في معجمه الكبير، والنسائي، وأبو الضياء في المختارة عن يعلى بن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت رضي الله عنه. انظر الحديث رقم (2835) من جامع الأحاديث: 555/1.

رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال: لا إله إلا الله ثلاث مرات، وعلي رضي الله تعالى عنه يسمع، ثم إن علياً رفع رأسه ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال: لا إله إلا الله ثلاث مرات، والنبي ﷺ يسمع". كذا في (مدارج السالكين) للعارف الشعراني ونحوه في (تحفة السالكين) لسيدي (محمد المنير).

وقال فيها: واعلم: أن التلقين للذكر أولاً كالبذرة تغرس لتنبت فروعها بعد ثبوت أصلها في قلب الذاكر، فيمتد بالورد منها بقدر همته والذكر نفسه مفتاح الفلاح.

3- فوائد التلقين:

ومن فوائد التلقين: ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله ﷺ ثم إلى الله عز وجل، وأقل ما يحصل للمريد الصادق إذا دخل سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك حلقة نفسه تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل. فمن لم يدخل في طريقهم بالتلقين. فهو غير معدود منهم، وإذا تحرك لا يجيبه أحد.

ثم اعلم: أنه ينبغي للمريد أن يعرف سند الطريق وسلسلة القوم، لأن من لا نسب له فهو لقيط في الطريق، وربما انتسب إلى غير أبيه.

4- فصل في مشروعية ذكر الاسم الأعظم*

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَبَنِّتْ إِلَيْهِ بَنِيلاً﴾ [المزمل: 8/73] أي انقطع إليه انقطاعاً، وهذا الانقطاع يكون في البداية في خلوة إلى أن يتمكن الاسم من الانطباع في ذات الذاكر وعوالمه، ثم يكون روحاً وتوجهاً واستمداً وتحققاً ومشاهدة بعد الخروج منها، إذ الكون كله يصبح عندئذ بالنسبة لمن انطبع فيه الاسم خلوة ومسجداً وطهوراً كما قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115/2].

وكما عبر عن ذلك الشاعر بقوله:

* طريق الله تأليف وجمع جماعة من مردي الزاوية البلقاندية الهبرية.

تجلى حبيبي في مرآتي جماله ففي كل مرأى للحبيب طلائع
فإن قيل ما هو اسم ربنا الأعظم الذي أمرنا بالانقطاع إليه؟ فالجواب هو
ما سمي به نفسه في القرآن الكريم عند خطابه للكليم سيدنا موسى عليه السلام
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14/20] أي إنه الاسم
"الله" قيل إنه ورد في القرآن 1560 مرة.

وقد أشارت إليه الآيات الكثيرة كقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: 39/
36]. ذكر العلامة الشعراني في كتابه كما سلف أن سيدنا علياً عليه السلام قال: سألت
رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله دلني على أقرب طريق إلى الله عز وجل وأسهلها
على العباد وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ: يا علي عليك بمداومة
ذكر الله تعالى سراً وجهراً. فقال علي عليه السلام: كل الناس ذاكرون وإنما أريدك أن
تخصني بشيء. فقال رسول الله ﷺ: يا علي أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي:
لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأراضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة
لرجحت. ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من
يقول لا إله إلا الله. فقال علي: كيف أذكر يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ:
أغمض عينيك واسمع مني. لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت: لا إله إلا الله
ثلاث مرات وأنا أسمع. وفي رواية للآملي في كتاب (نص النصوص):
"الله الله الله".

هكذا لقن رسول الله ﷺ علياً الاسم الأعظم ثم لقن علي الحسن البصري، ثم
لقن الحسن حبيباً العجمي، ثم لقن حبيب داوود الطائي، ولقن داوود معروفاً
الكرخي، ولقن معروف سرياً السقطي، وهو لقن أبا القاسم الجنيد البغدادي. وعلى
هذه السلسلة باقي المشائخ رحمهم الله.

قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض من يقول الله
الله" وفي رواية: حتى لا يقول أحد: "الله الله" رواه مسلم.

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ هل علمت أن الله
قد دلني على الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب؟ قالت: قلت: يا رسول الله

بأبي وأمي علمنيه، فقال: إنه لا ينبغي لك يا عائشة. قالت: فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت: يا رسول الله علمنيه قال: إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك إنه لا ينبغي لك أن تأتي به شيئاً للدنيا".

وروي عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " سألت الله الاسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزوناً مختوماً إلى أن قال: قالت عائشة: بأبي وأمي يانبي الله، علمنيه. قال ﷺ: يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء. وجاء في الحديث: أن العبد إذا قال "الله" صعد من فيه عمود من نور فينتشر في الأفق ثم يصعد إلى عنان العرش فيملاً الكون طراً فيقول له الله: كف. فيقول: وعزتك وجلالك لا أكف حتى تغفر لمن ذكر هذا الاسم فيقول: وعزتي وجلالي لقد آليت على نفسي قبل أن أخلق الدنيا لا أجره على لسان عبد من عبادي إلا وقد غفرت له.

يؤخذ من هذه الآثار ما يلي:

أولاً: أن أصل تلقين الاسم الأعظم "الله" من عند رسول ﷺ الذي أخذه من جبريل ولقنه إلى الإمام علي رضي الله عنه.

ثانياً: أن ذكر الاسم الأعظم بالانقطاع إليه بنية السلوك لا يكون إلا بالإذن الخاص من شيخ التربية الذي عنده الإذن لتلقين الاسم؛ لأنه ليس لكل مشائخ التربية الإذن في تلقينه. وذلك يظهر من خلال الأحاديث السابقة حيث إن النبي ﷺ لقنه علياً رضي الله عنه ولم يلقيه لعائشة رضي الله عنها. فهذا يدل على أنه لا يلقي إلا لبعض الخاصة بالإذن الخاص. ونغتنم هذه الفرصة لنصح جميع أهل الطريق بالاكتماء بذكر كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" ما لم يعط لهم الإذن الصريح الصحيح في ذكر الاسم الأعظم "الله". فلقد شاهدنا - والله على ما نقول وكيل - العديد من الأشخاص يذكرون الاسم من غير إذن صحيح، إما من تلقاء أنفسهم أو بأمر أدياء المشيخة الذين لا علم لهم بكيفية التربية. فسقطوا في أنواع من الجذب والاضطراب والشطح لا تمت بصلة إلى السلوك الروحي المحمدي. ويتبرأ منها ومن أصحابها جميع أولياء الله، فعلى المرید المؤمن أن يأتي البيوت من أبوابها لا من ظهورها، وإلا فالإفلاس أقرب إليه من فعله.

ثالثاً: أن أشرف طريق وأعظمها وأقربها وأفضلها في السلوك هي ذكر هذا الاسم الأعظم كما يظهر في سؤال سيدنا علي "دلني على أقرب الطرق وأفضلها...".

رابعاً: أن أصحاب الاسم الأعظم هم أهل الله وخاصته من خلقه، وأنهم هم الذين وصفهم الإمام علي في وصيته لكميل بقوله: بهم تمطرون وبهم ترزقون. ودليله قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض من يقول "الله الله". فهذا الحديث يشير إلى أنهم هم زبدة الخليقة من بني آدم وأقطاب دوائرها. وهم الذين أشار إليهم الحديث القدسي الذي يقول: "إِذَا كَانَ الْعَالِبُ عَلَى عَبْدِي الْأَشْتِغَالِ بِي جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي. فَإِذَا جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَذَّتَهُ فِي ذِكْرِي عَشِقْنِي وَعَشِقْتُهُ. فَإِذَا عَشِقْنِي رَفَعْتُ الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، لَا يَسْهُو إِذَا سَهَا النَّاسُ، أَوْلَيْكَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْلَيْكَ الْأَبْطَالُ حَقًّا الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عُقُوبَةً وَعَذَابًا ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُ ذَلِكَ عَنْهُمْ".

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المفرد هل هو مشتق أم لا؟ فمن قائل يقول إنه جامد غير مشتق، وهو مذهبنا إذ لا يجوز اشتقاقه أصلاً لتسمي الحق به قبل خلق المشتق منه، فإن الله قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: 65/19].

هل تعلم أحداً تسمى بالله غير الله؟ أو تعرف اسماً غير ما سمي به سبحانه نفسه؟ أو نقول هل تعلم أحداً يستحق كمال الأسماء والصفات ما يستحقه الله ويتصف به؟ أو نقول: هل تعلم اسماً هو أعظم من هذا الاسم المفرد؟ أو له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق، والذين يقولون باشتقاقه يقولون: إنه من الوله أي الذي يوله أي يقصد في طلب الحوائج ويفزع إليه في النوائب.

وهذا الاسم الأعظم دال على ذات الإله سبحانه وتعالى الذي قامت به الصفات فهو لا يشبهه شيء البتة. وهو اسم تفرد به الحق عزوجل واختصه لنفسه وقدمه على جميع أسمائه. وكل ما يأتي بعده من الأسماء نعت له وصفة لوصفه ومتعلقة به. لذلك كان ذكره أعظم قربة وأفضل عبادة؛ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45/29]. قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني ما معناه: الاسم الأعظم هو الله، "ويكون أعظم بالنسبة إلى الذاكر إذا لم يبق في قلبه سواه". أما كيفية ذكره فهي

هكذا : الله . الله . الله . بالمد وبدون حرف النداء ، وبإعطاء كل حرف حقه من التلفظ .

وذلك أن ذاكريه عند محاولتهم واستغراقهم الجهد واستغراق الهمة في امثال الأمر لذكروه ، دفعهم التوفيق الإلهي إلى لزوم إسقاط حرف النداء . وكل ذلك لما تطلبهم به حضرة القرب من الاستحضار والأدب بناء على أن أدوات النداء جاءت للبعيد لا لمن هو أقرب لنا من أنفسنا . وشاهد ذلك في القرآن حين يأتي بالنداء من قبل الله تعالى للعباد يجيء حرف النداء المقتضي للتبنيه والبعده كقوله تعالى : ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: 29/56] ، ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: 39/53] ، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حرف النداء "يا" هنا لتبنيه العباد الذين هم في غفلة عن الحق . ويقتضي البعد حتى يستشعر السامع بعظمة المتكلم وتعاليه وعزته فيعطي كلامه حقه من الإصغاء والأدب والامثال . أما إذا أتى القرآن بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 2/286] الآية ، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ﴾ [آل عمران: 3/191]... لأن حرف النداء كما قلنا للتبنيه .

والله منزّه عن التبنيه ويقتضي البعد ، والله أقرب إلى العبد من نفسه ، خصوصاً من الداعي كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 2/186] . وذلك حتى يستشعر الذاكر والداعي قربه من ربه فيزداد بذلك حضوراً وأدباً وعبودية وفناء .

قال سيدي أبو العباس المرسي رحمته الله : "ليكن ذكرك الله الله ، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمره ، فبساطه العلم وثمرته النور . وليس النور مقصوداً لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان . فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار لتضمنه جميع ما في (لا إله إلا الله) من عقائد وعلوم وآداب وحقائق ."

وقال تاج العارفين أحمد بن عطاء الله رحمته الله : "اعلم أن الأسماء الحسنی 1000 اسم ؛ منها 300 في التوراة ، و300 في الإنجيل ، و300 في الزبور ، وواحد في صحف إبراهيم ، و99 في الفرقان . وقد جمعت معاني تلك الأسماء كلها وأدخلت في 99 اسماً التي في القرآن واشتملت على أسرارها وثوابها . وأن الأسماء كلها ألف في جميع الكتب ، أولها اسم "الله" فمن دعا بهذا الاسم فقد دعا بجميع الألف التي في جميع الكتب المنزلة ."

ومن خصوصيته أنك إذا حذف..الألف..بقي " الله " ثم أن حذف..اللام الأولى..بقي " له "، ثم الثانية بقي " هو ". فكان كل حرف منه عام المعنى كامل الخصوصية ويقول أيضاً " هذا الاسم أعظم التسعة والتسعين اسماً، لأنه دال على الذات الجامعة لجميع الصفات الإلهية. وسائر الأسماء تدل آحادها على آحاد المعنى من علم ونحوه. ولم يرد عن العرب قبل النبي ﷺ ولا بعده أنه استعمل لفظ هذا الاسم على صيغته فضلاً عن وضعه صفة لغيره. وقبض الله تعالى بسط العقول والأرواح والقلوب في ميدان هذا الاسم كما بسطها في ميدان الأسماء، ولذلك لم يقع التجاسر ولا نسخ للأفكار للتسمية به مع وجود الجاحدين والفراغنة والطاغين وشدة كفرهم. ولذلك كان كل اسم من أسمائه يصلح للتخلق، إلا هذا الاسم فإنه للتعلق، فينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الاسم التعلق. وأعني به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، ولا يصح التعلق بهذا الاسم إلا بعد التخلق بجميع الأسماء قولاً وفعلاً. فالذاكر بهذا الاسم لا ينادي ولا يناجي مخلوقاً، بل الحق سبحانه، فلا يشترط إذن أن يكون ما يتفوه به كلاماً تاماً أو جملة مفيدة، كما يلزمه البعض إذ المذكور أعلم بحال الذاكر من نفسه، كما أن الذكر بهذا الاسم يساعد على تفرغ القلب من الاشتغال بغير المذكور ويثبت القلب على الوحدانية. وهذا من الحكم التي من أجلها اختاره أهل السلوك من الذاكرين كما قال الشيخ البناني في شرح الصلاة المشيشية: " قد اشتملت حروف الاسم على جميع أصول معاني أوصاف الذات العلية من طريق الإشارة. " فالألف " إشارة إلى الوحدانية. " واللام الأولى " إشارة إلى محو الإشارة " واللام الثانية " إشارة إلى محو في كشف الهاء...

بالألف تجلى الحق من أنانيته لقلوب الموحدين فتوحدوا به، وباللام الأولى تجلى الحق من أزليته لأرواح العارفين فانفردوا بانفراده، وباللام الثانية تجلى الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحبين فغابوا في بحار حبه، وبالهاء تجلى الحق من هويته لفؤاد المقربين فتأهوا في بيدااء التحير من سطوات عظمتة. فافهم " .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في (زبدة خلاصة التصوف) في حديثه عن لا إله إلا الله: اسم الجلالة من قولك "إلا الله" هو الاسم الأعظم للجناب

المعظم، فهو مقصود من كلمة الإخلاص. وإنما جاءت لفظة " لا إله " دالة عليه ومشيرة إليه كالحاجب بين يديه، ألا ترى أنه أتى بهذا الاسم آخر الكلمة مشيراً إلى أنه لا شيء بعده. ولفظه لا إله ننادي ولا شيء قبله " فله الأمر من قبل ومن بعد " ثم ابتداء هذا الاسم الشريف بحرف الألف لما فيه من الدلالة عليه والإشارة إليه، فإن معاني الربوبية مندمجة مندرجة في هذا الاسم مودعة فيه، فلذلك ابتداء بظهوره لعباده يستدلون به عليه ويصلون إليه؛ إذ لا سبيل إلى ذاته فدلهم بأسمائه وصفاته فجعل حرف الألف أول اسم الله وأول حروف المعجم وأول ما خاطب الله تعالى به عباده في أول الوجود بقوله سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172/7] فلما ابتداء به الحروف أشار إلى أوليته ثم جعله طويلاً ممتداً إشارة إلى سرمديته، وجعله قائماً معتدلاً إشارة إلى قيوميته وعدالته، وجعله صامتاً لا تجويف له إشارة إلى صمديته. وجعله منفرداً إشارة إلى فردانيته وأحديته. وجعله متصل به الحروف ولا يتصل هو بالحروف إشارة إلى افتقار خلقه إليه، وأن الله لغني على العالمين، فالطائف حول كعبة هذا الاسم أعني اسم الله تعالى أول ما يكشف في طوافه من سر هذا الحرف: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج: 28/22] ثم يسعى بين صفا اللام الأولى ومروة اللام الثانية فإذا تم سعيه وقطع مندرجة الألف واللام وقف على عرفات الهوية، فكأن قائلاً يقول عند الوصول إلى الهاء: ها هو المطلوب الذي تعزه القلوب وتحجبه الغيوب وإلى ذلك أشرت وقلت:

يا ساقى القلب من شذاه الكل لما سقيت تاهوا
 غابوا وبالسكر فيك طابوا وصرحوا بالهوى وفاهوا
 يا عاذلي خلني وشربي فلست تدري الشراب ما هو
 قم فاجتل صفوة المعاني في صفوة الكأس إذا جلاه
 واسمع إذا غنت المثنائي تقول يا هو لبيك يا هو
 ما قلت للقلب أين حبي إلا وقال الضميرها هو
 ما شرب الكأس واحتساه إلا محب قد اصطفاه

ثم اعلم أن (هو) في خاتمة هذا الاسم الشريف فيه معنى لطيف، وهو أن قولك (هو) حرفان (هاء وواو).

فالهاء: حرف يخرج من آخر مخارج الحروف، لأنه يخرج من داخل الحلق فهو آخر الحروف مخرجاً.

والواو: حرف يخرج من بين الشفتين، وهو أول مخارج الحروف. فهو أول الحروف مخرجاً. فأشار إلى ذاته بهذين الحرفين، فقال: هو مشيراً إلى أنه هو الأول وهو الآخر لا أول قبله ولا آخر بعده، تنزهه عن الحلول والنزول، لا كما يخطر للعقول فإذا سمعت ووسعني قلب عبدي المؤمن. فاعلم أن القلب غيب والرب غيب فاطلع الغيب على الغيب فكان نزولاً لا حلولاً...

روى أبو بكر الشبلي، رحمه الله، قال: "لقيت جارية حبشية مولهة وهي تجيء وتسرع في سيرها، فقلت لها: يا أمة الله رفقا عليك والطفني بنفسك. فقالت: "هو هو" فقلت لها: من أين أقبلت؟ فقالت: "من هو" فقلت لها: وأين تريدان؟ قالت: "هو" فقلت: ما تريدان "من هو"؟ قالت: "هو". فقلت: لها ما اسمك؟ قالت: "هو". فقلت لها كم ذكر "هو"؟ فقالت لا يفتر لساني عن ذكر "هو" حتى ألقى "هو" ثم قالت:

وحرمة الود ما لي عنكم عوض وليس لي في سواكم بعدكم غرض
ومن جنوني بكم قالوا به مرض فقلت؟ لازل عني ذلك المرض
قال الشبلي: يا أمة الله ما تعنين بقولك "هو" الله تريدان؟ قال: فلما سمعت
بذكر الله شهقت شهقة فاضت منها نفسها رحمة الله عليها.

قال: فأردت أن آخذ في تجهيزها ودفنها فنوديت يا شبلي من هام بحبنا، وتاه في طلبنا، وتوله بذكرنا، ومات باسمنا، اتركه لنا فديته علينا.

قال الشبلي: فالتفت أنظر من المنادي والمتكلم؟ فسترت عني وحجبت عنها، فلم أدر أرفعت أم دفنت؟ رحمة الله عليها.

وذكر الشيخ ابن عربي في الفتوحات: "دخلت على شيخنا أبي العباس العربي

من أهل العلياء " وكان مستهتراً بذكر الاسم الله لا يزيد عليه شيئاً فقلت له : يا سيدي لم لا تقول " لا إله إلا الله " فقال لي يا ولدي " الأنفاس بيد الله ما هي بيدي، فأخاف أن يقبض الله روعي عندما أقول " لا إله " فأقبض في وحشة النفي ".

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي " لقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة. فلما علم الله صدق نيتي قبض لي ولياً من أوليائه فقال لي : يا بني اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده، واخل بنفسك واجمع همتك وقل : الله، الله، الله...

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسال عن الخبر وقال أيضاً في مشكاة الأنوار : " ما دمت تعتمد على رياسة العلم والجاه فلا بد من النفي والإثبات ب(لا إله إلا الله). وما دمت ترى في الوجود سواه فلا بد من (لا إله إلا الله). فإذا غبت عن الكل في مشاهدة صاحب الكل استوحشت من نفي (لا إله) ووقفت على إثبات (إلا الله) ﴿قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91/6]. وقال : افتح باب قلبك بمفتاح قولك : " لا إله إلا الله " وباب روحك بقولك : (الله) واستنزل طائر سرك بقولك : " هو هو " .

وفي نفس المعنى يقول ابن عطاء الله : " أهل التوحيد أربعة أصناف في ذكر توحيدهم الواحد.

■ الصنف الأول :

قالوا : (لا إله إلا الله) بين النفي والإثبات، نفي الأوهام عن الأفهام، وإثبات الواحد عن الضد والند.

■ الصنف الثاني :

قالوا (الله) اقتصروا على ذكر الاسم المفرد من غير نفي، إثبات في إثبات ورأوا أن الإثبات بعد النفي وحشة وجفاء.

■ الصنف الثالث :

قالوا: " هو هو " حق بحق إثبات الإثبات وهو الذكر الدائم الخفي وهو ذكر القلب.

■ الصنف الرابع :

خرسوا فلم ينطلقوا وفنوا به عنهم وغابوا عن ذكر التوحيد بمشاهدة المذكور الواحد فكان ذكر توحيدهم عياناً لا لساناً.

وسئل الشيخ أبو سعيد رحمه الله: " كيف ارتفع شأنك؟ فقال: اجتمعت بشيخي أبي الفضل فقادني إلى الخانقاه -أي الزاوية- فأخذ كتاباً وجعل ينظر فيه، فسألت نفسي كما هي عادة طلاب العلم: في أي فن هذا الكتاب؟ فأدرك الشيخ أبو الفضل ذلك وقال لي: يا أبا سعيد، إن المئة وأربع وعشرين ألف نبي الذين أرسلوا إلى الناس بعثوا ليعظوا بكلمة واحدة.

لقد أمروا بأن يقولوا للناس قولوا " الله " واستغرقوا فيها. فالذين استمعوا إلى هذه الكلمة رددوها حتى صاركيانهم كله هذه الكلمة، ولما تغلغلت في قلوبهم ونفوسهم واستغرقوا فيها تحرروا.. فقلت أيها الشيخ بما تأمر؟ فقال: ادخل وافن في هذه الكلمة... وذات يوم قال يا أبا سعيد لقد انفتحت لك أبواب حروف هذه الكلمة والآن تغزو حشود الألفاظ الإلهية صدرك فترى أودية مختلفة. ثم قال: لقد قبلت، فانهض وابحث لنفسك عن خلوة تعرض فيها عن نفسك وعن الدنيا واستسلم لإرادة الله. فقال: فمكثت سبع سنوات مردداً " الله الله الله " ... إلى أن قال: حتى أخذت كل ذرة في وجودي تصرخ قائلة: " الله الله الله ".

وقال المفسر الفخر الرازي في تفسيره الكبير عند الكلام عن البسملة: "واعلموا أيها الناس إنني أقول طول حياتي " الله " ، وإذا مت أقول " الله " ، وإذا سئلت في قبري أقول: الله. ويوم القيامة أقول: " الله " . وإذا أخذت الكتاب أقول: " الله " . وإذا وزنت أعمالي أقول: الله. وإذا جزت على الصراط أقول: الله. وإذا دخلت الجنة أقول: الله. وإذا رأيت الله أقول: الله...".

وينبغي على ذاك هذا الاسم الأدب كل الأدب، لأنه في حضرة مذكوره. والله يقول: "أنا جليسٌ مَنْ ذَكَرَنِي".

روي أن فقيراً في مجلس الشبلي صاح "الله" فقال له الشبلي: "يا هذا إن كنت صادقاً فقد اشتهرت وإن كنت كاذباً فقد هلكت".

وصاح رجل عند أبي القاسم الجنيد رحمه الله. فقال الجنيد: "يا أخي إن كان من ذكرته شاهداً لك وأنت حاضر معه فقد هتكت الستر والاحترام والغيرة من شيم أوصاف المحب المستهام. وإن كنت ذكرته وأنت غائب فذكر الغيبة غيبة والغيبة حرام. ويقول الجنيد رحمه الله ورضي عنه: ذاك هذا الاسم ذاهب عن نفسه متصل بربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشرته وصفا شرابه من كأس خصوصيته، قد تجلى له المذكور في الذكر فغاب إحساسه في الفكر. فإن تكلم فبالله، وإن سكت فعلى الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله ومن الله وإلى الله وله بعد هذا ما تضحل به الإشارة وتنقطع عنه العبارة. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ. وَأَنَّهُ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24/8].

هذا: وإذا ذكر الاسم في الحضرة يذكر بالصدر فيسمى حينئذ اسم الصدر لأنه ذكر القلب، ولأن حروفه صدرية قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: 75/11]، وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114/9].

جاء في كتاب نور التحقيق في صحة أعمال الطريق للشيخ حامد إبراهيم: الأواه: هو الذي يكثر التأوه وهو كناية عن فرط رحمته ورقة قلبه. قال عقبه بن عامر: إنه الكثير الذكر لله تعالى، وقال رسول الله ﷺ لرجل يقال له النجادين: "إنه أَوَّاهٌ" وذلك أنه كان كثير ذكر الله.

وروى القرطبي وابن جرير كان إبراهيم عليه السلام يقول: "آه من النار قبل أن لا تنفع آه". وروى أبو ذر: كان رجل يكثر الطواف بالبيت، ويقول في دعائه: أوه، أوه، بتسكين الواو. فشكاه أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال: "دعه فإنه أواه". فخرجت ذات ليلة فإذا النبي ﷺ يدفن هذا الرجل ليلاً ومعه مصباح. وقال رسول الله صلى

عليه وسلم: "الأواه هو الخاشع المتضرع" أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن شداد. وقال الحافظ الغماري مرسل.

وقد وصف الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بالأواه في موضعين من القرآن مادحاً إياه والمدح. أمر بالفعل لما في ذلك من اقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام فيصير المقتدي ممدوحاً مثله، وخاصة أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123/16].

فلم تنسخ شريعة الإسلام ملة إبراهيم عليه السلام كما نسخت شرائع غيره من الأنبياء السابقين. ومن المعلوم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان من أولي العزم من الرسل، والرسل جميعاً ذكروا الله على كل أحيانهم.

روى مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه". فسيدنا إبراهيم عليه السلام كان في تأوّهه ذاكراً لله لا شك فيه. يؤيد هذا ما ذكره الإمام الرافعي في ذكر أخبار قزوين ونقله عنه سيدنا جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا عليل يئن، قلنا له اسكت فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: "دعوه يئن؛ فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه العليل". رواه الديلمي في مسند الفردوس ونقله الحافظ بن حجر العسقلاني في زهر الفردوس وهذا لفظه:

عن عائشة قالت: "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت مريض يئن فمنعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حميراء. أما شعرت أن الأنين اسم من أسماء الله عز وجل يستريح به المريض".

وفسر العلامة المناوي الأنين بآه وقصره على ذلك ووافقه العزيز والباجوري والجهيني والقواقجي ومن على شاكلتهم من العلماء والأولياء.

قال العلامة الأمير في حاشيته على (جوهرة التوحيد) عند قول المصنف: "حتى الأنين في المرض كما نقل "ينبغي للمريض أن يقول آه لوروده اسماً من أسماء الله تعالى ولا يقول "أخ" لأن "أخ" اسم من أسماء الشيطان.

وقال الجهيني في أصدق النصائح: إن "أه" اسم جليل لله سبحانه.

وكما أنه من أحب شيئاً أكثر من ذكره، ومن أكثر من ذكر شيء أحبه. كذلك من خشع وتضرع أكثر من التأوه، ومن أكثر من التأوه تحقق بالخشوع والخضوع. والوسائل لها حكم المقاصد. وما لا يتوصل إلى المطلوب إلا به فهو مطلوب. ولهذا فضله السادة الشاذلية واتخذوه وسيلة لزيادة جلاء القلوب وتعميرها بأصدق الأحوال وتقلبها في أرقى المقامات بعد أن أكثروا من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وأكثروا من الذكر بكلمة التوحيد والاسم المفرد.

وأهل الطريق لهم في بيان أسراره وإظهار سواطع أنواره مما شاهدوه حس ومعنى من الذكر به، وجدان وذوق مما لا تدركه العقول المعقولة بالغفلة ولا تتحملة القلوب المحجوبة بالهوى والشهوة.

قال الإمام البوني في كتاب (شمس المعارف الكبرى في علم طبائع الحروف): "إن من الحروف ما هو مائي ومنها ما هو ناري ومنها ما هو من الطبيعتين الآخرين. ويختلف تأثير الأسماء على قدر اختلاف طبائع الحروف المكونة لها. فإذا كانت الحروف النارية والمائية متساويتين في الاسم مثلاً كانت درجة تأثيره معتدلة، وإذا كانت الحروف النارية أكثر زادت حرارة تأثير الاسم بقدر هذه الزيادة".

وهكذا.. وأسماء الله سبحانه وتعالى يختلف تأثيرها في القلب تهيجاً وتلطيفاً باختلاف طبائع الحروف المكونة منها ويتحقق ذلك عملاً.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

فاسم الجلالة " الله " يتكون من أربعة حروف (أ، ل. ل. ه) الألف والهاء من الأحرف النارية، واللامان من الأحرف المائية، فتأثيره في القلب معتدل فيذكر الإخوان به مع مد اللامين فتتعادل الحرارة والرطوبة، ثم ينتقلون إلى الاسم المضمّر، وفيه تسقط اللامين في الصدر، ويصبحان لاماً في الصورة ويكون تأثير حرارة الاسم ضعف الرطوبة، وبالتكرار مع الإسراع تشتد الحرارة فتحرق ظلمات الحرام والشهوات والأغيار. ويزداد جلاء القلب. ثم ينتقلون إلى الذكر باسم الصدر وحرفاه من الحروف النارية فتشتد حرارة الذكر وتقضي على البقية الباقية من الأغيار

ويتولد من استمرارها نور يملأ القلب ويسري في البدن ويجري في جسم الذائر
مجرى الدم فيمنع الشيطان ويمتزج بالدم واللحم والعظم ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23/39].

وهذا من الفوائد الملموسة عند ملازمة هذه الأذكار، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا
فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: 40/24].

ونختم هذا الفصل بكلام شيخ شيخنا سيدي محمد الهبري قدس الله سره،
كتب في إحدى رسائله ناصحاً لمريده: " .. وعليكم بالغيبة في الله. واجعلوا قلوبكم
بيت الله، وأجسادكم مكة الله وسركم حرمه، ولا تغفلوا عن الطواف بالبيت المعظم
عند الله والتعظيم لمكة الله والسريان في حرم الله، وعليكم بالجد في ذكر الاسم
الأعظم الجامع الكافي اسم الجلالة "الله" حتى يكون الإنسان كصدر الليث
لا ينقطع منه الزئير. وذكر الاسم لا يستغني عنه مبتدئ ولا منته ولا متوسط. ومن
لزمه حتى يمتزج بدمه ولحمه وعظمه وعروقه. فلا يحجزه شيء ولا يخاف من شيء.
ويكون الإنسان هو عين كل شيء حتى إذا قال للشيء كن كان بإذن الله تعالى ".

وكان يقول:

من غاب في الله عن كل شيء صار هو عين كل شيء
وكان ينصح قائلاً "يا أيها الفقير لا تقل أنا في شيء ولا على شيء وقل "الله
الله" تصل إلى الله".

ضرورة وجود شيخ كامل مرّب

أولاً: قول سيدنا ومولانا الإمام العربي الدرقاوي

يقول سيدنا ومولانا العربي الدرقاوي الحسيني رضي الله عنه في رسالة من رسائله:

فقد كان الفقراء أهل الزمان الأول رضي الله عنه لا يحرصون أو نقول لا يجتهدون إلا فيما يميت نفوسهم ويحيي قلوبهم. ونحن على عكسهم. فلا نحرص إلا على ما يميت قلوبنا ويحيي نفوسنا، إذ لا يحرصون إلا في ترك شهواتهم، وفي إسقاط منزلة أنفسهم. ونحن لا نحرص إلا على شهواتنا. ورفعنا منزلة أنفسنا، وقد جعلنا الباب وراءنا والحائط قدامنا، وما حملني على ما أقول لكم إلا ما رأيت من المواهب التي أعطى الله لمن ماتت نفوسهم، وحييت قلوبهم. وقد قنعنا نحن بما دون ذلك. ولا يقنع بالوصول إلا جهول.

وقد تفرست: هل معنا من المواهب غير ما ذكرنا من وقوفنا مع شهواتنا ورفعنا منزلة أنفسنا؟

فظهر لي - والله - مانع آخر وهو قريحتنا، إذ المعاني لا ترد غالباً إلا على من له قريحة كبيرة بقلبه، وتعلق كبير برؤية ذات ربه، فهذا هو الذي ترد عليه معاني ذات ربه حتى تفنيه فيها عن توهم وجود غيرها، إذ هذا شأنها مع من له تعلق بها دائماً، بخلاف من ليس له قريحة إلا في تحصيل العلم فقط، أو في تحصيل العمل فقط، فهذا لا ترد عليه المعاني، ولا يفرح بها، لأن همته منصرفه في غير ذات ربه، والله تعالى يرزق العبد على قدر همته. ولا شك أن لكل أحد من الناس من المعاني مثل ما للبحر من الأمواج لكن الحس قد استولى عليهم، فأخذ قلوبهم وجوارحهم، ولم يتركهم لها، إذ هو ضدها، والضدان لا يجتمعان.

ونرى أن الوصول لا ينال بكثرة الأعمال ولا بقلتها، إنما ينال بمحض الكرم. كما قال ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله رحمته في حكمه:

"لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه، ونعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه."

ومن فضل الله وكرمه وجوده وجود الشيخ المرابي، ولولا ذلك لم يجده ولم يظفر به أحد، لأن معرفة الولي أصعب من معرفة الله، كما قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي رحمته. وفي الحكم العطائية:

"سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه."

ويقول أيضاً ولي الله تعالى سيدي مولاي العربي الدرقاوي رحمته وأرضاه ما نصه:

"إذ لا شك أن سيد أهل السماء وسيد أهل الأرض مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان موجوداً ظاهراً واضحاً كشمس على علم. ومع ذلك لم يره كل منا إنما رآه البعض، وأما البعض فقد حجبهم الله عنه كما حجب غيرهم من الأنبياء عليهم السلام ومن الأولياء رحمته من أهل وقتهم حتى كذبوهم ولم يؤمنوا بهم، وشاهد ذلك في كتاب الله تعالى ﴿وَتَرَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198/7]، ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْشَى فِي الْأَشْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7/25] على غير هذا مما في كتاب الله، وقد كاد أن يكون ثلثاه أو أكثره كله في تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ومن الذين لم يروه صلى الله عليه وسلم أبو جهل لعنه الله، إنما رآه يتيم أبي طالب. وكذلك الشيخ المرابي إن وجد، تارة يرى تجريد المعنى للمريد في الجوع فيجوعه وتارة في الشبع فيشبعه، وتارة في تكثير الأسباب وتارة في تقليلها، وتارة في النوم وتارة في السهر، وتارة في الفرار من الناس وتارة في الاجتماع بهم والاستئناس بهم. وهكذا لأن نورانيته ربما تقوى عليه فيخاف المرابي عليه أن تمحقه كما محقت كثيراً من المريدين قديماً وحديثاً، فلذلك يرده عن العزلة إلى الاستئناس بالناس لعله

يضعف ويسلم من المحقق كما إنه إذا ضعفت نورانيته يرده إلى حال العزلة، فإنه يتقوى وهكذا. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: 42/53]. وقد كادت التربية أن تتعذر لقلّة من بقلبه قريحة، وحكمة الله لا تنقطع. ونرى أن الطريقة لا بد أن يقوم أمرها بحول الله وقوته؛ إذ هي مأخوذة عن شيوخنا عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن سيدنا جبريل عليه السلام عن الله عز وجل. فكل من تصدر لها فإن ذلك بإذن من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والأشياخ عليهم السلام، كما قال ولي الله تعالى سيدي المرسي عليه السلام "ما تصدر أستاذ للمريدين إلا بعد أن فاضت عليه الواردات، وكان له الإذن من الله ورسوله وبركة الإذن وسره. به يقوم أمرها ويستقيم حال أهلها والله أعلم" ولأجل ما ذكرنا من تعلق القلب برؤية ذات ربنا، وليس ذلك قط لأحدنا إلا بعد فناء أنفسنا ومحوها واضمحلالها وذهابها وزوالها. قال ولي الله تعالى سيدي أبو المواهب التونسي عليه السلام "الفناء محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال" وكما قال ولي الله تعالى سيدي أبو مدين عليه السلام "من لم يمت لم ير الحق" وكما عند كافة شيوخ الطريقة عليهم السلام. وإياكم أن تعتقدوا أن الأشياء اللطيفة أو الكثيفة هي التي حجبنا عن ربنا، والله إنما حجبنا عنه الوهم، والوهم باطل كما قال ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله عليه السلام في حكمه: "ما حجبك عن الله وجود موجود معه". ونرى - والله أعلم - أن الفناء يحصل إن شاء الله في أقرب مدة بكيفية في ذكر اسم الجلالة "الله" وقفت عليها عند الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي الحسن الشاذلي عليه السلام في بعض الكتب عند أحد من الفقهاء إخواننا من بني زروال، أنقذهم الله من كل ضلال. وعلمنيها أيضاً أستاذي الشريف المربي أبو الحسن سيدي علي عليه السلام إلا أنها على وجه آخر أقرب وأصوب، وهي أن تشخص حروف الاسم الخمسة عند قولنا الله الله الله. ومهما زهقت عن تشخيصها رجعت إلى تشخيصها، ولو زهقت عنها ألف مرة بالليل وألف مرة بالنهار ورجعت إليها ألف مرة بالليل وألف مرة بالنهار، فأنتجت لي هذه الكيفية فكرة عظيمة؛ إذ كنت عليها في بداية أمري ما يزيد على الشهر من الأيام، فكانت تأتيني بعلوم وهبية ولا أشتغل بها قط، إنما أشتغل بذكر الاسم وتشخيص حروفه، حتى أتتني بعد شهر بقول الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3/57] فأعرضت عن قولها كما كان شأني معها واشتغلت بشغلي، فلم تتركني هي، بل تسلطت علي ولم تقبل

إعراضي عن قولها قط، كما كنت لا أقبل عملها ولا أسمعها، ولكن لما لم تتركني قلت لها. أما قوله سبحانه: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» [الحديد: 3/57] فقد فهمته، وأما قوله: والظاهر فلم أفهمه إذ لا نرى ظاهراً إلا المكونات، فقالت لي: لو كان المراد بقوله تعالى والظاهر غير الظاهر الذي نرى لكان ذلك باطناً ولم يكن ظاهراً، وأنا أقول لك: والظاهر، فتحققت بالألا موجود إلا الله، وليس في الأكوان إلا إياه، والحمد لله والشكر لله، والفناء في ذات ربنا يتحقق - إن شاء الله - بالكيفية التي وصفنا في ساعة قريبة؛ لأنها بها ينتج الفكر من الصباح على المساء إن كان العزم قوياً، وقد ينتج الفكر بها بعد شهر من الأيام، والله أعلم. ولا شك أن الفكر إن حصل لأحد بعد سنة أو سنتين أو ثلاث، فقد تحصل على خير كبير وسر واضح شهير، إذ جاء في الخبر "تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة"⁽¹⁾.

إذ لا شك أنه قد يرحل صاحبه من عالم الكون إلى عالم الصفاء، أو نقول: من حضرة المخلوق إلى حضرة الخالق، والله على ما نقول وكيل.

ونؤكد على كل من رجع من حال الغفلة إلى حال الذكر أن يعلق قلبه برؤية ذات ربه دائماً لتمده بمعانيها، كما هو شأنها مع من له تعلق بها، وألا يستغني بالواردات عن الأوراد لثلا يمنعه ذلك من الحصول على المراد، والسلام.

ثانياً: قول السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري

قال السيد محمد بن الصديق الغماري الحسني - قدس الله سره - في بعض ما كتبه من الإنجازات في الطريق⁽²⁾.

أما بعد:

فلا يخفى على ذوي البصائر والعقول أن الفنون كلها لا بد فيها من واسطة، ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه، ولو حصل فيه على الغاية القصوى، فبركة

(1) يشير إلى قوله ﷺ: "فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة". رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة.

(2) البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى الإمام علي كرم الله وجهه.

الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه، فمن رزقها رزق الفن وبركته، ومن حرمها حرم الفن وبركته، وهو أمر لا يحتاج إلى برهان إذ ليس الخبر كالعيان.

ولما كان التصوف أولها بذلك وأحقها بما هنالك، وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت إليه، بل هو عندهم لقيط لا أب له وسقيط لا طعم فيه، بل حتى لو فرض أن شيئاً من المعارف والأذواق قد حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة. فالمتعين عليه أن يستند إلى الواسطة أديماً مع الشريعة المطهرة، إذ جاءت باعتبارها وأمرت بشكرها، وأيضاً فإن الاستناد إليه فيه كمال ورفعة قدر وجلال؛ لأن فيه خروجاً من رعونات النفس والأنانية إلى رفعة التواضع والعبودية، وناهيك بها عزاً وشرفاً ورفعةً وفخراً.

إذ هي سبب للحرية، بل هي في الحقيقة عينها، ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام واسطة، مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل. ففي تقديم المفضول على الفاضل رفعة لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل، وانظر إلى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يفتح لك الباب، وتفهم سر الخطاب.

فما عظمت الحرية في أحد إلا وكانت العبودية فيه أعظم. إذ ما تشرف من تشرف إلا بها، وما طرد من طرد إلا بالدعوى والركون إلى الحرية والأنانية، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح. وقد قال الجنيد رضي الله تعالى عنه سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته إلا على يد عبد من عباده.

وقال القطب أبو العباس أحمد المرسي رحمته الله ما صارت الأبدال أبدالاً إلا بمجالسة أمثالنا. لذلك وجب علينا أن نذكر سندننا ونبين نسبتنا في هذه الطريق الدرقاوية التي هي لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية، المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصصة بالنفحات الربانية. إذ في اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الإلهية، واستنزال للنفحات القدسية، وتحريك للسلسلة النبوية.

مع أن الإسناد من الدين في كل وقت وحين، طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر. ثم ذكر سنده الآتي، ثم قال: وليكف الإنسان شرفاً وفخراً أن يعرف رجال هذه السلسلة النورانية المحمدية؛ فإنها سلسلة الذهب الإبريز التي من تمسك بمحبة رجالها نال رضا الملك العزيز.

وأما من دخل فيها وكان حلقة من حلقاتها فلا يصف الواصف فضله، ولا يلحق أحد شأوه وقدره. فقد قال القطب الشعراني رحمته الله في فوائد النسبة العامة: إن المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا، رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف غير المنتسب، فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده اهـ.

وقال العارف الشعراني في مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين: "اعلم أيها المرید - وفقنا الله وإياك لمرضاته - أن من لم يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو أعمى وربما انتسب إلى غير أبيه. فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ"⁽¹⁾. ومرادنا بمعرفة الآباء صحة الاقتداء بهم في الأخلاق الشرعية، قال سيدي عمر بن الفارض رحمته الله:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي
وذلك لأن الروح ألصق بك؛ فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده، فكان بذلك أحق أن تنسب إليه دون الجسم. وقد درج السلف الصالح كلهم على تعليم المریدين آداب آبائهم ومعرفة أنسابهم، وأجمعوا كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم فهو لقيط لا أب له في الطريق، ولا يجوز له التصدير والجلوس لإرشاد المریدين إلا بعد أخذه آداب الطريق عن شيخ كامل مجمع على جلالته وخبرته بالطريق، ثم بإذن له صريح بأن يرشد ويلقن ويلبس الخرقه على شروط ما كان عليه السلف رحمته الله أجمعين اهـ.

(1) في صحيح مسلم "من ادعى (أي انتسب) إلى غير أبيه، أو انتهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً".

إثبات انتساب السلسلة الذهبية إلى سيدنا علي والحضرة النبوية

فصل

(أسانيد الحسن البصري)

أولاً: عن الإمام علي كرم الله وجهه: أخذ السيد الجليل أبو سعيد البصري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكانت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تلقمه ثديها في صغره، تعلله بذلك إذا غابت أمه في شغل، وربما در اللبن. ورأى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكثير من الحفاظ لا يصحح له زائداً على الرؤية من أخذ أو رواية⁽¹⁾، وصحح الحافظ جلال الدين السيوطي أخذه وروايته عنه. وأختص بأنس بن مالك وعمران بن حصين، وحذيفة بن اليمان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: عن حذيفة في هذا الشأن اعتمد: فقد ذكر الشيخ أبو طالب في (القوت) أنه إنما أخذ عنه علم الخواطر، وخبايا النفس. وما في معنى ذلك عن حذيفة رضي الله عنه. وأنه قيل له " يا أبا سعيد. إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا العلم؟ فقال: من حذيفة بن اليمان. قيل: وقيل مثل ذلك لحذيفة، فقال: خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ولو لم يثبت له من علي كرم الله وجهه غير الرؤية لكفت، فإن خصوصية الصحبة والتابعة تكفي في حصولها الرؤية، ومن المشايخ من يوصل إلى الله بنظرة.

(1) موضوع سمع الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه. رواه جمع من الحفاظ وممن ألف في ذلك مثبتاً: العلامة المحدث أحمد أبو الخير مرداد الملكي في سفره. والحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري.

وقال الشيخ أبو الحسن عن تلميذه الشيخ أبي العباس عليه السلام: "أبو العباس هذا إذا نظر إلى رجل أغناه" فذلك في حق سيدنا علي كرم الله وجهه من أقرب القريب بالأولوية الواضحة، ولا سيما في حق الحسن المستعد لقبول ذلك النور، ويكفيه خصوصية التقام الثدي الطاهر، فإنه به متأهل لذلك. والله يخص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فصل

(أسانيد الشيخ معروف الكرخي)*

أولاً: سنده إلى الإمام الحسين وآل البيت: أخذ الشيخ أبو محفوظ معروف الكرخي عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين السبط الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: سنده إلى الإمام الحسن البصري:

وأخذ أيضاً عن الشيخ أبي سليمان داوود بن نصير الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن السيد الجليل أبي سعيد الحسن البصري. وروي في كتاب (الأربعين) للحافظ أبي الحسن بن المفضل أخبرنا أبو الطاهر السلفي الصوفي أخبرنا أحمد بن علي بن محمد الأسواري الصوفي أخبرنا علي بن شجاع بن علي المصقلي الصوفي في كتابه أخبرنا أحمد بن منصور أخبرنا أحمد بن عثمان الزيدي الصوفي قال: "حضرت مجلس الجنيد ببغداد، فقال: حدثنا السري بن المغلس السقطي أخبرنا معروف الكرخي أخبرنا معبد بن عبد العزيز العابد عن الحسن البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "طلب الحق فريضة"، قال السلفي: "هذا حديث غريب المتن، عزيز الإسناد، حسن من رواية الصوفية الزهاد خلفاً عن السلف. هلم إلى شيخنا ابن علي الأسواري الصوفي وما كتبه إلا عنه".

* راجع كتاب مرآة المحاسن لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (988-1052)، و"البرهان الجلي" للحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وهو مطبوع.

فصل

(أسانيد الشيخ سري السقطي)*

أولاً: أخذ الشيخ سري السقطي عن الشيخ أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي.

ثانياً: وأخذ أيضاً عن بشر بن الحارث المروزي الحافي. قاله ابن خلكان. وأما ابن السمعاني فقال: "أخذ سري عن معروف عن بشر بن الحارث عن عمر المكي عن الحسن البصري".

فصل

(أسانيد الإمام الجنيد)

أخذ الشيخ أبو القاسم الجنيد عن خاله الشيخ أبي الحسن سري بن المغلس السقطي بسنده، وعن الشيخ أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري بسنده وعن الشيخ الحارث بن أسد المحاسبي أخذ عنه السبحة عن بشر بن الحارث المروزي الحافي عن عامر بن شعيب عن الحسن البصري، وقال: سألته عن ذلك، فقال: "يا بني هذا شيء استعملناه في البدايات، فما كنا بالذي نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الحق تعالى بقلبي ولساني ويدي".

فصل

(أسانيد الشيخ عبد القادر الجيلاني)

أولاً: أخذ الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الشريف الجيلاني، عن الشيخ أبي الحسن علي القرشي الهكاري، عن الشيخ أبي الفرج محمد بن عبد الله

* راجع كتاب مرآة المحاسن لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (988-1052)، و"البرهان الجلي" للحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وهو مطبوع.

الطرسوسي، عن الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي عن الشيخ أبي بكر الشبلي عن الشيخ أبي القاسم الجنيدي بسنده.

ثانياً: وقد لبس الشيخ أبو محمد عبد القادر الخرقه من الشيخ أبي سعيد بن المبارك بن علي المخرمي. كما لبسها هو منه بسؤال كل واحد منهما لصاحبه في ذلك. كما لبسها معاً من شيخهما الشيخ أبي الحسن الهكاري بالسند المذكور.

وأخذ أيضاً الشيخ سيدي عبد القادر الجيلالي عن الشيخ حماد بن مسلم الدباس.

فصل

(أسانيد الشيخ أبي مدين التلمساني)

أولاً: أخذ الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي دفين العباد التلمساني رحمته الله عن جماعة من الأكابر منهم: الشيخ أبو يعزى يلنور بن عبد الله الهزميري، وقيل: من بني صبيح من هسكورة، وقيل: من أغماه هيلانه نزيل تاغية من إیرجان وبها قبره، ووفاته في أول شهر شوال عام 572هـ قاله التادلي.

ثانياً: أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرازم الأندلسي الأموي الفاسي، نزيل مدينة فاس، وبها كانت وفاته عام 555هـ، وقبره خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس، ولفظ حرازم هكذا ينطق به أهل بلدة فاس، وكثيراً ما يكتب حرزهم، والظاهر أن هذا الثاني هو المقصود.

ثالثاً: وأخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري الأندلسي، سكن بفاس مدة، وبها أخذ عنه الشيخ أبو مدين. وانتقل إلى قصر كتامة، وبه توفي عام 568هـ وقيل سنة 573هـ ودفن خارج باب سبته أحد أبواب القصر.

رابعاً: وفي آخر أمره: أخذ، رحمه الله، عن الإمام أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني، المعروف بالجيلاني، بسنده المشهور، نزيل بغداد وبها توفي سنة إحدى وستين وخمس مئة رحمته الله أجمعين. أخذ عنه الشيخ أبو مدين بمكة المكرمة شرفها الله.

فصل

(أسانيد الإمام ابن سيد بونة)

أولاً: أخذ الشيخ أبو أحمد جعفر ابن سيد بونة الخزاعي عن الشيخ أبي مدين عن الإمام عبد القادر الجيلاني بسنده. وبه تخرج، وإليه انتسب وعليه عول.

ثانياً: أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي فلبس منه الخرقة، وكانت سكنى الشيخ أبي العباس عبيدة، بفتح العين، قرية من البطانح، وهي قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة، وكانت وفاته بها عام 578هـ وقد ناهز الثمانين عاماً. قال الذهبي (ولد سنة 500هـ) وهو أخذ عن الشيخ علي بن القاري الوسطي عن الشيخ أبي الفضل بن كانخ عن الشيخ أبي علي غلام بن ترکان على الشيخ علي بن بربائي عن الشيخ علي العجمي عن الشيخ أبي بكر الشبلي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد بسنده.

وفي (نور الحدق): "أخذ الشيخ أبو العباس الرفاعي عن خاله الشيخ منصور عن الشيخ علي بن القاري" إلى آخر السند.

وأخذ الشيخ أبو العباس الرفاعي أيضاً عن خاله الشيخ منصور البطايحي عن الشيخ أبي محمد الشنكي عن الشيخ أبي بكر بن هواري البطايحي.

فصل

(أسانيد الإمام أبي الحسن الشاذلي)*

أولاً: سنده للإمامين الحسين بن علي بن أبي طالب والحسن البصري: أخذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي الشريف رحمته الله طريق الإرادة والافتداء عن الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات. لسكناه بحارة الزياتين عن الشيخ

* راجع (البرهان الجلي) للحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري.

أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي الأندلسي عن الشيخ أبي مدين بسنده.

وقيل: إن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني أخذ عن الشيخ أبي مدين دون واسطة، وهو الذي في (نور الحدق) لجلال الدين الكركي.

ثانياً: سنده إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب: وفي (النبذة المفيدة) قال الشيخ أبو العباس المرسي في هذه الطريقة: "إنها متصلة بالأقطاب، معننة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني أخذ عن عارف وقته الشيخ القطب تقي الدين الفقير، الذي لقب نفسه بتقي الفقير (بالتصغير فيها) وهو من أرض العراق، وهو عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين أبي الحسن علي عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزويني عن القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني عن القطب أبي محمد سعيد عن سعد عن القطب أبي محمد فتح السعود عن القطب سعيد الغزواني عن القطب جابر عن أول الأقطاب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط سيدنا رسول الله ﷺ".

قال الإمام محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه (مرآة المحاسن): واعلم أنني ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عند الشيخ تاج الدين بن عطاء الله صاحب الشيخ أبي العباس المرسي، ومطابقة لقول المرسي: إن طريق المدني متصلة بالأقطاب. ففي هذا إشعار بصحة هذه الطريق واتصال سلسلتها. وقال مؤلف (النبذة): قيل إنه سبط الشيخ الشاذلي وقد ذكر فيها أنه أدرك من أصحاب الشيخ المرسي وتكرر إليهم متبركاً بهم مستجلباً لدعائهم ﷺ أجمعين.

وقال سيدي أبو العباس المرسي "طريقتنا لا تنسب لمشاركة أو مغاربة، وإنما هي واحداً عن واحد إلى الحسن بن علي".

فصل

(أسانيد الشيخ أبي العباس الفاسي المعروف بزروق)*

أولاً: أخذ الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق عن جماعة من المشايخ، وقد ذكرهم هو في برنامج، منهم: الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن عقبة الحضرمي ثم المصري، وانتسب إليه واعتمد في الطريق والتحقيق عليه، وهو أخذ عن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن أحمد الشريف القادري⁽¹⁾ عن الشيخ أبي الحسن علي بن وفا عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد عن أبي سليمان داوود الباخللي عن تاج الدين بن عطاء الله السكندري والشيخ ياقوت العرش الحبشي، كلاهما عن أبي العباس أحمد المرسي عن أبي الحسن الشاذلي. هكذا ثبت في بعض التقايد، وأن الشيخ أبا العباس بن عقبة أخذ عن الشيخ أبي زكرياء الشريف عن الشيخ أبي الحسن بن وفا.

ثانياً: وعن الشيخ أبي عبد الله بن زمام والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي، والشيخ أبي العباس أحمد بن عروس دفين تونس... وغيرهم. وعلى كل حال، فهو ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، كما صرح به تلميذه الشيخ طاهر ابن زيان القسنطيني.

فصل

(أسانيد الشيخ عبد الرحمن المجذوب)**

أولاً: أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الصنهاجي، وكان يلقب

* راجع كتاب مرآة المحاسن لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (988 - 1052)، والبرهان الجلي للحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وهو مطبوع.
(1) الصواب: يحيى بن أحمد الوفايي عن عمه سيدي علي وفا.
** راجع كتاب مرآة المحاسن لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (988 -

بالدوار، قيل: ولم يكن يحب ذلك اللقب. وهو دفين خارج باب الفتوح. فأما الشيخ أبو الحسن الصنهاجي، فأخذ عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الزرهوني المعروف بآفحام دفين جبل زرهون.

ثانياً: أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن الشريف الجوطي المكناسي، دفين خارج باب عيسى أحد أبواب مكناسة الزيتون.

وأخذ عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن علال بن موسى بن محمد بن غانم: المكنى بأبي خصيب القرشي العمري ثم المالكي: لكونه في عداد قبيلة بني مالك، دفين خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس.

وأخذ عن الشيخ أبي حفص عمر الخطاب الزرهوني، دفين زرهون.

وأخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشنجائي، دفين خارج مكناسة الزيتون.

وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد المعروف بجعران بن علي بن أحمد السفياني الداودي.

وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد المدعو بأبي الرواين⁽¹⁾ بن حسين العبدي السهلي، دفين خارج مكناسة.

فصل

(أسانيد الشيخ يوسف الفاسي)*

أولاً: قال أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري في كتابه (مرآة المحاسن): أخذ والدي الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي رحمته الله طريق الإرادة عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المجذوب بسنده.

= (1052). و"البرهان الجلي" للحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري، وهو مطبوع.

(1) الذي في "دوحة الناشر" أبو عبد الله محمد المدعو بأبي الرواين.

* راجع كتاب مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن للفاسي رضي الله عنه.

ثانياً: وطريق التبرك والاستفادة عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف، والشيخ أبي سالم إبراهيم الزواري والشيخ أبي عبد الله محمد الملقب بكانون المطاعي، والشيخ أبي عبد الله محمد الطالب، والشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي، والشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي، والشيخ أبي العباس أحمد بن منصور الحاحي، والشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي والشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي، والشيخ أبي النجا سالم العماري وغيرهم من المشايخ رضي الله عنهم.

أما الشيخ أبو عبد الله بن يوسف الفاسي، فعن الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع المراكشي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجازولي.

وأما الشيخ أبو سالم الزواري التونسي. فمن الشيخ أبي المظفر منصور الزواري. ومنه اكتسب الشيخ أبو سالم هذه النسبة لطول ملازمته إياه عن الشيخ أبي العباس بن عروس دفين تونس عن الشيخ فتح الله العجمي التونسي.

وأخذ الشيخ أبو سالم أيضاً عن الشيخ بن عروس دون واسطة وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي بمصر، عن تلميذه الشيخ أبي العباس زروق وعن تلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي، وعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، وكان الشيخ أبو سالم قد عمر فوق المئة وتوفي سنة 961هـ بفاس ودفن خارج باب الجيسة من أبوابه.

فصل

(سند مولانا الإمام العربي الدرقاوي)

ذكر الإمام أحمد بن محمد بن الصديق بن الإمام أحمد بن عبد المؤمن الغماري رضي الله عنه في كتابه (البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي)؛ حيث قال: إن أباه محمد بن الصديق أخذ عن محمد بن إبراهيم الفاسي عن

عبد الواحد بناني عن محمد بن الغالي أيوب عن الإمام أحمد بن عبدالمؤمن الغماري عن مولانا الإمام العربي بن أحمد الدرقاوي :

" أن الإمام العربي الدرقاوي أخذ وتلمذ على يد سيدي علي الجمل العمراني الذي أخذ عن سيدي العربي بن عبد الله عن والده سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي عن سيدي قاسم الخصاصي عن سيدي محمد بن عبد الله الفاسي معن عن سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن أخيه سيدي يوسف بن محمد الفاسي (أبو المحاسن) عن سيدي عبد الرحمن المجذوب رحمته الله بسنده المشهور إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي وسنده ."

فصل

(سند مولانا الشيخ محيي الطريق محمد بلقايد)

ذكر مولانا الشيخ محمد بلقايد - قدس الله سره - في إجازة ابنه سيدي مولانا الشريف محمد عبد اللطيف بلقايد رحمته الله في التربية والسلوك، بسنده النوراني في الطريقة الهبرية الدرقاوية الشاذلية السبطية العلوية المحمدية... حيث قال :

" بسم الله الرحمن الرحيم... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله.

الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته واختص أرواحهم بشهود عظمتهم وهياً أسرارهم لحمل عبء معرفته، فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون، وأرواحهم في رياض ملكوته يتنزهون، وأسرارهم في بحار جبروته يسبحون، فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتائج الفهوم، فسبحان من اصطفاهم لحضرتهم واختصهم بمحبته، فهم بين سالك ومجذوب ومحج ومحبوب، أفناهم في محبة ذاته وأبقاهم بشهود آثار صفاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد منبع العلوم والأنوار ومعدن المعارف والأسرار، ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار وأهل بيته الأطهار ومن اقتفى آثارهم بالتفكر والاعتبار، وحفظ الله الطائفة الهبرية من الأكدار والأغيار.

نور القلوب وري روح الوارد هبرية تدني الوصول لعابد
تزهو بسلسلة لها ذهبية من شاهد للمصطفى عن شاهد
وبعد، فمن الراجي عفو ربه الكريم محمد بلقايد كان الله له إلى ولدنا الأبر
محمد عبد اللطيف بلقايد،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تعمكم وتغيبكم فيه عنكم حتى
لا تشهدوا سواه.

ثم بعد فقد آذناكم في أورااد طريقتنا الهبرية الدرقاوية الشاذلية بأجمعها، وذكر
لا إله إلا الله في كل وقت وحين من غير حصر ولا عدد حتى تمتزج بلحمكم ودمكم
وعروقكم وروحكم وسركم، فإن من واطب عليها غيبته عن وجوده وسمع خطاب
ربه. وأجزناكم إجازة عامة في تلقين ما ذكرناه لمن اجتباه ربه بعنايته، وجعله من
أهل وده ومحبته وقربه لخصوصيته، كما أذن لنا قدوة السالكين وقطب الواصلين
إثم مد بصرنا ونور بصيرتنا وصفاء سريرتنا الشريف العزاوي الإدريسي الحسني شيخنا
وسندنا سيدي محمد الهبري، وهو عن والده قطب الأحوال وبحر العرفان الشيخ
الكامل سيدي محمد بن سيدي أحمد العزاوي، عن الشيخ المربي الكامل أبي عزة
المهاجي الحسني، عن قطب الدائرة ومظهر التجليات الشريف الحسني سيدي
مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وأيضاً أخذ الحاج الهبري عن إثم مد بصره ونور بصيرته العارف بالله تعالى
المستغرق في ذات مولانا رسول الله ﷺ الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيل
الشريف الحسني الكركري، وهو عن شيخه مظهر الحق الشريف الحسني محمد بن
عبد القادر الباشا، عن قطب الدائرة سيدي مولاي العربي الدرقاوي المذكور، وهو
عن شيخه الكامل الواصل سيدي علي بن عبدالرحمن العمراني الشريف الحسني،
عن شيخه كعبة السر سيدي العربي بن عبد الله، عن شيخه إمام السالكين سيدي
أحمد بن عبد الله، عن شيخه ومربيه سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي بحر
الجود محمد بن عبد الله، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف
الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي المشهور

بالدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي وفا، عن والده سيدي محمد بحر الصفا، عن سيدي داوود الباخلي، عن تاج العارفين سيدي أحمد بن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن العطار الزيات المدني بأسانيده المشهورة، إلى سيدنا ومولانا الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه، عن عين الرحمة ومظهر العلوم والحكمة رسول هذه الأمة المباركة سيدنا ومولانا محمد ﷺ عن رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

وأوصي المجاز ونفسي بتقوى الله العظيم واتباع سنة نبيه الكريم في الأقوال والأفعال. والله يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه، ويعيننا جميعاً على طاعته وتقواه آمين".

فصل

(مراجع أسانيد السلسلة الذهبية)

واعلم أيها القارئ المتحقق من معالم السادة، والمتتبع لآثارهم أن هناك أئمة قد صنفوا كتباً كثيرة ورسائل عديدة في انتساب طبقات السلسلة الذهبية إلى سيدنا علي والحضرة النبوية ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

- 1- ابن حجر الهيتمي في (فهرسته) نسبه في الطريق.
- 2- جلال الدين الكركي في كتابه (نور الحدق في لبس الخرق) نسبه إلى شيخه شمس الدين البكري.
- 3- الملا إبراهيم الكردي الكوراني في كتابه (أنباه الأنباه) نسبة إلى العباس أحمد بن عقبة.
- 4- ابن عسكر في (دوحة الناشر في أخبار أهل القرن العاشر).
- 5- أبو حامد العربي الفاسي في (مرآة المحاسن بأخبار أبي المحاسن).
- 6- ابن عياد في (المفاخر العلية).

- 7- الصومعي في (المعزى في أخبار أبي يعزى).
- 8- أبو محمد القادري في (المقصد الأحمد في أخبار سيد أحمد بن عبد الله).
- 9- أبو عيسى المهدي الفاسي في (تحفة أهل الصديقية) بأسانيد طريقتهم الجزولية والزروقية.
- 10- ابن عطية السلاوي في (سلسلة الأنوار).
- 11- الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر في (نصيحة المريدين).
- 12- أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن الفاسي في (المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية).
- 13- أبو العباس أحمد بن عجبية في (فهرسته وشرحه على الحكم العطائية).
- 14- أبو عبد الله الحراق في (شرحه على الحكم العطائية).
- 15- أبو محمد الكوهن الفاسي في (فهرسته).
- 16- أبو عبد الله محمد بن مسعود الفاسي المكي في (الفتوحات الربانية).
- 17- والعلامة السندي في (ترجمته).
- 18- تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط أبي الحسن الشاذلي في (كتابه النبذة المفيدة) وكتابه (شفاء الغليل ودواء العليل).
- 19- القشاشي في (الصمط المجيد).
- 20- الحافظ السيوطي في (زاد المسير).
- 21- الساحلي في (بغية السالك) ذكر سند طريقتهم.
- 22- القاضي أبو الحسن بن أبي يعلى بن الفراء في (طبقات الحنابلة).
- 23- التاج السبكي في (الطبقات الصغرى) سنده في الطريق.
- 24- العارف الشعрани في (قواعد الصوفية).

- 25- السيد أبو الحسن علي بن بكر السكران في (البرقة الشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة).
- 26- السيد شيخ بن محمد الجفري في (كنز البراهين الكسبية).
- 27- الشيخ فقير الله بن عبد الرحمن الحنفي من ذرية محمد بن الحنفية في (قطب الإرشاد) سنده في الطريق.
- 28- أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الفاسي في (المنح البادية).
- 29- الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) وفي (الجواهر المكلمة في الأخبار المسلسلة).
- 30- أبو علي بن رحال المعداني في (الروض اليانع الفايح في مناقب أبي عبدالله محمد الصالح).
- 31- أبو عبد الله السنوسي في (السلسيل المعين في الطرائق الأربعين).
- 32- الحافظ شمس الدين بن الجزري في (أسنى المطالب بمناقب علي بن أبي طالب) ذكر سنده في الطريق.
- 33- أبو سالم العياشي في (مسالك الهداية إلى معالم الرواية) ذكر سنده.
- 34- الإمام عبد القادر الجيلاني في كتابه (فتوح الغيب) ذكر سنده في الطريق.
- 35- النبھاني في (جامع كرامات الأولياء).
- 36- الحجة أحمد بن محمد بن صديق الغماري في (البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى الإمام علي).



الباب
الثالث

سند
الطريقة
البلقائدية
في
السلسلة الذهبية

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطِئَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّרَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

السلسلة الذهبية لأئمة الهدى العشرة

سنة ١٤٠٠ هـ / ٢٠١٩ م

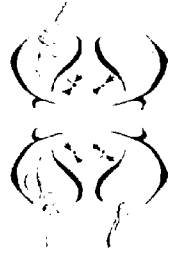
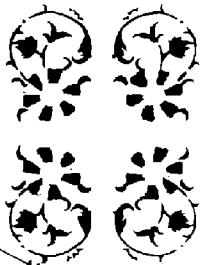
ميدان عقرب السالكين مع الله سبحانه وتعالى

- ميدان السالكين
- ميدان أبو محمد حجابي
- ميدان سعيد الخزازي
- ميدان فتح المدهون
- ميدان معدون بن عبد الله
- ميدان أبو محمد سعيد
- ميدان أحمد البرزنجي
- ميدان أبو القاسم الجعفي
- ميدان زكي الدين القزويني
- ميدان محمد حمزة الدين
- ميدان محمد تاج الدين
- ميدان نور الدين أبو المصغر جلي
- ميدان محمد بن محمد الدين
- ميدان علي الدين القفاص

- ميدان الحسين المصلي
- ميدان علي بن محمد بن
- الإمام محمد الباقر
- الإمام جعفر الصادق
- الإمام موسى الكاظم
- الإمام علي رضا

- ميدان السالكين الجعفيين
- ميدان جيب العجميين
- ميدان داود الصائفي

- ميدان معروف الحركي
- ميدان المرتضى المنقضي
- الإمام أبو القاسم البغدادي
- ميدان أبو نصر الكشي
- ميدان أبو القاسم التميمي
- ميدان أبو الفرج القاسمي
- ميدان أبو القاسم علي بن محمد بن القاسم
- ميدان أبو عبد الله السمرقندي
- ميدان عبد القادر الجيلاني
- ميدان أبو عبد الله شيبان القفاص
- ميدان أبو محمد محمد بن محمد بن محمد



- ميدان عبد القادر انوارنا الصافي
- ميدان عبد الصلاه بن محمد بن
- ميدان أبو القاسم البغدادي
- ميدان أبو القاسم الجعفي
- ميدان محمد بن محمد بن عبد الله السمرقندي
- ميدان داود الساجقي
- ميدان محمد بن محمد بن الصفا
- ميدان علي بن محمد بن
- ميدان يحيى الخزازي
- ميدان محمد بن محمد بن
- ميدان محمد بن زروق
- ميدان أبو القاسم الجعفي
- ميدان علي بن محمد بن الجعفي
- ميدان عبد الرحمن الجعفي
- ميدان يوسف القفاص
- ميدان عبد القادر الجعفي
- ميدان محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القفاص
- ميدان محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القفاص
- ميدان علي بن عبد القادر الجعفي
- ميدان محمد بن محمد بن عبد القادر الجعفي

- ميدان محمد بن عبد القادر الجعفي
- ميدان محمد بن عبد القادر الجعفي

- ميدان أبو القاسم الجعفي

- ميدان أبو القاسم الجعفي
- ميدان محمد بن محمد بن عبد القادر الجعفي

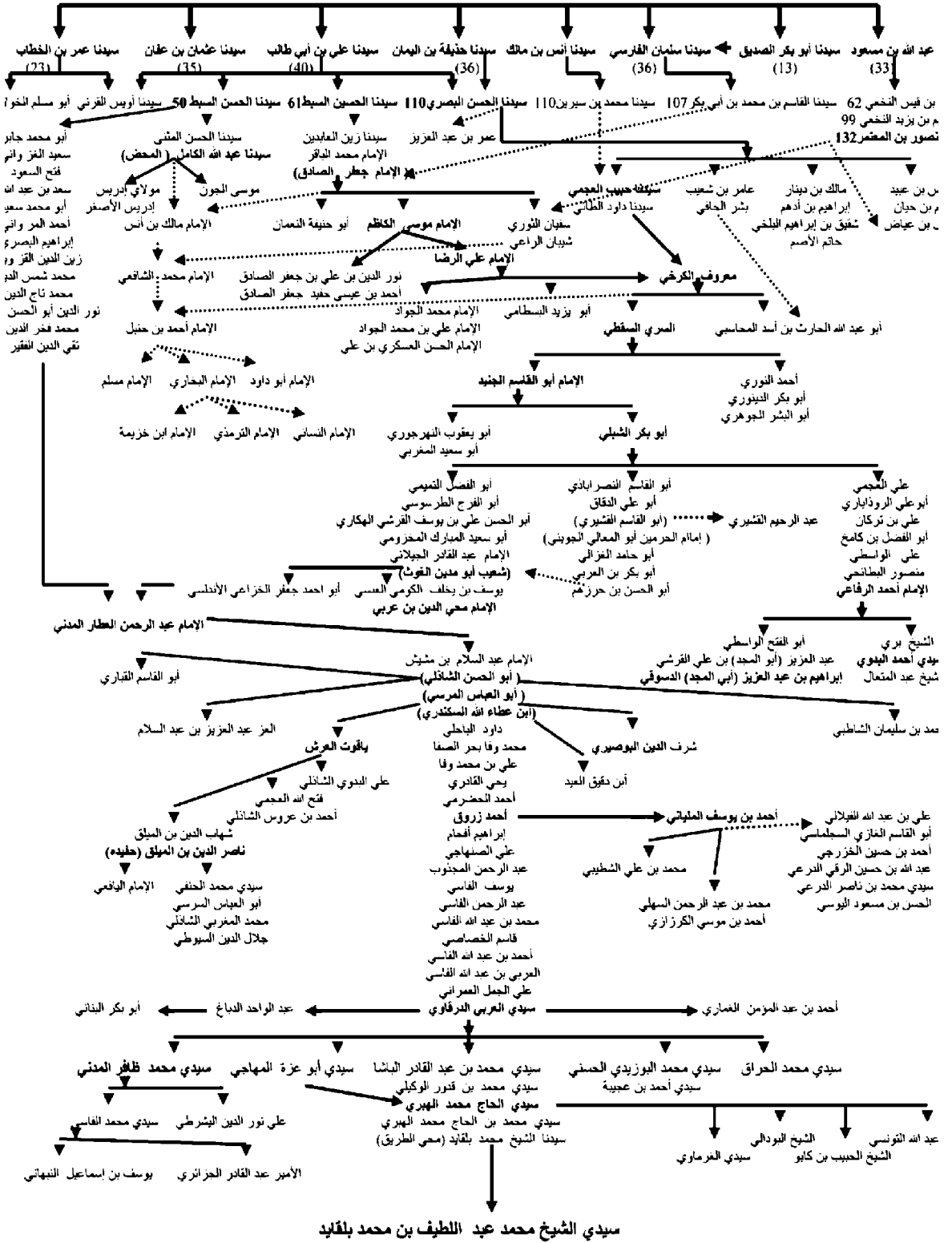
سنة ١٤٠٠ هـ / ٢٠١٩ م

عبد القادر الجعفي



طبقات السلسلة الذهبية

((سيدنا محمد رسول الله ﷺ))



السند الأول

تراجع طبقات السند الأول

تعريف السند الأول

أخذ سيدنا الشيخ الإمام محمد عبد اللطيف بن محمد بلقايد، عن شيخه وأبيه سيدي الشيخ محمد بلقايد، وهو عن سيدي محمد بن الحاج محمد الهبري، وهو عن أبيه سيدي الحاج محمد الهبري، عن العارف سيدي محمد بن قدور الوكيل، عن سيدي محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني، عن شيخه العارف سيدي علي الجمل العمراني الحسني، عن شيخه سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن العارف بالله محمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن محمد وفا، عن والده سيدي محمد بحر الصفا، عن سيدي داوود بن الباخلي، عن تاج العارفين سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن القطب العارف سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن الإمام سيدي عبد السلام بن مشيش، عن الإمام الجامع عبد الرحمن العطار الزيات المدني، عن "القطب تقي الدين الفقير، عن القطب محمد فخر الدين عن العارف نور الدين أبي الحسن علي دفين مصر، عن القطب محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن شيخه إبراهيم البصري. عن القطب أحمد المرواني، عن القطب أبي محمد سعيد، عن سيدي سعد بن عبد الله، عن القطب فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر، عن أول الأقطاب سيدنا الحسن السبط، عن أبيه سيدنا

الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

ترجمة طبقات السند الأول

■ (1) سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب*

● (3هـ - 50هـ)

هو سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أمير المؤمنين، وآخر الخلفاء بنص المصطفى، السيد المحبب، والحبیب المقرب، له في التصوف الكلام المشرق المرتب، والمقال المؤثق المحقق المهدب.

ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في شعبان منها، وقيل: سنة أربع، وقيل سنة خمس، وأولها أشهرها.

سمته أمه حرباً، فقال المصطفى ﷺ: "بل هو الحسن"⁽¹⁾، ولم يكن هذا الاسم يعرف قبل ذلك في الجاهلية كما قاله العسكري. وعق عنه يوم سابعه، وحلق رأسه، وأمر أن يتصدق بوزن شعره فضة.

وكان أشبه الناس به عليه الصلاة والسلام أي من جهة أعلاه، والحسين ﷺ أشبه به من جهة أسفله، كما قال الإمام الأعظم أبو حنيفة جامعاً به بين ما روي عن

* طبقات خليفة 5. 126. 189. 230. مسند أحمد 1/199. التاريخ الكبير 2/286، مشاهير علماء الأمصار6، حلية الأولياء 2/35. الاستيعاب 1/383. تاريخ بغداد 1/138. تاريخ ابن عساكر (جزء مستقل) صفة الصفوة 1/758. المختار من مناقب الأخيار 110/ب، مختصر تاريخ دمشق 7/5. تهذيب الكمال 6/220. وفيات الأعيان 2/65. سير أعلام النبلاء 3/245. تاريخ الإسلام 2/216. الوافي بالوفيات 12/107. مرآة الجنان 1/122. البداية والنهاية 8/14. 33. 45. مجمع الزوائد 9/174. العقد الثمين 4/157. الإصابة 1/328. تهذيب التهذيب 2/295. الإصابة ترجمة 1719 طبقات الشعراني / 26. شذرات الذهب 1/55.

(1) أخرجه أحمد 1/98. والبخاري في الأدب المفرد (823) والطبراني في المعجم الكبير 3/96 (2773). والحاكم 3/165. وصححه ووافقه الذهبي.

الصديق إن أشبه الناس به الحسن رضي الله عنه، وما روي عن أنس رضي الله عنه وغيره إن الأشبه به الحسين، فبذلك الجمع زال التعارض من البين.

وحمله المصطفى صلى الله عليه وسلم على عاتقه، وقال: "اللهم إني أحبه فأحبه" كما رواه الشيخان عن البراء⁽¹⁾.

وجلس مرة على المنبر للخطبة، وأجلسه بجانبه، وصار ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى، ويقول: "إنَّ ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المُسلمين". كما رواه البخاري⁽²⁾ وغيره عن أبي بكره.

وأجلسه هو والحسين رضي الله عنهما يوماً على وركيه. وقال: "هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهمَّ إني أحبُّهما فأحبُّهما"، رواه الترمذي عن أسامة⁽³⁾.

وسئل صلى الله عليه وسلم: أي أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: "الحسن والحسين"، رواه الترمذي عن أنس⁽⁴⁾.

وأقبل مرة وقد حمل الحسن رضي الله عنه على رقبته الشريفة. فلقبه رجل فقال: نعمَ المركبُ ركبتُ يا غلام. فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "نعم الراكب هو" رواه الحاكم عن ترجمان القرآن⁽⁵⁾.

ودخل عليه علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهما. فوضعهما في حجره فقبلهما، واحتضن علياً بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى، وجعل عليهما كساءً أسود وقال: "اللهم إليك لا إلى التار" رواه أحمد في "المسند" عن أم سلمة⁽⁶⁾.

وقعد في حجره يوماً، وجعل أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يفتح فمه. ثم

(1) رواه البخاري 94/7 (3749) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ومسلم (2422) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والترمذي (377) في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

(2) رواه البخاري 94/7 (3746) في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين.

(3) رواه الترمذي (3769) في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

(4) رواه الترمذي (3772) في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

(5) رواه الحاكم في المستدرک 170/3 عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

(6) رواه أحمد 296/6.

يدخل لسانه في فمه وهو يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ"، قالها ثلاثاً. رواه أبو نعيم عن أبي هريرة⁽¹⁾.

وكان يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل. وأتاه وهو راعع ففرج بين رجله حتى خرج من الجانب الآخر.

وأتاه الحسن والحسين رضي الله عنهما مرة بعد صلاة العشاء، فجعل واحداً هاهنا، وواحداً هاهنا. فقال أبو هريرة: يا رسول الله، أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: لا فَبَرَقَتْ بَرَقَةٌ فَقَالَ: "الْحَقُّ بِأَمِّكُمَا" فما زالوا يمشيان في ضوئها حتى وصلا. رواه الحاكم وصححه⁽²⁾.

وكان سيداً كريماً حليماً، ذا سكينه ووقار، جواداً، يكره الفتن والسيف.

تزوج الكثير من النساء في حياة أبيه، فأمر منادياً ينادي في الناس: لا تزوجوا الحسن، فإنه مطلق، فما مر بأحد إلا قال: بل نزوجه. فما رضي أمسك، وما كره طلق.

ولم يطلق امرأة إلا وهي تحبه، وأمتع امرأتين بعشرين ألفاً، وزقاق⁽³⁾ من عسل، فقالت إحداهما: متاع قليل من حبيب مفارق⁽⁴⁾.

وكان يجيز الرجل الواحد بمئة ألف، وتزوج بامرأة فأرسل لها مئة جارية، مع كل جارية ألف درهم. وحج خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة، والنجائب تقاد بين يديه.

ولم يسمع منه كلمة فحش قط، ومر بصبيان يأكلون كسراً من الخبز، فاستضافوه، فنزل وأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، وأطعمهم أنواعاً وكساهم. وقال: اليد لهم، لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر مما أعطيناهم، وخرج من ماله لله مرتين.

(1) رواه أبو نعيم في الحلية 2/35. والحاكم في المستدرک 3/196. وصححه ووافقه الذهبي.

(2) المستدرک 3/167. وصححه. ووافقه الذهبي.

(3) الزقاق جمع. والزق من الأهب: كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه. اللسان (زقق).

(4) رواه الطبراني في المعجم الكبير 3/27.

وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إن كان ليعطى نعلًا ويمسك أخرى، ويعطي خفًا ويمسك أخرى. وقيل له: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى. والسقم من الصحة. فقال رحم الله أبا ذر. أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن غير الحال الذي اختاره الله له. وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضا.

وكان يقول لبنيه وبني أخيه: تعلموا العلم، فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم.

ورأى عيسى بن مريم عليه السلام في المنام فقال: أريد أن أتخذ خاتماً. فما أكتب عليه؟ قال: اكتب عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين. فإنه آخر الإنجيل.

بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه، فأقام بها ستة أشهر وأياماً، ثم سار لحربه معاوية بن أبي سفيان، فبايع الحسن رضي الله عنه على الموت أربعون ألفاً، فلما التقى الجيشان نظر الحسن إليهم أمثال الجبال من الحديد، فقال: أيقتل هؤلاء بعضهم بعضاً في ملك من ملوك الدنيا لا حاجة لي به. وأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر عليه لا من قلة ولا من ذلة على أن تكون له الخلافة من بعده، وأن يقضي عنه ديونه، وأن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه. فأجابه معاوية إلى جميع ذلك واصطالحا، وظهرت المعجزة النبوية بذلك. نزل عن الخلافة على تلك الشروط.

ولما تولى عنها كان أصحابه يقولون له: يا عار المؤمنين. فيقول: العار خير من النار.

وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: لست بمذلهم، لكني كرهت أن أقتلكم على الملك.

وأراه رجل فقال: يا مسود وجوه المؤمنين. فقال: لا ترثيني⁽¹⁾، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساء ذلك.

(1) كذا في الأصول. وفي تاريخ دمشق: لا تعذلي: 277.

ثم رحل الحسن عليه السلام عن الكوفة إلى المدينة، فأقام بها، فصار أميرها مروان يسبه ويسب أباه على المنبر وغيره، وبالغ في أذاه، وهو صابر محتسب.

وقال لرجل ممن يغلو فيهم: أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصيانه فأبغضونا. فقال الرجل: إنكم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته. فقال: ويحكم، لو كان الله نافعاً بقرابة منه بغير عمل لنفع بذلك من هو إليه أقرب إليه منا أباه وأمه. والله إنني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وأرجو أن يؤتي المحسن منا أجره مرتين.

مات عليه السلام بالمدينة، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث لعنها الله، دس عليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها. فلما قتلته، بعث إليه أن ينجز الوعد، فقال: إنا لم نرضك⁽¹⁾ للحسن، فترضاك لأنفسنا؟

وجهد به أخوه الحسين أن يخبره بمن سمه فلم يفعل. وقال: الله أشد نقمة، إن كان الذي أظن، وإلا فلا يقتل بي بريء.

ورأى الحسن عليه السلام (في منامه)⁽²⁾ بين عينيه مكتوباً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1/112] فاستبشر به هو وأهل بيته. فقصوها على ابن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فما بقي من أجله إلا أياماً، فكان كذلك.

ولما احتضر جزع، فقال له الحسين عليه السلام: ما هذا؟ إنك ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلي كرم الله وجهه، وهما أبواك، وخديجة وفاطمة عليهما السلام وهما أماك. فقال: إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأقدم على سيد لم أر مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط، يا أخي إن أباك استشرف له الأمر فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر عليه السلام. ثم استشرف لها فصرفت عنه إلى عمر عليه السلام، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه، فصرفت عنه. فلما قتل عثمان عليه السلام ببيع له بالخلافة ثم نوزع حتى جرد السيف، فما صفت له. وإني - والله - ما أرى أن يجمع الله فينا بين النبوة والخلافة، فلا يستخفك سفهاء الكوفة.

(1) في الأصول: نرضاك.

(2) ما بين معقوفين مستدرك من تاريخ دمشق 278 مخطوطة الظاهرية.

وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف، فحبسها عنه معاوية عاماً، فضاق ذرعاً، فدعا بدواة ليكتب لمعاوية، ثم أمسك، فرأى المصطفى ﷺ فشكا إليه ذلك. فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك؟ قل اللهم أقذف في قلبي رجاءك، اقطع رجائي عمّن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي⁽¹⁾، ولم تنله رغبتني، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا رب العالمين. فما ألح به أسبوعاً حتى أتاه ألف ألف وخمس مئة ألف.

مات ﷺ سنة تسع وأربعين وقيل خمسين وقيل إحدى وخمسين، ودفن بالبقيع عند أمه فاطمة الزهراء.

• ومن كراماته:

أن رجلاً تغوط على قبره فجن، فجعل ينيح كما ينيح الكلاب ثم مات، فسمع من قبره يعوي. أخرجه أبو نعيم وابن عساكر عن الأعمش⁽²⁾.

ومنها: أنه مر يوماً بامرأة معها مولود، فجاء عقاب فاخطفه فتعلقت أمه بالحسن ﷺ وقالت: يا ابن بنت رسول الله ﷺ ابني. فبسط يده ودعا فجاء العقاب وجعل ولدها على يدها ولم يضره.

ومن كلامه⁽³⁾: أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور.

وقال: السداد دفع المنكر بالمعروف، والشرف اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

وقال: المروءة العفاف وإصلاح المأل.

وقال: اللؤم إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

(1) مختصر تاريخ دمشق 6/7.

(2) أخرجه ابن عساكر. انظر مختصر تاريخ دمشق 47/7.

(3) أقوال الحسن ﷺ كلها في الحلية 2/36. ومختصر تاريخ دمشق 30/7، 31 وهي إجابة لأبيه ﷺ.

وقال: السماح البذل في العسر واليسر والشح أن ترى ما في يدك شرفاً وما أنفقته تلفاً.

وقال: الإخاء المواساة في الشدة والرخاء.

وقال: الغنيمة الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا، فذلك الغنيمة الباردة.

وقال: الحلم كظم الغيظ وملك النفس، الغنى رضا النفس بما قسم لها وإن قل، والفقر شره النفس إلى كل شيء، والكلفة كلامك فيما لا يعينك.

■ (2) القطب أبو محمد جابر*

وهو القطب التابعي جابر أبو محمد جابر. وذكر الصومعي في (المعزى) بأنه جابر بن عبد الله الأنصاري، وقيل أصله من خراسان، سكن المدينة وعاش بها وصحب وخدم واقتدى بالإمام الحسن السبط الذي لقنه وأمه بسر طريق الإرادة والتحكيم وأورثه القطبانية الكبرى التي بقيت تفيض بنورها المتصل إلى يومنا هذا.

■ (3) القطب سعيد الغزواني*

هو القطب العارف المحقق الرباني أخذ الولاية عن شيخه القطب جابر؛ أبي محمد جابر اسمه سعيد الغزواني بالغين المعجمة بعدها زاي منقوطة كما عند الأكثر، وعند القشاشي في السمط والفاصي في الفتوحات سعيد القيرواني بالقاف بعدها ياء ثم راء مهملة نسبة إلى القيروان، وقال بعضهم: سعيد القزويني نسبة إلى قزوين، وقال بعضهم المغرواني نسبة إلى مغروان، وهو شيخ سيدي فتح السعود رضي الله عنهم أجمعين.

■ (4) سيدي فتح السعود*

هو أبو عبد الله محمد فتح السعود في ما ذكره الأكثرون بغير ياء، وذكره

* انظر ترجمته في البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي (أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني)

الصومعي وابن عساكر والكوراني والقادري وابن العجمي والعياشي والبديري والفاصي في (التحفة)، وذكره القشاشي واليوسي البتنوني في (السر الصغير)، وأضاف ابن الحاج فقال في برنامجه: هو فخر السعود.

■ (5) القطب سعد*

هو القطب العارف سيدي سعد بن عبد الله دفين مصر، كان رضي الله عنه من أكابر أولياء الله، وكان قطباً وارثاً لأسرار أستاذه القطب الهمام سيدنا فتح السعود.

■ (6) القطب أبو محمد سعيد*

هو الإمام القطب سيدنا سعيد. قيل أبو محمد سعيد كان رضي الله عنه من أهل التمكين والرسوخ في اليقين، وكان عوناً جامعاً لأسرار الحقيقة والشريعة، وهو أستاذ القطب العارف المحقق سيدي أحمد المرواني رضي الله عنه فيما عند الجميع.

■ (7) القطب أحمد المرواني*

هو أبو القاسم أحمد المرواني. وقال العارف الفاسي المكي: إنه أبو القاسم بن مروان كان رضي الله عنه قطباً عارفاً ومحققاً جامعاً وارثاً القطبانية الكبرى والخلافة الأخرى من شيخه وأستاذه القطب أبي محمد سعيد.

■ (8) القطب إبراهيم البصري

هو أبو إسحاق إبراهيم البصري غوث الأصفياء وقطب الأولياء رضي الله عنه.

■ (9) الغوث زين الدين القزويني*

هو القطب زين الدين القزويني. سماه جمعُ كابن حجر والقشاشي محموداً، وسماه بعضهم محمداً. وكان رضي الله عنه أُوحد أهل زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً، وكان إمام المتقين وحامل راية العارفين.

* انظر ترجمته في البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي (أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني).

■ (10) القطب محمد شمس الدين*

هو القطب العارف سيدي محمد شمس الدين، وزاد بعضهم وصفه بالمعداني المقيم بأرض الترك. كان رحمته الله إمام أهل العرفان وموصل المريدين إلى الله، وكان من أكابر العارفين الواصلين المحققين الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطريقة.

■ (11) القطب محمد تاج الدين*

هو القطب سيدي محمد تاج الدين. أخذ عنه القطب العارف سيدي محمد شمس الدين، وهو - رحمته الله - من كبار أولياء الله الدالين على الله بالله، وهو شيخ وأستاذ قطب الوجود وإنسان عين الشهود، الغوث الجامع سيدي نورالدين أبو الحسن علي.

■ (12) الشيخ أبو الحسن نور الدين**

هو الإمام القطب العارف نور الدين أبو الحسن علي دفين مصر. وإليك ما ذكر عنه رحمته الله: ... وعند رجلي السيدة فاطمة بنت جعفر الصادق رحمته الله قبر به الشيخ الصالح نور الدين علي، المذكور بالصلاة، يكنى أبا الحسن.

حكى عنه أنه كان لا ينام الليل من كثرة بكائه وذكره، وكان يدور في الليل وينادي "الصلاة.. الصلاة قبل الرحيل".

ومن كلامه "إذا أحب الله العبد أيقظه لخدمته". وكان إذا أوى إلى فراشه يتقلب كالفرخ إذا ذبح، ويقول "اللهم إن جهنم لا تدعني أنام". وكان يقول "أخشى من إتيان أمره وأنا نائم".

وقال سعيد بن المسيب: "ما من عبد قام في الليل فتوضأ إلا تبسم الجبار في وجهه، ويقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبي، أشهدكم علي أني قد غفرت له، فإن صلى أفاض عليه الرحمة".

* انظر ترجمته في البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي (أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني).

** الدرر المنظم في زيارة جبل المقطم، السيد موفق الدين بن عثمان.

■ (13) القطب محمد فخر الدين*

● (القرن السادس)

هو القطب محمد فخر الدين كما ذكره الجمع، أخذ القطبانية الربانية من شيخه نور الدين أبي الحسن علي دفين مصر. كان رحمته الله برهانه ساطعاً عارفاً جامعاً للأسرار محتويّاً على دقائق الحقيقة والطريقة، وكان من أهل الوجد والتمكين.

■ (14) القطب تقي الدين الفقير*

● (... - 594هـ)

هو القطب تقي الدين الفقير بالتصغير سمي نفسه بذلك تواضعاً. اسمه عبد الرحمن النهروندي نسبةً إلى نهروند من قرى واسط بالعراق، وكان من أكابر العارفين بالله، راسخ القدم في المعرفة بأحكام الله، وهو أستاذ وشيخ القطب الرباني سيدي عبد الرحمن المدني رحمته الله توفي ببلدته نهروند من أعمال واسط بالعراق.

■ (15) سيدي عبد الرحمن الزيات**

● (القرن الخامس)

هو القطب الشريف النسب سيدي عبد الرحمن المدني العطار الزيات. ذكره أحمد بن محمد الغماري الحسني في كتابه: (اسم والده الحسين كما ذكره جماعة. وزاد اسم جده عبد الرحمن أيضاً، والله أعلم) سكن المدينة المنورة بحارة الزياتين على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

فيه التقى البهران بحر الحسن السبط عن طريق شيخه الروحاني القطب تقي الدين الفقير، وبحر الحسين السبط والحسن البصري رحمته الله عن طريق أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي الأندلسي.

* انظر ترجمته في البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي (أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني).

** انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الفاسي المغربي 60.

كان رحمته الله، فيما ذكره العارف محمد الفاسي المكي في كتابه (الفتوحات الربانية)، من أكابر أولياء الله تعالى، وكان شيخاً كاملاً فرداً جامعاً. أتى إلى مولانا عبد السلام بن مشيش لما وقع له الجذب، وهو ابن سبع سنين، فدخل وعليه سيمه أهل الله. فقال له: أنا واسطتك في كل حال وكل مقام. وقد سئل بعد ذلك سيدي عبد السلام بن مشيش هل كنت تأتبه أو يأتبك. فقال: كل ذلك قد كان. فقيل له طياً أو نشرأ، قال طياً. توفي رحمه الله في المدينة.

وأما شيخه الذي أخذ عنه فهو القطب الرباني سيدي تقي الدين الفقير النهروندي.

■ (16) سيدي عبد السلام بن مشيش*

● (... - 622هـ)

هو قطبُ دائرة المحققين، أستاذ أهل المشارق والمغرب، وسنُدُ الواصلين إلى أنجح المطالب، سندنا ومولانا عبد السلام ابن سيدنا مشيش ابن سيدنا أبي بكر الحسني الإدريسي.

كان رحمته الله قطبَ الوجود، وبقية أهل الشهود، الغوث الفرد، الجامع لأسرار المعاني، غوث الأمة، وسراج الملة، صاحب العلوم اللدنية، والمعارف الربانية، الجامع بين علم الشريعة والحقيقة.

وله كرامات وخوارق لا حصر لها، منها: أنه يوم ولادته سمع سيدي عبد القادر الجيلاني رحمته الله ونفعنا به أمين هاتفاً يقول: يا عبد القادر، ارفع رجلك عن أهل المغرب، فإن قطبَ المغرب قد ولد في هذا اليوم، فتمسّى الأستاذ عبد القادر إلى جبل الأعلام بالمغرب، حيث مولد سيدي عبد السلام، وأتى إلى أبيه سيدي مشيش، وقال له: أخرج لي ولدك، فخرج له أحد أولاده.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الفاسي المغربي ص 59. الأعلام 9/4. ومخطوطات الرباط 2/195. وجامع كرامات الأولياء 2/69. وشرح محمد بن علي الخروبي للصلاة المشيشية في خزانة الرباط (د245). ومعجم المطبوعات 1553. ومراة المحاسن 187. والنبوغ المغربي الطبعة الثانية 1/151.

فقال له : ما هذا كلهم ، وقال له : ما بقي إلا ولدٌ واحد ولد في هذا اليوم .
فقال له سيدي عبد القادر : عليّ به ، فهو الذي أريده . فأخرجه سيدي مَشيش ،
فأخذه سيدي عبد القادر ، ومسحَ عليه ، ودعا له .
وكان ﷺ إذا أهلكَ هلالَ رمضان يمتنعُ عن ثدي أمه ، فإذا جاء المغربُ قاربه ،
وارتضع منه . ويكفيك في فضله أنه أستاذ القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي ،
رحمهم الله .

وقال ابن عطاء الله أيضاً في لطائفه عن الشاذلي " كنت يوماً بين يدي الأستاذ
يعني ابن مَشيش ، فقلت في نفسي : ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟!
فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه : يا أبا الحسن ليس الشأن من
يعلم الاسم ، الشأن من يكون هو عين الاسم . فقال الشيخ من صدر المكان :
أصاب وتفرس فيك ولدي " اهـ .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي قلت لسيدي عبد السلام يوماً : " يا سيدي
أوصني . فقال لي : الله الله ، والناس تنزه لسانك عن ذكرهم ، وقلبك عن التماثيل من
قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض ، وقد تمت ولاية الله عليك ،
ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك ، وقل اللهم ارحمني من
ذكرهم ومن العوارض من قبلهم ، ونجني من شرهم واغني بخيرك عن خيرهم
وتولني بالخصوصية من بينهم ، إنك على كل شيء قدير اهـ .

توفي ﷺ شهيداً قتله ابن أبي الطواجن ، ودفن بموضعه بجبل الأعلام بثغر
تطوان ، وبُني عليه مقامٌ ، وضريحٌ .

ومقامه من الأماكن التي يُستجاب عندها الدعاء ، وهذا ممّا لا شكّ فيه ، وقد
جرب ذلك غيرُ واحد ، ومقامه في أرضِ المغرب ، كمقام الشافعيّ بمصر ، وفيه
يقول القائل :

اطلبْ بسرَّ ابنِ مَشيشِ وقل ما تُريدُ تنلُهُ وإن كان ذاك عنك بعيد
وكان ﷺ يقول : من زارَ قبري حرّم الله جسده على النار . اللهم انفعنا بمحبّته ،
وأمتنا على حبّه وأثره آمين .

■ (17) سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمته الله*

● (591هـ - 656هـ)

هو شيخ الطريقة الشاذلية، وأصل مددها، وعنصر مشربها، وقطب دائرتها الذي تدور عليه، وهو السيد الأجل الكبير سيدنا وسندنا ومولانا القطب الرباني العارف الوارث المحقق بالعلم الصمداني، صاحب الإشارات العلية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والمنازلات العرشية، الحامل في زمانه لواء العارفين، والمقيم فيه دولة علوم المحققين، كهف الواصلين، وجلاء قلوب الغافلين، منشئ معالم الطريقة ومظهر أسرارها، ومبدئ علوم الحقيقة بعد خفاء أنوارها، ومظهر عوارف المعارف بعد خفائها واستتارها، الدال على الله وعلى سبيل جنته، والداعي على علم وبصيرة إلى جنبه وحضرته، أوحد أهل زمانه علماً وحالاً، ومعرفة ومقالاً، الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين والسلالتين الطيبتين الغيبية والشاهدية، والوراثتين الكريمتين الملكية والملكوية، المحمدي العلوي الحسني الفاطمي، الصحيح النسبتين، الكريم العنصرين، فحل الفحول إمام السالكين، ومعراج الوارثين.

هو الأستاذ الواصل المربي الكامل أبو الحسن سيدي علي الشاذلي الحسني بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن علي بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس. المبايع له ببلاد المغرب ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا هو النسب الصحيح لسيدي أبي الحسن الشاذلي رحمته الله، وهو الشيخ سيدنا ومولانا أبو الحسن الشاذلي رحمته الله صاحب الطريق، ومظهر لواء التحقيق.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن الفاسي المغربي ص 19، الأعلام 2/ 199-200 وتهذيب التهذيب 2/ 295. والإصابة 1/ 328، وحلية الأولياء 2/ 35. وابن الأثير 3/ 319. وتاريخ الخميس 2/ 289 و 292.

الذي قال فيه الإمام البوصيري صاحب (البردة) و(الهمزية) في قصيدة مدح بها سيدي أبا العباس المرسي، وشيخه سيدي أبا الحسن الشاذلي رحمهما الله.

أما الإمام الشاذلي طريقه في الفضل واضحة لعين المهتدي فانقل ولو قدماً على آثاره فإذا فعلت فذاك أخذ باليد أفدي علياً بالوجود وكلنا بوجوده من كل سوء نفتدي قطب الزمان وغوثه وإمامه عين الوجود لسان سر الموجد ساد الرجال فقصرت عن شأنه همم المآرب للعلی والسؤدد

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد ناصر الدين بن الميلاق :

ولو قيل لي من في الرجال مكمل لقلت إمامي الشاذلي أبو الحسن لقد كان بحرأ في الشرائع راسخاً ولا سيما علم الفرائض والسنن ومن منهل التوحيد قد عب وارتوى وحاز علوماً ليس تحصي لكاتب فكن شاذلي الوقت تحظ بسره فإنني له عبد وعبد لعبدته إذا لم أكن عبداً لشيخي وقدوتي فإما رب بالسر الذي قد وهبته

وما أحسن قول العارف سيدي علي بن عمر القرشي بن الميلاق :

أنا شاذلي ما حييت فإن أمت فمشورتني في الناس أن يتشذلوا وقال آخر :

تمسك بحب الشاذلي فإنه له طرق التسليك في السر والجهر أبو الحسن السامي على أهل عصره كراماته جلت عن الحد والحصر

وفي (طبقات) الإمام الشعراني رحمته الله ما نصه :

ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي بالشين والذال المعجمتين، وشاذلة قرية من إفريقية. الزاهد، نزيل إسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبير المقدار، عالي المنار، له عبارات فيها رموز، فوَّق ابن تيمية سهمه إليه، فرده عليه، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وابن مشيش وغيرهما. وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصداً الحج، فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة. وقد أفرده سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة في كتاب (لطائف المن) حيث قال: بأنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي رحمته الله. لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهد له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقبطانية.

جاء رحمته الله في هذه الطريقة بالعجب العجاب، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمته الله يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته الله.

ومن كلامه رحمته الله عليك بالاستغفار، وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار النبي صلى الله عليه وآله بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هذا في معصوم لم يقترب ذنباً قط وتقدس عن ذلك، فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب والذنب في وقت من الأوقات؟

وكان رحمته الله: يقول إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة بالكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

وكان رحمته الله يقول: لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي: يا أبا الحسن، أصحبتك الله اللطيف الجميل، وكان لك صاحباً في المقام والرحيل.

وكان ﷺ يقول: إذا جاذبتك هواتف الحق، فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبية، وترده فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل.

وكان ﷺ يقول: إذا عرض لك عارضٌ يصدُّك عن الله فابثت، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبَابُ ءَامُونًا إِذَا لَقِيَتْهُ فَثَبَّةً فَأَنْصَبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45/8].

وكان يقول: كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس وتلتذ به الطبيعة فارم به، وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتد به، وبالأخفاء والصحابة والتابعين من بعده، وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبداً لله ولا علم ولا عمل. وحسبك من العلم العلم بالوحدانية، ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة. قال رجل: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: "ما أعددت لها؟" قال لا شيء، إلا أنني أحب الله ورسوله. قال: "المرء مع من أحب". رواه البخاري.

وكان يقول: إذا كثرت عليك الخواطر والوساوس. فقل: سبحان الملك الخلاق ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 14/20-19].

وكان يقول: لا تجد الروح والمدد، ويصح لك مقام الرجال، حتى لا يبقى في قلبك تعلق بعلمك ولا جدك ولا اجتهادك، وتيئس من الكل دون الله تعالى. وكان ﷺ يقول: من أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي الاستغفار. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33/8].

وكان يقول: إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو في مقالك، وانبسطن الجوارح في سهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم

أوزارك، أو لكمون إرادة التَّفَاق في قلبك، وليس لك طريق إلا طريق الإصلاح، والاعتصام بالله، والإخلاص في دين الله تعالى، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 146/4] ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيهاً!

■ (18) سيدي أبو العباس المرسي*

● (616هـ - 686هـ)

هو القدوة المحقق أبو العارفين سيدي أحمد بن عمر أبو العباس المرسي الأنصاري الشاذلي رحمته الله، ونفعنا بعلومه أمين.

كان رحمته الله من أكابر العارفين، لم يرث علم الشاذلي رحمته الله غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق، ولم يضع رحمته الله كتاباً. وكان يقول: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تسعها عقول عموم الخلق. وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي قدس سره، كان يقول: كُتبي أصحابي.

وقيل في حقه:

ووارث علم الشاذلي حقيقة وذلك قطب فاعلموه وأوحد

وكان رحمته الله، أي الشيخ الشاذلي، يُوصي الأستاذ زكي الدين الأسواني، ويقول له: يا زكي الدين، عليك بأبي العباس، فوالله ما من ولي إلا وقد أظهره الله عليه، يا زكي، أبو العباس هو الرجل الكامل.

وكان الأستاذ أبو العباس يقول عن نفسه: والله، ما سار الأولياء والأبدال من قاف إلى قاف حتى يلقوا واحداً مثلنا، فإذا لقوه كان يغنيهم.

وكان رحمته الله يتحدث في سائر العلوم، ويقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يُشاركونا فيما نحن فيه.

وكان في المعارف والأسرار قطب رحاها وشمس ضحاها، تقول إذا سمعت

* انظر ترجمته في الأعلام 1/ 186. وفي الرحلة الورثيانية 189. وفي طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 114.

كلامه: هذا كلام مَنْ ليس وطنه إلا غيب الله، هو بأخبار أهل السماء أعلمُ منه بأخبار أهل الأرض.

وكان لا يتحدثُ إلا في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشعبه الأربع، والأسماء، والحروف، ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين والأملاك والمقربين من العرش، وعلوم الأسرار، وإمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة، وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلوم الأفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده.

وكان يقول: والله، لو لا ضعفُ العقول لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله. وكان يُمسك لحيته ويقول: لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات، لأتوها ولو سعياً على وجوههم.

وكان يقول: "أربعون سنة ما حُجبتُ عن رسول الله ﷺ طرفة عين، ولو حُجبت طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين".

وبلغ ﷺ، من زهده أنه مكث بالإسكندرية ستاً وثلاثين سنة ما رأى وجه مُتولّيها ولا أرسلَ إليه، وطلبه المتولي يوماً للاجتماع به، فأبى، وقال: والله، إنني ألقى الله ولا أراه، فكان الأمر كذلك. وكانت تأتيه الأمراء والملوك لتزوره، فكان يغلبُ عليه القبضُ، ولا ينسبط في مجلسهم.

وكان ﷺ يقول: والله ما دخلَ بطني حرام قط. وكان له ستون عرقاً تضرب إذا مدَّ يده إلى شبهة. وكان النور يتلأل في أصابعه.

وكان ساكناً خط المقسم بالقاهرة، فكان كلَّ ليلة يأتي الإسكندرية، فيسمعُ ميعاد الأستاذ أبي الحسن، ثم يرجع إلى القاهرة.

وكان رحمه الله يقول: أطلعني الله على الملائكة ساجدة لآدم عليه السلام فأخذت بقسطي من ذلك، فإذا أنا أقول:

ذاب رسمي وصح صدق فنائي وتجلت للسر شمس سمائي
وتنزلت في العوالم أبدي ما انطوت في الصفات بعد صفائي

وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ست وثمانين وست مئة، ودفن بمسجده بالإسكندرية، ومقامه رحمه الله مشهورٌ بين أهل مصر بأسرها، يعرفُهُ الكبير والصغير، ويتوسَّلُ به إلى الله الأمير والفقير، اللهم انفعنا به آمين.

■ (19) سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري*

● (... - 709هـ)

هو سيدنا أبو الفضل تاج الدين سيدي أحمد بن محمد بن عطاء الله، المالكي مذهباً، السكندري داراً، القرافي مزاراً، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه، ونخبة عصره وأوانه، الجامع لأنواع العلوم، من تفسير، وحديث، وفقه، وتصوف، ونحو، وأصول، وغير ذلك. كان ﷺ ونفعنا بأسراره متكلماً على طريق أهل التصوف واعظاً، انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه. وقد شهد له شيخه بالتقديم قال في (لطائف المنن): قال لي الأستاذ: الزم، فوالله لئن لزمتم لتكونن مفتياً في المذهبين. يريد مذهب أهل الشريعة ومذهب أهل الحقيقة.

وقال فيه أيضاً: والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله تعالى.

قال رحمه الله: ودخلت عليه ذات يوم، فلما دخلت عليه قال: لا تطالبوا الأستاذ بأن تكونوا في خاطره، بل طالبوا أنفسكم بأن يكون الأستاذ في خاطرکم، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده.

وقد كنت قد حدّثت بعض أصحابه: أريد لو نظر إليّ الأستاذ بعنايته، وجعلني في خاطره، ثم قال لي: أيّ شيء تريد؟ والله، ليكونن لك شأن عظيم، والله، ليكونن لك شأن عظيم، والله، ليكونن لك كذا وكذا. وكان كما أخبر.

وقال ﷺ في (لطائف المنن): جرت مخاصمة بيني وبين أحد أصحاب سيدي أبي العباس المرسي قبل صحبتي له، وقلت لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة، وظاهر الشرع ياباها.

* انظر ترجمته في الأعلام 1/ 221-222. والرحلة العياشية 1/ 357. وكشف الظنون 675، وخطط مبارك 7/ 69 وفيه وفاته سنة 707هـ. ومعجم المطبوعات 184. وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص116.

قال رحمه الله : وسبب اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة : دعني أذهب ، أنظر إلى هذا الرجل ، فصاحب الحق له أمارات . قال : فأتيته ، فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارعُ بها ، فأذهب الله ما كان عندي ، وصار - رحمه الله - من خواص أصحابه ، ولازمه اثني عشر عاماً حتى أشرقت أنواره عليه ، وصار من صدور المقربين .

وله مؤلفات - رحمه الله - متداولة سارت بذكرها الركبان منها : (الحكم العطائية)⁽¹⁾ وهي أفضل ما صنف في علم التوحيد ، وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد ، ذات عبارات راثقة ، ومعان حسنة فائقة ، قصد فيها إلى إيضاح طريق العارفين والموحّدين ، وإبانة مناهج السالكين والمتجرّدين . وله كتاب (التنوير في إسقاط التدبير)⁽²⁾ وكتاب (مفتاح الفلاح)⁽³⁾ في الذكر ومراتبه ، وكتاب (تاج العروس)⁽⁴⁾ وكتاب (عنوان التوفيق) وهو شرح لقصيدة العارف بالله سيدنا أبي مدين التلمساني . وكتاب (القول المجرد في الاسم المفرد) وله غير ذلك .

توفي رحمه الله بالمدرسة المنصورية بمصر ثالث عشر جمادى الآخرة سنة 709هـ ، ودفن بسفح الجبل المقطم بزاويته التي كان يتعبّد فيها . ومقامه يزار ، يعرفه الكبير والصغير ، ويتوسّل به إلى الله الغني والفقير ، نفع الله به المسلمين .

(1) كتاب "الحكم العطائية" للشيخ تاج الدين أبي الفضل أحمد بن عبد الكريم ، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي المتوفى بالقاهرة سنة 709 . وهي حكم منشورة على لسان أهل الطريقة . ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها ، وقال له : لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الأحياء وزيادة ، ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق ، وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيراً . (كشف الظنون/2/675) .

(2) كتاب (التنوير في إسقاط التدبير) للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني المتوفى سنة 709هـ ، ذكر أنه ألفه بمكة المكرمة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه فوائد ولم يرتبه . وإنما هو كلمات من حيث الورد قال : إذا طالع المرید الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية . (كشف الظنون/1/502) .

(3) انظر (كشف الظنون /2/1769) .

(4) انظر (كشف الظنون /1/269) .

■ (20) الإمام الكبير سيدي داود الباخلي*

● (... - 732هـ)

هو العالم الشهير المسلك مرتبي المريدين وموصل السالكين سيدي شرف الدين أبو سليمان داوود بن ماخلا وقيل (الباخلي) السكندري الشاذلي رحمته.

كان من العلماء الراسخين المتمكنين، ومن أصحاب الدوائر الكبرى، له اليد العليا في التصريف.

وكان جامعاً بين علمي الظاهر والباطن، مع أنه كان أمياً، وله مؤلفات عجيبة شرح فيها أحوال القوم، وتكلم على أسرارهم وعلومهم ومنازلاتهم منها كتاب (عيون الحقائق) ومنها كتاب (اللطفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية). وله شرح على (حزب البر) وآخر على (حزب البحر)⁽¹⁾.

وكان رحمته في بدايته شرطياً بيت الوالي بالإسكندرية، وكان يجلس تجاه الوالي، وبينهما إشارة يفهم منها وقوع المتهم أو براءته، فإن أشار إليه أن المتهم بريء برآه وعفا عنه، وإن أشار له غير ذلك اقتصر منه، وعامله بما يستحقه.

وكان رحمته زاهداً ورعاً، وكانت الأولياء تنبئ بساحته كما تنبئ الأرض الزرع. ويكفينا في مناقبه أن تلميذه سيدي محمد وفا الشاذلي، ولو لم يكن له غير ذلك لكفى.

توفي رحمته بالإسكندرية عام نيّف وثلاثين وسبع مئة⁽²⁾. وله مقام يزار، ومسجد كبير تقام فيه الشعائر. اللهم انفعنا بمحبته واسلك بنا على طريقه، آمين.

* انظر ترجمته في الأعلام 333/2 وهو فيه داوود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي المالكي السكندري. وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص146.

(1) من أذكار سيدي أبي الحسن الشاذلي.

(2) في الأعلام 333/2. وفي كشف الظنون 661: توفي سنة 732هـ.

■ (21) الشيخ محمد وفا*

● (702هـ - 765هـ)

جده الشيخ محمد النجم جد الأسرة الوفاية وأول من أتى إلى ديار مصر من هذه الأسرة، وهو مغربي الأصل، وُلد بمدينة صفاقس (في تونس) ونزح إلى ثغر الإسكندرية في شبابه، وكان - كما يقول عنه السخاوي - من أصحاب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة.

اجتمع الشيخ محمد النجم (الجد) بالقطب إبراهيم الدسوقي، روى ذلك أكثر من واحدٍ من الأعيان.

وقد طابت للشيخ محمد نجم الإقامة بالإسكندرية، ورُزق فيها بابنه سيدي محمد الأوسط والد السيد محمد وفا (صاحب الترجمة). وكان محمد الأوسط - كما جاء في جمهرة الأولياء - مشهوراً بالولاية. عُرف بعلمه وفضله، وتُوفي شاباً عن ولده محمد وفا، ودُفن بزوايته المعروفة بالزاوية النجمية بالإسكندرية.

● مولده ونشأته:

هو القطب الكبير سيدي محمد بن محمد الأوسط بن محمد النجم رحمته الله. وُلد بمدينة الإسكندرية سنة 702هـ. ونشأ منذ نعومة أظفاره ورِعاً تقيّاً، مُحبّاً للعلم. وقد سلك طريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي وذلك على يد الإمام داوود بن ماخلا، وتوجّه محمد وفا إلى أحميم. وأنشأ بها زاوية كبيرة، ووَقَد عليه الناسُ أفواجا، ثم سار إلى مصر، وأقام بالروضة عاكفاً على العبادة مشتغلاً بذكر الله تعالى، وطار صيته في الآفاق.

● كراماته:

وذكر ابن فهد سبب تلقيبه بوجا أنه مُدّة إقامته بالروضة توقف النيل سنّة، فأمرَ

* انظر ترجمته في الأعلام 7/ 37 و38. وطبقات الشعراني 2/ 21 و22. وشذرات الذهب 6/ 206. وجامع كرامات الأولياء 1/ 237. والخطط التوفيقية 5/ 321 و322. وبيت السادة الوفاية ص 43 و44 وص 87. ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون 4/ 69-71. [انظر ترجمة ياقوت العرشي في طبقات الشعراني 2/ 20. وجامع كرامات الأولياء 2/ 518].

السلطان خاصة أهل البلد من العلماء والصّحاء بالتوجّه إلى المقياس والدعاء به إلى الله تعالى في وفاته، فذهبوا إليه، فلم يعمل النيل، فاضطرب الناس، وأخبر السلطان عن سيدي محمد وفا وانجماعه⁽¹⁾ عن الناس، وصلاحه وتقواه، فأرسل إليه أن يتوجّه إلى المقياس ويدعو الله به ففعل، ولم يلبث أن صَعِدَ الماء⁽²⁾ وظهر الوفاء، وصار الناس يقولون: وفا، وفا. وخطب حينئذٍ بذلك، وصار علماً عليه⁽³⁾.

ومن القصص التي يرويها الشعراني لإظهار كرامات الشيخ محمد وفا: "أنه لما دنت وفاته خلع منطقته (أي: شارة مشايخ أصحاب الطرق الصوفية) على (الأبزاري) صاحب الموشحات، وقال له: هي وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي (علي). ويضيف الشعراني فيقول: وقد ألف (الأبزاري) وقت أن كانت عنده منطقة الشيخ محمد وفا أحسن الموشحات وأظرفها. إلى أن كبر سيدي (علي) ولد محمد وفا، فخلع عليه منطقة والده، ومن ثم أصبح (الأبزاري) لا يعمل موشحاً واحداً"⁽⁴⁾.

● سبب تسمية أولاده وأحفاده بالسادات:

أما عن نعت أولاده وأحفاده بالسادات، فلم يتسمّ بذلك غير ذريّته، وذلك لما لهم من عزّ قديم، وشرف رفيع، فقد عرفنا من نسبهم أنهم ينتمون إلى الأدارسة الأشراف الذين ينتهي نسبهم إلى الإمام الحسن بن الإمام عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه.

● مؤلفاته:

يقول الشعراني عنه في طبقاته عن محمد وفا ومؤلفاته: "كان سيدي محمد وفا من أكابر العارفين، وكانت له مؤلفات كثيرة ألفها في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر، فضلاً عن كونه كهلاً، وله رموزٌ في منظوماته ومنثوراته مطلّسة إلى وقتنا هذا (أي: وقت الشعراني في القرن العاشر الهجري) لم يُفك أحدٌ فيما نعلم معناها".

(1) انجماعه: انعزاله.

(2) صَعِدَ الماء: علّأ وارتفع.

(3) انظر: بيت السادة الوفاية ص 44.

(4) انظر: طبقات الشعراني 21/2.

ومن مؤلفاته : (نفائس العرفان من أنفاس الرحمن)، و(الأزل)، و(شعائر العرفان في ألواح الكتمان)، و(العروش) و(المقامات السنّية المخصوص بها السادة الصوفية). وله ديوان شعر عظيم.

ومن كلامه مولاي أنت بكل شيء عليم، فكفاني علمك، وأنت على كل شيء قدير، فحسبي قدرتك. أنت ربي وربّ الذين أردت أن تمنّ عليهم وتجعلهم أئمة وتجعلهم الوارثين، وتُمكنّ لهم في الأرض، وتُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. لك العصمة التي لا تضاهى، ولك النعمة التي لا تتناهى. وسلامك على عبادك الذين اصطفيت، سبحانك من حيث أنت، والحمد لله ربّ العالمين" (1).

● وفاته :

وكانت وفاة سيدي محمد وفا رحمته الله بالقاهرة سنة 765هـ، ودُفن بالقرافة بين ضريح الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر والشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، رحمته الله بإشارة منه، إذ قال قبل وفاته: ادفنوني بين (سعد وعطا). وبعد أن تم بناء المسجد الذي يحمل اسم الأسرة الوفاية تم عمل مقصورة حول قبره، وتضم أيضاً ولديه علي وفا وأحمد وفا، رضي الله عنهم أجمعين.

■ (22) العَلَمُ الشهير سيدي علي وفا*

● (759هـ - 807هـ)

هو القطب ذو الكرامات والأحوال والمقامات. وُلد بالقاهرة سنة 759هـ (2) ولما تُوفي الشيخ محمد وفا رحمته الله، تركه هو وأخاه أحمد. وكان عليّ إذ ذاك

(1) انظر: جامع الثناء على الله. للنبهاني. ص 159-161.

* انظر ترجمته في الأعلام 7/5، وطبقات الشعراني 2/22-65. وجامع كرامات الأولياء 2/358 و359، والخطط التوفيقية 5/322-327. وبيت السادة الوفاية ص 42 و43 وص 87 و88. ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون 4/71.

(2) هكذا في عدة مصادر. وهذا التاريخ مطابق لما ورد في جمهرة الأولياء. أما الشعراني فيقول: "كان سيدي علي يقول: مولدي سحر ليلة الأحد حادي عشر محرم سنة إحدى وستين وسبع مئة. كما رأيت بخطه". [انظر طبقات الشعراني 2/22].

صغيراً، فنشأ عليّ مع أخيه أحمد في كفالة وصيّهما الشيخ محمد الزيلعي، فأدبهما وفقهما. ولما بلغ علي وفا من العمر سبعة عشر عاماً جلس مكان أبيه في زاويته، ولبس منطقتة، فشاع ذكره في البلاد، وكثر أتباعه ومريده.

وكان الشيخ علي وفا كثير الإقامة بمنزله بالروضة. وكان كثير التحجب هو وأخوه أحمد، لا يخرجان إلا عند عمل الميعاد⁽¹⁾. يقول المقريري: "كان - أي سيدي علي وفا - مهيباً، مُعظماً، تعددت أتباعه وأصحابه، ودانوا بحبه، وبالغوا في ذلك مبالغة زائدة. هذا مع تحجبه وتحجب أخيه التحجب الكثير، إلا عند عمل الميعاد، والخروج لقبر أبيهما"⁽²⁾.

• كراماته:

وكان - رحمه الله تعالى - جميلاً في مظهره، متأنقاً في ملبسه. قال عنه الشعراي: "لم ير في مصر أجمل منه وجهاً ولا ثياباً"، ولكون مظهره غايةً في التجميل كمظهر الملوك، أنكر عليه ابن زيتون الوزير، وقال في نفسه: ما ترك هذا لأبناء الدنيا شيئاً، فأين الفقر الذي هو شعار الأولياء؟

فالتفت إليه وقال: نعم. تركنا لكم ولأبناء الدنيا، خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وقال المناوي: ومن كراماته أن رجلاً من أولياء العجم حضر سماطه⁽³⁾ فطلب ليمونة، فلم يجدها. فاستحضر سيدي علي وفا، فمد يده فأتي بطاقيّة ولد العجمي من بلاده، وعرفها، فاعتذر وتاب.

ولما حجّ عطش الحجيج حتى أشرفوا على التلف، فأتوه، فأنشد موشحه الذي أوله:
اسق العطاشَ كرمّاً والعقل طاش من الظّما
فأمطروا في الحال كأفواه القرب. وله غير ذلك من الكرامات ذكرها النبهاني في كتابه، وغيره⁽⁴⁾.

(1) أي: ميعاد الاجتماع بالمريدين.

(2) انظر: بيت السادة الوفائية ص 43.

(3) السّماط: ما يُمدّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها. والمراد هنا: وليمته أو مادّته.

(4) انظر: جامع كرامات الأولياء 2/ 358 و359.

● مؤلفاته⁽¹⁾:

ولسيدي عليّ مؤلفات ومصنفات شريفة منها: (الوصايا)، و(الباعث على الخلاص في أحوال الخواص)، و(الكوثر المترع من الأبحر الأربع) في الفقه، و(المسامع الرّبّانية) في التصوف، و(مفاتيح الخزائن العلية). وله ديوان شعر، وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق⁽²⁾، وأعطى لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء من أعطي ذلك. وله كلام عالٍ في الأدب، وله أحزابٌ وأورادٌ وتوجّهاتٌ، وله وصايا نفيسة نحو مجلدات، ذكر الشعراني بعضها في طبقاته وقال: "طالعت كثيراً من كلام الأولياء، فما رأيتُ أكثر علماً، ولا أرقى مشهداً من كلامه"⁽³⁾.

● وفاته:

وتوفي الشيخ علي وفا - رحمه الله - بمنزله في الروضة في يوم الثلاثاء في الثاني من ذي الحجة سنة 807هـ.

وله من الذكور أبو العباس أحمد، وأبو الطيب محمد، وأبو الطاهر محمد، وأبو القاسم محمد، ومن الإناث الشريفة: حسنة ورحمة وضحى.

وكانت جنازته تضم خلقاً كثيراً لم تر القاهرة مثلها، فقد كانت جماعته وأصحابه يمشون أمامها ويذكرون الله بطريقة تهز المشاعر وتلين لها القلوب.

قال المقرئزي: لم أرقط على جنازة من الغفر أي الحراسة ما رأيت على جنازته رضي الله عنه وأرضاه، وحشرنا في زمرة عباده الصالحين.

(1) أكثر هذه المؤلفات لا يزال مخطوطاً.

(2) قيل: أنشأ قصائده على طريقة ابن الفارض وغيره من [انظر: الخطط التوفيقية 5/ 326. والأعلام 7/ 5].

(3) انظر: طبقات الشعراني 2/ 22-65. وجامع كرامات الأولياء 2/ 358.

■ (23) سيدي يحيى القادري*

● (798هـ - 857هـ)

هو العارف الجليل والسيد النبيل أبو السادات، يحيى بن سيدي أحمد وفا، عمه العَلَم الشهير سيدي علي وفا، ولد بمصر سنة 798هـ. ونشأ على طريقة حسنة، وكان ملازماً للخلوة صحب والده وعمه علي وفا.

وكان الشيخ علي الوفا يقول عن والده سيدي أحمد: "هذا خزانة العلم وأنا أنفق منها"، وقال أيضاً: "من رأنا اثنين فهو بفرد عين⁽¹⁾، ومن رأنا واحداً فهو بعينين" يقصد أباه سيدي أحمد وفا، وكان له إخوة أربع:

أبو الجود حسن: مات سنة 808هـ.

أبو المكارم إبراهيم: وُلد سنة 788هـ، وتوفي سنة 833هـ.

أبو الفضل محمد (المدعو عبد الرحمن الشهيد) وُلد قبل السبعين وسبع مئة ومات غريقاً في نهر النيل سنة 814هـ.

أبوالفتح محمد وُلد بمصر حوالي سنة 770هـ تقريباً، ومات بالروضة سنة 852هـ، ودفن بتربتهم بالقرافة. وكان سيدي يحيى كاملاً وارثاً عالماً بالشرعية والحقيقة فياضاً بالأنوار والأسرار الإلهية كانت وفاته ﷺ في سنة 857هـ.

■ (24) سيدي أبو العباس الحضرمي*

● (... - 857هـ)

هو العَلَم الشهير سيدي تاج الدين أبو الحقيقة أحمد عقبة الحضرمي اليمني الشاذلي الوفايي قدس سرّه العالي.

كان ﷺ جامعاً بين الشرعية والحقيقة، وكان من أهل الكشف الكبير، وله

* انظر ترجمته في الخطط التوفيقية 5/ 327، وبيت السادة الوفاية ص 42.

(1) بعين واحدة. انظر: بيت السادة الوفاية.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن الفاسي المغربي 114.

وقائع عظيمة، وخوارق عاداتٍ جسيمة، وكان من أهل السرّ المصون، وكان في زمنه غوثاً متصرفاً في جميع الموجودات.

ولد رحمته الله ببلاد حضر موت، وقدم مصرَ، فاستوطنها، وأخذ الطريقة، وتلقى أنوارَ الحقيقة عن شيخه ومريه سيدي ومولاي الشريف أبو السادات يحيى القادري بن وفا بن سيدي شهاب الدين أحمد بن وفا بن القطب الكبير سيدي أبي التداني محمد وفا رحمته الله. وكان الشريف سيدي يحيى من ذوي الفضل الكبير، وكان له القبولُ الحسن عند الخاصّ والعام، معرباً عما في الأفهام، محمديّ المقام.

توفي رحمته الله وأرضاه يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثمان مئة، ودفن بمشهد أسلافه ساداتنا بني الوفا، بجانب أخيه، اللهم انفعنا بهم، وحققنا بالتبعية لهم.

وبعد أخذ سيدي أبي العباس رحمته الله الطريقة على شيخه المذكور فُتح عليه، فأقبلت الناس إليه، وتبركوا بالجلوس بين يديه. وكثرت أتباعه وعمّ انتفاعه.

وكان يحضر مجالس العلماء، وتحضر العلماء مجلسه، حتى صار أوحّد زمانه علماً وعملاً، وحالاً ومقالاً.

ومن وقائعه العظيمة واقعه وكشفه في الواقعة التي حصلت لتلميذه سيدنا أحمد زروق رحمته الله، وذلك أنّ سيدنا أحمد زروق لما قدّم من المغرب الأقصى، قال سيدنا أبو العباس لتلامذته: انزلوا بنا إلى بولاق؛ لملافاة أخيكم المغربي.

فنزّلوا إلى بولاق، فأتوا إلى موضع مرسى المراكب، وإذا بسيدنا الأستاذ أحمد زروق نازل من المركب، فاجتمع بمولانا أبي العباس، وأخبره بما وقع له مع مولانا عبد الله المكّي. فقال له سيدنا أبو العباس: لا بأس عليك منه، وأخذه معه إلى القاهرة، ولقنه العهد والأورد، وأدخله الخلوة، فمكث أياماً في الخلوة، وفتح الله عليه وصار من كبار العارفين الذين يفتون في الظاهر والباطن اهـ. وله كراماتٌ رحمته الله كثيرة، ومكاشفات عجيبة.

توفي مولانا أبو العباس الحضرمي رحمته الله بمصر سنة سبع وخمسين وثمان مائة، ودفن بالقرافة الشاذلية الكبرى. اللهم أمدنا وأحببنا بمدده، وانفعنا به وبأسراره، آمين.

■ (25) الإمام الكبير مولانا أحمد زرّوق*

● (846هـ - 899هـ)

هو بحرُ العلوم والمعارف، أستاذ كلِّ مجذوب وعارف، القطب الربّاني، والهيكل الصّمّداني أبو العباس مولانا أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي المعروف بزّوق، قيل سمي بذلك لزرقة في عينه.

كان - رحمه الله - عالماً عاملاً بالسنة. زاهداً ورعاً، له تأليف عديدة لا تكاد تنحصر؛ منها تفسيره للقرآن العظيم، وشرحه على (رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، وله ثلاثة شروح على متن (القرطبية)، وستة وثلاثون شرحاً على (الحكم العطائية) وشرح على أسماء الله الحسنى، وشرح على (دلائل الخيرات)، وله كتاب (النصائح) وكتاب (قواعد الصوفية)، و(العقائد الخمس) وله تأليف عديدة في التصوف، ورسائل، وعدة مؤلفات نفيسة.

عاش من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، حسبوا له من يوم ولادته إلى يوم وفاته كراساً في النصف من كلِّ يوم.

ولد - رحمه الله - يوم الخميس اثني عشر محرم الظاهرية، عام ثمان مئة وستة وأربعين، وتولّى تربيته جدّته، لأمّه، وكانت من الأولياء، ومن الصالحات الطاهرات، فلما تمّ عمره أربع سنوات حفظته القرآن، وصارت تربيته بالدلال والكمال، حتى نشأ محباً للعبادة، ملازماً للأذكار.

فأخذ - رحمه الله - في تلقي العلوم الظاهرية، واستمر في طلبها حتى أشير إليه، وتكلم وجلس للوعظ وتحضير الدروس، فاشتهر أمره، وقصدته العلماء، ونزلت بساحته، واقتبست من علومه ومعارفه. ثم حجب إليه التصوف، فانتظم في طريق القوم على يد المسلك مولانا عبد الله المكي، فأخذ عنه الطريقة، ولازم

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الفاسي المغربي ص 117، الأعلام 1/ 91، وجذوة الاقتباس 60، وشذرات الذهب 7/ 363 وفيه اسمه (إسماعيل بن محمد البرلسي)، ومعجم المطبوعات 965، والخزانة التيمورية 3/ 121، ودار الكتب 1/ 269، 317، 376.

خدمته زماناً. ثم اتجه مولانا زروق رضي الله تعالى عنه وأرضاه إلى مصر، والتقى مولانا سيدي أبا العباس الحضرمي - رحمته الله - وأخذ عنه الطريق وفتح له على يده، الفتح الكبير. وصار يدرس في الجامع الأزهر، فأقبلت عليه العلماء ووفدوا عليه وحضروا دروسه حتى روي أنه كان يحضر دروسه نحو ستة آلاف نفس من مصر والقاهرة وأحوازاها، وتولى إمامة المالكية، وصار أستاذاً رواقهم ونصبوا له كرسيّاً عالي الأركان صار يجلس عليه ويملي الدروس ويفيد.

وكانت له صولة ودولة عند الأمراء المصريين، وله عندهم القبول التام عند الخاص منهم والعام.

ثم توجه إلى طرابلس الغرب فأحيا بها معالم الطريق، وأوضح بيان التحقيق وأشهر بها الطريقة الشاذلية ونشر أعلامها السنية، فانقاد إليه المريدون وهابته ملوك العالمين. واجتمع بسيد المرسلين، ونُسبت إليه الطريقة لما ظهرت عليه أنوار أهل الحقيقة، وأمر بلسان الحال أن يقول في ميدان الرجال ماسكاً بلحيته: لا شيخ بعد هذه اللحية⁽¹⁾.

كان رحمته الله صاحب حالٍ، وبهاء وجمال ودلال، أطلعه الله على المغيبات، لم يختلف فيه اثنان، ولا تقوّل فيه قولان، فهو صاحب التصريف الأكبر، وغوث الأنام الأزهر.

وله كرامات خارقة، وأحوال صادقة، فمن كراماته رحمته الله: أن قبيلة من قبائل عرب طرابلس كانوا قطّاع طريق، لا تمرُّ بهم قافلة إلا نهبواها، فمرّ عليهم مولانا رحمته الله، فنهبوه هو وتلامذته، حتى تركوهم مستوري العورة، فنظر بعض المريدين إلى مولانا، فوجده لم يتغيّر، فقال لبعض العربان الذين نهبوا مولانا: انظروا إلى ذلك الأستاذ عنده ذهبٌ في سرواله، فجاء البدوي إلى مولانا وقال: انزع السروال. فقال: سبحان الله. العورة يحرمُ علينا كشفها. فقال له مرةً ثانية: انزعه، وإلا قتلتك، ومولانا يعظُّه بقوله: العورة حرام علينا كشفها. فتقدّم البدوي إلى مولانا، فقال مولانا للأرض: ابلعيهم يا أرض. فأخذتهم الأرض جميعاً،

(1) أي المقام الذي أدركه في زمانه.

فصاروا يتضرّعون إلى مولانا، ويقولون: تبنا إلى الله. فقال مولانا للأرض: أطلقهم يا أرض فأطلقتهم، فخرجوا منها، وتابوا جميعاً، وصاروا مع مولانا، لم يتخلّف منهم أحدٌ. وصاروا خدّام الزاوية الزروقية وإلى الآن بقي من نسلهم من يخدمون هذه الزاوية ويقال لهم خدّام الزاوية الزروقية.

ومن كلامه رحمته في تأنيته:

فإنني هجرتُ الخلق طراً بأسرها لعلني أرى محبوبَ قلبي بمُقلتي
وملكت أرض الغرب طراً بأسرها وكل بلاد الشرق في طيّ قبضتي
أنا لمُريدي جامع لشتاتِه إذا ما سطا جورُ الزمان بسطوتي
فنادِ أيا زروق آتٍ بسرعةٍ فإن كنتَ في كربٍ وضيقٍ وشدةٍ
فكم كربيةٌ تُجلى إذ ذُكر اسمُنا وكم كربيةٌ تُجلى بأفرادِ صحبتي
توفي رحمته ونفع به عام ثمان مئة وتسعة وتسعين. ودفن بسملاطة من طرابلس الغرب، وله مسجدٌ كبيرٌ تُقام فيه الشعائر، ومقامٌ وضريحٌ يُزار. وما توَسَّل به مُتوسِّلٌ إلى الله إلا ونال ما يرتجيه.

■ (26) العارف إبراهيم أفحام

● (القرن العاشر)

هو القطب العارف الهيكل الصمداني سيدي أبو إسحاق إبراهيم علي الزرهوني، المعروف بأفحام بالحاء لإفحامه علماء عصره. وقيل أفهام بالهاء بعد الفاء، دفين جبل زرهون.

وهو تلميذ البحرالدوق سيد أحمد زروق الفاسي وأستاذ الشيخ سيدي علي الصنهاجي الدوار رحمته.

مات رحمه الله في بداية القرن العاشر الهجري.

■ (27) القطب علي الصنهاجي الدوار*

● (... - 947هـ)

هو الشيخ الصالح، المجذوب السائح، ذو الحال العظيم، والمدد الجسيم، المستغرق في بحار الحقيقة، الطالع بدرًا في سماء الطريقة، الملامتي أبو الحسن سيدي علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي، ثم الفاسي، المعروف بالدوار، قيل لأنه كان يدور في عطيته الأسرار والأحوال، فيستردها لأدنى سبب يقع من المرید أو دونه.

وقيل: لكثرة ما كان يدور في الأماكن والأسواق، وهو يصيح: الله! قال في (ممتع الأسماء): "وهذا هو الأقرب في تلقيبه بذلك. قال: قيل: وكان يكره اللقب به".

ولد رحمه الله بصنهاجة الكبيرة التي يقال لها صنهاجة الحجر. وله بها سلف وفيهم أولياء، منهم: أبو جده والد أبيه المذكور. وخرج منها صغيراً، ثم دخل فاساً بعد مدة، وبقي بها إلى أن مات.

وقد ترجمه المؤرخ أبو عبد الله بن عسكر في (دوحة الناشر) فقال: "كان رحمه الله من عباد الله الصالحين، وولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وكان مجذوباً، على طريق الملامتية، تعتريه أحوال الجذب في كل حين، يخبر بالمغيبات، ويكشف كثيراً ممن يلقاه، لا يلتفت إلى مدح ولا إلى ذم، يدخل ديار ملوك بني مرين، فيتلقاه النساء والأولاد، فيقبلون يديه وقدميه، فلا يلتفت إلى أحد، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة، والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه، فإذا خرج، تصدق بجميع ذلك".

* انظر في الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس: لأبي عبدالله الشراط. سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: للشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. وكذلك في طبقات الشاذلية الكبرى: لمحبي الدين الطعمي 29، الزاوية القاسية (نفسية الذهبي) ومنتخبات من كتاب ابتهاج القلوب لعبد الرحمن الفاسي 232.

ويمر على حوانيت الزياتين، فيغمس أكمام الحلة التي تكون عليه ويبرقعها بالزيت أو بالسمن، ولا يزال يدور في بعض الأمكنة ويصرح باسم الجلالة، ولا يعرف له أحد مأوى. وشأنه عظيم عند أهل فاس، لما رأوا له من الكرامات التي لا تحصى. ولما توفي، تساقط الناس على جنازته، وتقاسموا أعواد نعشه وسجاده ولباسه، وكانت وفاته في آخر العشرة الخامسة. يعني: من القرن العاشر ودفن خارج باب الفتوح. وحضر الناس جميعاً حتى السلطان والفقهاء وغيرهم جنازته رحمة الله عليه " انتهى كلام صاحب (الدوحة).

ومن كراماته عليه السلام أنه: مر مرة بدار، فألقى يده تحت عتبة الباب العلياء، وجعل يصيح: "يا أهل الدار اخرجوا، اخرجوا" فلما خرجوا كلهم ولم يبق بها أحد منهم، أزال يده فسقط الحائط وسلموا جميعاً.

ومنها: أنه دخل داراً بغتة قبل أن يستأذن أهلها، فوجد ربتها تغسل ثيابها وهي مشمرة ثيابها التي عليها، فكرهت دخوله عليها في تلك الحال، وإذا بصبي قد سقط من سطح الدار وفق دخوله، فلقبه بيده، وأنزله إلى الأرض سالماً، وقال للمرأة: "هذا الذي أدخلني!" وخرج على طريقه مسرعاً.

ومنها: أنه كان يوماً جالساً بباب مسجد القرويين، والناس يصلون، وهو يأكل الخيار. فاجتاز به رجل داخلاً للمسجد يصلي، فقال في نفسه: "الناس يصلون وسيدي علي يأكل الخيار لا يصلي معهم" ثم دخل. فكان يصلي وخاطره يتحدث بشراء حمار احتاج إليه من سوق الخميس، وكان ذلك اليوم يوم الخميس والصلاة صلاة الصبح، فلما خرج، ناداه سيدي علي: "يا فلان، أكل الخيار خير من صلاة الحمار!".

وله عليه السلام كلام على معاني حروف الهجاء وأسرارها، وله أيضاً أبيات تنسب إليه، وهي:

الموت أفنى من مضى والموت يفني من بقي
والموت يجمع في الثرى بين المنعم والشقي
يا من أسا فيما مضى كن محسناً فيما بقي

وكان رحمه الله لا تحده الحدود، ولا يمنعه حائط ولا باب، وشوهد عند الكعبة أعزها الله تعالى مراراً، وكان صاحب وقته، له اليد العليا على أهل الغيب حسبما تقتضيه حكايته المعلومة مع سيدي عبد الرحمن المجذوب؛ فإنه: لما لقيه صاحب الترجمة بباب القرويين النافذ إلى الشماعين، أقبل عليه، وأمسك به، وحركه، ثم دفعه، فإذا به بالبرج الجديد بوادي فاس، فمكثه من الخطوة وطى الأرض، فرأى الشيخ المجذوب في تلك الحال أن الشيخ سيدي علياً صاحب الترجمة رفعه من سرته على أصبعه وأهل الله مجتمعون وهو يقول لهم: "من أحبني، فليعط هذا".

وذكر في (الابتهاج) أنه: وقع في بعض كلام صاحب الترجمة ما يدل على أنه كان من الأبدال، وحلاه الشيخ المدرع في منظومته بالقطبانية، فقال:
ومنهم:

القطب الجليل المجذوب علي الدوار نعم المحبوب
شيخ الشيوخ لجل الأعيان مصباح أهل السر والعرفان
أخذ - رحمه الله - عن العارف بالله، الشيخ الصالح، المجذوب الملامتي، أبي النور سيدي إبراهيم بن علي أفحام (بالحاء، ويقال: أفهام بالهاء) الزرهوني، دفين جبل زرهون، وهو الوارث له كما ذكره في (المقصد) وغيره أنه الذي ظهر بحاله من القوة في الجذب والغيبة في التوحيد، ولم يوجد متصف بذلك غيره.

وتوفي في ثاني الجمادين سنة سبع وأربعين وتسع مئة.

قال صاحب (الابتهاج): " كذا وجدته بخط بعضهم، والأقرب الذي يصح: أنه توفي في أول سنة إحدى وأربعين، أو في تمام السنة التي قبلها، ودفن خارج باب الفتوح من فاس، وبني عليه بناء حسن".

■ (28) الشيخ عبد الرحمن المجذوب*

● (909هـ - 976هـ/1569م)

هو الولي الكامل، العارف الواصل، عالي المقامات، وصاحب الكرامات، ذو الخصائص والمآثر العديدة، والمناقب والمفاخر الحميدة، والإشارة السنية، والهمة العلية، قطب زمانه وفي الأحوال وممد فحول الرجال، شيخ عصره، وأعجوبة دهره، أحد الأوتاد الأربعة، أبو العزم سيدي عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الأصل، ثم الفرجي الدكالي، الشهير بالمجذوب، أخذ عن سيدي علي بن أحمد الدوار الصنهاجي واعتمد عليه، وانتسب في الطريق إليه.

وكان الشيخ المجذوب هذا عظيم الحال باهر الخوارق، كثير الكرامات، بحيث عزت عن الحصر، وملأت الوجود، غزير المكاشفات. وكانت له الإغاثة في البر والبحر، ويمشي الخطوة، حتى كان يقف في كل سنة بعرفات، وكان يجري في كلامه الإخبار عن اللوح المحفوظ ورؤية ما به.

وكان يرث المشايخ في وقته: وأول من ورث: شيخه سيدي علي الصنهاجي، وآخر من ورث: سيدي عمر اللواح السريفي. وكان صاحب ملامة، كما كان شيخه سيدي علي الصنهاجي، وشيخ شيخه سيدي إبراهيم آفحام؛ فكانت تجري على ظاهره أمور توحش الخلق، فيتنافرون عنه، وينكرون عليه بسببها، وهي في حقيقتها صواب، وصادرة من عين الجمع.

وكان يوصي بعدم الاقتداء به فيما يخرج به عما يعرفونه من ظاهر الشريعة، مما يجبره عليه وارد الحقيقة، وكان مردوداً عليه للشريعة، مترسماً برسمها، وقيماً لوظائفها، سؤولاً عنها، متبعاً للسنة، عاملاً بها. مناقبه كثيرة، وفضائله وأحواله وأخباره لا تنحصر، حتى إنها أفردت بالتأليف.

توفي - رحمه الله - وسط ليلة الجمعة وكانت ليلة عيد الأضحى بمجسر من مجاسر بلاد عوف، فساروا به على مكناسة الزيتون، ودفنوه بها خارج باب عيسى

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، للشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274-1345).

منها، بجوار قبر سيدي عمران ابن موسى ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة الحرام عام ستة وسبعين وتسع مئة، وبني عليه تلميذه ووارثه الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي قبة.

■ (29) سيدي يوسف الفاسي (أبو المحاسن)*

● (937هـ - 1013هـ)

هو السيد الهمام سيدي يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي، ثم القصري المعروف بأبي المحاسن، العلامة الكبير والقطب الشهير العارف الواصل شيخ وقته وإمام عصره. كان أسلافه بالأندلس، فرحل جده إلى هذه العدو وسكن القصر الكبير وولد صاحب الترجمة ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين أو ثمانين وتسع مئة بالقصر، وبه نشأ وحفظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم. ثم رحل لفاس فواصل دراسته وحصل ما قدر الله له، فرجع للقصر بعلوم غزيرة فاشتغل بالتدريس والإفادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً، وحصل له صيت وجاه وظهور وتفرد بالرياسة العلمية. وبقي على حاله كذلك إلى أن انتقل إلى فاس وطنه الأخير ومرقده النهائي.

أخذ عن جماعة من العلماء والمشايخ؛ كالشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري المتوفى سنة 964هـ، قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد وألفية ابن مالك واللامية والصغرى للسنوسي، والشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن محمد الزقاق المتوفى شهيداً⁽¹⁾ سنة 961هـ، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن الدكالي المتوفى سنة 962هـ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي وأخذ الطريق أخذ تبرك وانتساب عن العارف سيدي محمد بن علي الهواري المعروف بالطالب. وعن العارف العلامة سيدي عبد الله الهبطي. وعن العارف سيدي سعيد بن أبي بكر

* المطرب بمشاهير أولياء المغرب (عبد الله عبد القادر التليدي). وانظر ترجمته في ممتع الأسماع الجزولي والتباع ومالها من الأتباع لمحمد المهدي الفاسي المتوفى سنة 1109هـ، تحقيق وتعليق عبد الحكي العمروي، عبد الكريم مراد (من علماء فاس) 1994م.

(1) قتله أبو عبد الله الشيخ السعدي أمر بقطع رأسه رحمه الله تعالى.

المشترائي. وعن العارف سيدي محمد بن مخلوف الضريسي. وعن العارف سيدي الحسن بن عيسى المصباحي.

وعن والده أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف وغيرهم من أصحاب التباع والغزواني. وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التلمساني خطيب القرويين والأندلس، لازمه كثيراً وقرأ عليه التفسير والتوحيد والفقه وغير ذلك.

وعول في الطريق والإرادة والتربية والسلوك على أبي زيد سيدي عبد الرحمن المجذوب فهو شيخه الوحيد الذي رياه وسلكه. فقد قيضه الله تعالى له وهو لا يزال في المكتب صغيراً، فقد أتاه ووكل به وجعل يراقبه من صغره. وكان يذكر للناس ما سيؤول إليه أمره، وكان يقول سبقت إليه قبل أن يأتيه غيري. وجاء يوماً بالمكتب ومسح رأسه وقال له علمك الله علم الظاهر والباطن ثلاثاً، ثم التفت للمعلم وقال له هذا نورة لا بد أن تفتح هذا وإذا أحياك الله ترى. وكان قبل ذلك يأتي الحومة ويقول: بدار الفاسي نورة لا بد أن تفتح، وكان يقول فيه: مصباح الأمة، ويقول: إنه لا بد أن يكون في مقام الغزالي، ويقول: لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش. ويقول: من أحب أن ينظر إلى قلبي فلينظر ابن الفاسي. وكان يقول أواخر أمره: سيدي يوسف كنت أنا شيخه واليوم هو شيخني.

وكانت تربية سيدي عبد الرحمن المجذوب صعبة لا يطيقها أحد، ولم يصبر عليها غير سيدي يوسف، فكان يمتحنه بالأمور العظام فيقف ويثبته الله تعالى مما يدل على رسوخه.

وكان سيدي يوسف قد شغف بشيخه وفني في محبته، وكان يخدمه بنفسه مع جاهه ورتاسته، وكان لذلك يتعرض لأذى بالغ من قبل الكثيرين من أهل العلم والطريق، وكانوا يلومونه على صحبته له، فكان يقول: والله لو ضربتموني بسيف النار ما رجعت عنه. ولما لم يرجع عن صحبته رفعوا به شكاية لعلماء فاس وشيوخه ليرغموه على مفارقة شيخه الذي أنكروا عليه بعض ما كان يصدر منه حالة غيبته، ولكنهم فشلوا فرجعوا خائبين، وانتصر عليهم أبو المحاسن رضي الله تعالى عنه.

وكما كان يخدمه بنفسه كذلك كان ينفق عليه ما له حتى افتقر وجاءه مرة

بمفاتيح الدار وسلمها له وقال له بعها واصرفها في مصالحك فأمره بإمساكها. وقال له الدار دارنا إن احتجنا إليها أخذناها.

ولما توفي الشيخ المجذوب وحصل لسيدي يوسف إرث شيخه فاضت عليه الأنوار وأشرقت عليه شمس الحقائق والمعارف. وفتح عليه الفتح الأكبر فانتقل لمدينة فاس سنة 988هـ، وكان ذلك بإعلام من شيخه أيام حياته. فأقبل عليه الناس ودخلوا في طريقه وكثرت الجموع لديه وتصدر للإرشاد والتربية.

● وفاته :

توفي رحمته 18 ربيع الأول سنة 1013 هجري، ودفن بمقبرة باب الفتوح في فاس، وضريحه معروف بجانب قبر أخيه سيدي عبد الرحمن الفاسي وقبر سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنهم أجمعين.

■ (30) الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي* ● (972هـ - 1036هـ/1626م)

وهو الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف الفاسي دفين خارج باب الفتوح.

قال في (ممتع الأسماع): الولي العارف الكبير، الواصل المحقق الشهير، ولد رحمته، في محرم سنة اثنتين وسبعين وتسع مئة، ومات أبوه في جمادى الثانية من سنة أربعة وسبعين⁽¹⁾ وتسع مئة، فربي في حجر أخيه الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد، ثم في حجور الفقراء من أصحابه وأصحاب شيخه المجذوب وغيرهم من المشايخ والمريدين والصالحين الذين كانوا يأتون دار أخيه، إذ كانت

* انظر في الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لأبي عبدالله الشراط. وأيضاً في: ابتهاج القلوب. ص 123 سلوة الأنفاس 302/2، الفكر السامي، 275/2 الحركة الفكرية، ص 366.

(1) في لك: 2: تسعين، والصواب ما ورد في ح وفي النسخ الأخرى اعتماداً على ما ذكر في مرآة المحاسن (ص 146) من أن صاحب الترجمة ولد سنة 972هـ وتوفي والده وهو في سن الفطام أو أزيد قليلاً.

لهم مألفاً، وبعثه أخوه مرة إلى الشيخ المجذوب، فأجلسه على فخذه لصغره وأعطاه قطعة لحم، ثم لما أراد الله أن يهيئه للإمامة والافتداء. كما قال الشيخ أبو العباس بن العريف: إذا أراد الله أن يهيئ عبداً للإمامة والافتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه والحديث، ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات، فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم. فلم يتداركه الجذب من أول مرة، بل شغله بطلب العلم فطلبه عند مشيخة فاس وأتمتها، حتى تضلع بالعلوم وحصل منها على ما يحصل عليه غيره من مشيخة وقته، وشهدوا له بالتقدم في جميعها، وأشاروا إليه بالتحقيق والتبريز في سائر أنواعها، ثم أنهض الله تعالى إليه همة أخيه الشيخ أبي المحاسن، رحمة منه سابقة، ومنة منه محققة، فتوجه إليه بعناية الله وبإذنه وإرادته، فأمدّه بمدد قوي، فتداركه الجذب وورد عليه وارد الحب، ونزل به من ذلك حال عظيم. وكان الشيخ أبو المحاسن قال لأصحابه: عبدالرحمن أخي أنا قطعت عليه الطريق، كان يكتب كتاباً شريفاً فقطعته عليه، فذكر ذلك للشيخ أبي محمد، وسئل عن الكتاب، فقال: هو (القاموس) وكان ينسخه لنفسه حتى بلغ مادة (مع) حيث قال (أو هي) للمصاحبة؟.

فكانت مناسبة للحال ففاجأه الجذب وورد عليه وارد قوي أزعجه وغلب عليه، فكان ذلك آخر العهد منه بالنسخ، ولازم الشيخ أبا المحاسن واختص به وانجمع عليه، ورفض ما سواه واستوحش من الناس وترك ملابسة العلوم الرسمية، وخرج عن عوائده ومألوفاته، ولم يبق فيه لغير محبوبه بقية. وكان منذ أول أمره يدخل الدار ويخرج، فلا يعرف ما ازداد فيها ولا ما نقص، ولا يشعر بشيء إذ كان مأخوذاً عن نفسه مقتطعاً عن شاهده وحسه، إلا أن رسوم الشريعة محفوظة عليه. ثم لم يزل شيخه يحاذيه ويسايره في أحواله ومقاماته في سلوكه، ويستنزله ويرده إلى الوجود ليكتمل ويحصل به نفع العباد ويصلح لتربيتهم، فأمره مرة بإقراء ولده أبي عبد الله محمد العربي (الصغرى) للشيخ السنوسي، فقال له: إن ذلك يثقل علي، يعني لعدم مناسبتة لحاله، لأنه رجوع من الشهود والعيان إلى تعاطي الدليل والبرهان، فقال له: سبحان الله، رأيت الذي يخاطب الحمار أو غيره من الدواب بألفاظها المعهودة لها، إذ لكل لغته، إنما هو خطاب لها على قدرها؟ قال: ثم بعد أيام

سألني، وقال: كيف تجد ذلك؟ فقلت: إنه ثقیل علي، فقال: كيف تجد القرآن؟ فقلت: جمع على الله كله، فقال: والحديث؟ فقلت: إنه منور قال: فرأيته قد سر واستنار وجهه، يعني لكونه اختبره فوجده سليم الفطرة جيد المذاق، وذلك مما يشهد بصدق حاله وسلامة طريقه وعدم الخلل في بصيرته. وهو وإن كان يعرف هذا منه لكنه لا يكتفي بالباطن ولا يهمل الظاهر، بل يعطيه حقه ويستظهر على ذلك بشهادة الخارج ويقيم عليه شاهدين. وأمره مرة أخرى بتدريس (الرسالة) في المسجد المعلق حول داره. وكان الشيخ أبو المحاسن يقول فيه: لولا أنه وجد الشيخ، أو قال المعلم، يعني نفسه، لكان ممن يبول على رجله، يعني من قوة ما نزل به، يعني أنه يتوله ويكون من جملة المتوليين المغلوبين على أنفسهم، المقتطعين عن حسهم. وكان يقول فيه أيضاً: عبد الرحمن أخي له يد مع الله أو عند الله، إلا أن الوقت غمنا وغمه، أجرنا وأجره على الله، وقال فيه: إنه حكيم. وكان هو يقول له: إنه هو وشيخه أبو المحاسن خلقتا كرة واحدة من نور فقسمت بينهما. وسمعت سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله يقول: إن هذا شأن الوارث مع موروثه، فإذا غاب النصف ناب عنه النصف الآخر، ولأجل أنهما شيء واحد ما ورد على هذا شيء إلا ورد على الآخر، ولا أراد هو أن يتكلم هذا بكلام أو يفعل فعلاً إلا أراد الآخر وارتسم فيه. كما كان يقع له مع صاحب الترجمة في غير ما قضية كان يحكيها. وتذكر هنا الحديث: "ما صب في صدري شيء إلا صبته أو صببت منه في صدر أبي بكر"⁽¹⁾.

وكان سيدنا الإمام أيضاً يقول: إنه كلما رأى سيدي يوسف في الغيب ظهر له في ثاني حال أنه سيدي عبد الرحمن، أو رأى سيدي عبد الرحمن عاد سيدي يوسف، لاتحادهما معنى. وتذكر قول سيدي محمد العفاني⁽²⁾ له لما أمسك يده: هذه يد سيدي يوسف. ودخل يوماً على الشيخ أبي المحاسن وهو جالس وحده، فقال له: هكذا دخلت أنا يوماً على سيدي عبد الرحمن، يعني المجذوب، فقال

(1) يوجد معناه في سنن النسائي.

(2) الولي الصوفي محمد بن علي العفاني نزيل القصر الكبير ودفينه توفي سنة 1005هـ (راجع: تحفة أهل الصديقية، ص. 18، نشر المثاني، 1/ 61 وفيه أنه توفي قبل سنة 1005هـ).

لي: أنت خملت بير حتى للقاع. ولما حضرت الوفاة للشيخ أبي المحاسن، كان معه أقرباؤه فصار يقول: أين فلان؟ فيقال هنا، أين فلان؟ حتى قال: أين عبد الرحمن أخي؟ فقالوا: هنا، فدعا له بالبركة. وكان الشيخ أبو محمد الغالب عليه الغيبة والاستغراق في التوحيد. وكان يقول في شأن شيخه معه: هو أمكن مني، أنا شرولتني الحقيقة، وكان أبو محمد مع ذلك محفوظة عليه رسومه، وكان إذا تكلم في العلم كأنه حاضر كله لا يغادر شيئاً مما تحتاج إليه المسألة المتكلم عليها، ويقتضيه المقام. وكان ربما يقول للحاضرين من الفقهاء وغيرهم كيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، يعني في مسائل العلم. وكان بعض المقيدين عنه من الطلبة يوماً فاته كلام قاله في حال تقييده لغيره، فطلب منه أن يعيده عليه. فقال له: أقول كما قال الجنيد: لو كنت أجريه لكنت أملكه. وكان بعض الفقهاء يحضر مجلسه في (البخاري) فطالع يوماً ابن حجر في منزله وأتى فقال له في المجلس: هنا ما ليس عند ابن حجر، كأنه كاشفه بمطالعته. قال: فاستعظمت ذلك واستغربت أن يكون عند أحد ما ليس عند ابن حجر، قال: فما تم المجلس حتى اعترفت بصحة قوله وسلمت له.

وحضر مجلسه يوماً بعض الفقهاء، وكان ذا نبل وإدراك وفهم ومن شأنه أن يتكلم ويبحث، فلم يتكلم في ذلك المجلس بكلمة، فقيل له في ذلك، فقال: لا يتكلم في مجلس ذلك الرجل إلا مكروه، أي ثقيل. فقيل ذلك للشيخ أبي محمد فقال: ذلك الرجل يدرك الإعجاز. وكان من شأنه إذا كتب جواباً أو غيره، ولو طال ما عسى، لا يبيض له. بل يكتبه في محله بديهة من أول مرة. وله تأليف وأجوبة وتقاييد وطرر كثيرة في أنواع العلوم مفيدة جداً. ولما توفي شيخه تأهل للمشيخة وانتصب داعياً إلى الله. وانتفع به ناس كثيرون وظهر ظهوراً عظيماً، ولم يذكر أحد معه في علم الشريعة ولا في الطريقة، وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات الجسيمة.

وفي صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف، ابتدئ في قراءة الأحزاب عنده المرتبة: مساء وصباحاً بالمسجد. وفي سنة سبع وعشرين وألف بنى زاويته وانتقل إليها.

توفي رحمته الله في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف، ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن قريباً من القبة في شماليتها، وبني عليه بناء حسن رحمته الله ونفعنا به. آمين.

هذا آخر كلامه في (ممتع الأسماع) في سيدي عبد الرحمن نفعنا الله به. وقال في (مرآة المحاسن) عندما عرف به: كان رحمته الله إماماً عالماً متبحراً نظاراً جامعاً لأدوات الاجتهاد مائلاً إليه، محققاً في جميع العلوم عارفاً بالنحو واللغة والفقه والأصول والكلام والمنطق والبيان وغير ذلك، إماماً في جميع ذلك، متوسعاً في الأصلين، لا يدرك فيهما شأوه، جيد الفهم صيب السهم، شهد له بذلك شيوخه، واعترف له به أهل عصره، وأما معاني القرآن والحديث والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة، فلا يجارى في شيء من ذلك، يورده استحضاراً، مستحضراً لحديث (الصحيحين) وأكثر (مشارق) القاضي عياض، وما عورض به بين الآيات أو بين الأحاديث، وما قيل في ذلك وما أجيب به، ويصحح ويرجح ويضعف ويضيف. متين الدين، صلب في الحق، قوال به، حسن الأخلاق كريم النفس، عالي الهمة، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، حسن العبارة سهل التعليم زاهد في الدنيا، لم يتعاط قط أسبابها ولا رغب فيها، وإنما كان يتعاطى القيام بما في يده منها غيره، ثم مضى ذلك ولم يتأثر به، ميسر الرزق غير مغتم له، متوكلاً على الله تعالى، حسن اللباس، لا يرى عليه أثر فاقة ولا حاجة، ظاهر الغني غني بالله تعالى، ثم ذكر ولادته، ثم قال: بعثه الشيخ أبو المحاسن إلى حضرة فاس سنة ست وثمانين بقصد القراءة، وكان إذ ذاك العلماء متوافرين بفاس: منهم الشيخ الإمام مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج⁽¹⁾ والشيخ الإمام قاضي الجماعة بفاس، وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء⁽²⁾ أبو محمد

(1) شيخ الجماعة بفاس وصاحب كراسي التفسير والفقه في جامعي القرويين والأندلس ومدرستي العطارين والخلفاويين. توفي سنة 1007هـ (راجع: الحركة الفكرية وما ذكر فيها من مصادر ترجمته).

(2) وهي المسماة أيضاً بفاس الجديد، بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 674هـ (راجع: وصف إفريقيا، 1/218، الاستقصاء، 3/44).

عبد الواحد بن أحمد الحميدي⁽¹⁾ والشيخ الإمام المتفنن المرجوع إليه في الأصلين والبيان والمنطق أبو العباس أحمد بن علي المنجور⁽²⁾ والشيخ الأستاذ شيخ النحاة والمقرئين أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي⁽³⁾ وغيرهم، فلازمهم وأخذ عنهم علوماً جمة من الفنون المختلفة، وأخذ عن جماعة آخرين، ثم لازم الشيخ الإمام المتفنن المحقق النظار أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار⁽⁴⁾ وقرأ عليه وانتفع به كثيراً، وتضلع بالعلوم ودرس في أنواعها وأفاد وصنف و قيد، ولازم أخاه الشيخ أبا المحاسن سنين كثيرة، واقتصر بعد تضلعه في العلوم على الأخذ عنه والحضور لمجلسه والسلوك على يديه، فأخذ عنه كثيراً من التفسير والحديث والتصوف وغير ذلك، وفتح له على يديه، فقطع له فجر الحقيقة طلوع الفجر المبين، وتحقق بمقامات اليقين، وتفجرت ينابيع المعرفة من قلبه على لسانه تفجر الماء المعين. ومن تصانيفه: تفسير الفاتحة على طريق الإشارة، وحاشية في التفسير عظيمة الفائدة، وحاشية على (صحيح البخاري) كثيرة النكت والفوائد تداولها الناس وانتفعوا بها، وحاشية مفيدة على (دلائل الخيرات) وحاشية على (الحزب الكبير) وحاشيتان على (شرح الصغرى): إحداهما جمعها في أيام قراءته على مشايخه، ثم تصرف فيها في أيام قراءتنا عليه وهي حسنة بديعة، ثم غابت عنه فكتب حاشية أخرى جلييلة أيضاً، وهما موجودتان الآن والحمد لله. وحين قرأنا عليه (شرح المحلي) على (جمع الجوامع) وأكثر (شرح العضد) على (أصلي) ابن الحاجب، كان يكتب حاشية على (المحلي) رابطاً كلامه بكلام (العضد) وغاب عني خبرها. وله أجوبة وتقاييد كثيرة في التفسير والحديث والأصلين والفقه والتصوف وغيرها، وعلى كتبه حواش كثيرة في فنون متعددة إذا خرجت حصل بها نفع عظيم إن شاء الله.

(1) اشتغل لمدة ثلاث قرن بتدريس التفسير والفقه والنحو في القرويين والمدرسة المصباحية، توفي سنة 1003هـ (راجع الحركة الفكرية، ص. 361 وما ذكر فيها من مصادر ترجمته).

(2) إمام فاس وعالمها، له إلى جانب اهتمامه بالفلسفة والرياضيات والقراءات معرفة بالحديث والفقه والعقائد، درس بالقرويين وبجامع المنصور بمراكش، توفي سنة 995هـ (المرجع السابق، ص. 360).

(3) توفي سنة 992هـ (المرجع نفسه، ص. 359).

(4) خلف يحيى السراج في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية، اشتهر بدقة التفكير والتعمق في البحث، توفي سنة 1012هـ

وانفرد في أواخر عمره بالإمامة في العلم والعرفان، وأذعنت له الكافة. ثم قال بعد كلام: وانقادت إليه الرياسة بحضرة فاس وانفرد بها، واحتاج إليه السلطان فمن دونه، ونفذت كلمته، مرجوعاً إليه في كل مهم، متبوعاً في كل ما يقصد إلى أن توفي رضي الله عنه.

دفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن قريباً من القبة في شماليها. وبني عليه بناء حسن في صورة البيت، رحمه الله ورضي عنه. هذا كلام صاحب (المرآة) في سيدي عبد الرحمن رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

■ (31) سيدي محمد بن محمد بن عبد الله معن الفاسي الأندلسي*
● (978هـ - 1062هـ)

هو الشيخ الإمام، الحبرالبحر الهمام، كهف الإسلام، وملاذ الأنام، وملجأ الخاص والعام، الولي الكبير، الصديق الخطير، العارف الكامل، المحقق الواصل، المتحقق بالأحدية، وذو الشهود للذات العلية، المتمكن الراسخ، الطود الشامخ، الكامل في الحقيقة والشريعة غاية الكمال، البالغ فيهما مبلغ كبراء فحول الرجال، ذو الهمة العلية، والمفاخر السنية، مقيم السنة، وناصر الملة، المحظوظ من العلم والمعرفة، المشحون بالأسرار التي لا تعبر عنها بنت شفة، مجدد الدين، الناصح لعباد الله المومنين، الدائم الشهود، المتحقق بالوجود، المقيم في التوحيد منذ نشأته ووجوده، القائم بمقام لا يتوارى عنه حاله ولا يغيب عن مشهوده، حجة المريدين، ومحجة المسترشدين، الوارث الرباني، والفرد الصمداني، أبو عبد الله وأبو النصائح سيدي محمد (فتحا) ابن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي، يعرف قديماً بمعن، (بفتح فسكون، أو بفتحتين)، والآن بابن عبد الله، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحد، ويعقوب هذا كومي السلف، مضري الأصل، من قيس عيلان، (بالمهمله) ابن مضر، كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم وهو الصحيح.

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس للشراف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (322 الجزء الثاني)

وذكر بعض الأعلام من المؤرخين. وهو: الشيخ أبو القاسم السهيلي أنه شريف النسب حسني إدريسي، من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس. وكان الشيخ صاحب الترجمة يوصي أولاده ألا يذكروا القول بالشرف. بل يدخرونه للأخرة إن كان، وهم على حفظ الوصية جزاهم الله خيراً.

وذكر في (المقصد) عن سيدي المهدي الفاسي أن سيدي أحمد بن عبد الله ولد صاحب الترجمة قال له يوماً وهو في حالة فيض: " قيل لي -يعني- غيباً ما نسبك؟ فقلت: عربي، والله أعلم " اهـ.

ولد صاحب الترجمة رحمته الله تقريباً سنة ثمان وسبعين وتسع مئة، ونشأ في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، وجود القرآن بروايتي⁽¹⁾ نافع على الشيخ سيدي الحسن بن محمد الدراوي وعلى غيره من أساتذة وقته، وأخذ في طلب العلم زماناً حتى حصل منه النصيب الأوفر، ثم اشتغل بالتكسب، وحبب إليه العبادة، فكان يأتي من الطاعة جهد طاقته.

وعلق بزيارة ضريح سيدي أبي عبد الله التاودي، الدفين خارج باب الجيسه، حتى إذا بلغ أشده وبلغ حدود الثلاثين، جمعه الله بالشيخ أبي المحاسن، فسلب له الإرادة، وألقى إليه قياده. فصرف أبو المحاسن عنان العناية إليه، إلى أن فتح له على يديه، وانتفع به انتفاعاً قوياً، وشرب منه مشرباً رويماً. وعلى يديه كانت له الولادة، وكثير من التربية والإفادة. وكانت صحبته له أربع سنين إلى أن توفي سيدي يوسف.

فأخذ بعده عن أخيه ووارث حاله: العارف بالله سيدي عبد الرحمن، فبقي في صحبته له ثلاثاً وعشرين سنة، مدة ما بين وفاة سيدي يوسف وسيدي عبد الرحمن، وهو عمدته وعليه عول، وبه تهذب وتكامل، وكان يخدمه بنفسه وماله. وكان العارف المذكور يعظم أمره، ويجل ذكره، ويظهر جلالته وفخره، ويقول: "إنه من أرباب القلوب"، وتارة: "إنه لا يوجد مثله في المشرق ولا في المغرب" وتارة أخرى: "إنه ليس تحت قرص السماء مثله". وتارة أخرى: "ما احتزم أحد

(1) أي: قراءتي ورش وقالون.

بحزامه " وقال فيه مرة عندما أساء بعض الناس إليه : "إنه كالشوكة في الطين " يعني : أنه تصيب سهامه أهل الإذابة، كما تصيب الشوكة في الطين واطئها وليس له بها دراية.

ولما توفي العارف المذكور. أحاط صاحب الترجمة بميراثه وميراث شيخه من قبله سيدي يوسف. إلا أنه بقي بداره مدة لم يؤذن له في الانتصاب لدلالة الخلق على الله. ثم إنه زار الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رحمته الله فوقع له الإذن هناك كما أخبر به عن نفسه. فلما رجع جلس في زاوية شيخه سيدي يوسف الفاسي لقربها منه. وكان يسكن بالمخفية، فأتاه الناس من كل جهة، وقال لهم : " اركبوا هذه الرقبة، فقد هددت بالسلب إن لم أخرج إليكم! " وتغرغرت عيناه بالدموع، تصدى حينئذ لإرشاد المؤمنين، وتربية المريدين. وكان يشير لخدمة الجن إياه، وحضورهم مجلسه. يقول : " أول من يخدم المخصوص : الجن، لأنه أكيس من الآدمي ".

وبقي في زاوية شيخه نحو ستة أشهر. ثم بنى زاويته التي بأعلى المخفية على ضفة وادي الزيتون سنة ثمان وثلاثين وألف، وانتقل إليها بأصحابه، يدل على الله، وينصح لعباد الله، وينصر سنة رسول الله، ويحيي أمور الدين وقلوب المؤمنين بما منحه الله من المعارف والأسرار والبركات والأنوار. فأحیی الله به البلاد والعباد، ونفع به الحاضر والباد، وانتشرت على يديه أمور السنة النبوية وأشرقت بها آياته الميينة.

وكان رحمته الله كامل الأنوار والمحاسن، قوي الظاهر والباطن، عارفاً راسخاً، وطوداً شامخاً، مقيماً للسنة، قائماً بمصالح الأمة، مجدداً للدين، محباً في أبناء سيدي المرسلين، واسع المعرفة، علي المقام، قوي الحال، متصفاً بكمال الإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، على حالة سيدي يوسف الفاسي، ونسخة منه في الكمال والتمكين.

وكان يضرب به وبداره المثل في اتباع السنة، وإحياء الدين. لا يمشي إلا وحده أو مع واحد فقط، ولا يتخذ في المسجد موضعاً معلوماً، ويسرع في مشيه، ويداوم غسل الجمعة... إلى غير ذلك من أحواله الموافقة للسنة. فكان جديراً لأجل ذلك أن يلقب بمحيي الدين رحمته الله.

وكان مواظباً على الأوراد والذكر والتلاوة ولو في المرض، وينهى عن ذكر أسماء الله لتحصيل الدنيا، ويقول: "إن ذلك يعود على صاحبه بالخسارة". ويحض على ذكر الله، ويلقن: لا إله إلا الله، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، يرجح في الاستغفار لطلب التوبة من الله: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم". على: "أستغفر الله وأتوب إليه". وكان يقول: "ينبغي الإكثار من الاستغفار، ولا سيما في هذا الزمان" يعني: لكثرة الخطايا والفتن. ويحض على الورد من الصلاة على النبي ﷺ كالخمس مئة، وعلى الإكثار من: لا إله إلا الله بغير عدد، بل قائماً وقاعداً وراقداً.

وكان ينهى كثيراً وهو معظم نصيحته ووصيته عن مخالطة الخلق عموماً، ومتفكرة الزمان خصوصاً، لقلة الصادقين الناصحين الدالين على الله بأقوالهم وأفعالهم، ويكثر من قوله: "الخير بالخلطة، والشر بالخلطة". وكذا كان ينهى عن مخالطة أبناء الدنيا والرؤساء، فتكلم يوماً مع بعض الناس في ذلك، فكانه فهم من ذلك الإنسان أنه يقول: فمالك أنت تجالسهم وتتكلم معهم إذا أتوك؟ فقال له: "هذا الذي ترى ويتكلم معك كالحجر الأصم، درده كيف شئت، يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه!" وكان يقول: "الذي يخالطنا إن لم يحصل له شيء من إرث الحقيقة حصل له صلاح دينه وزوال الغرة منه".

وكان صاحب وقته، وفريد عصره ومصره، تصرف المسلمين على يده، ويتصرف فيها بإذن من ربه، ويدعن له أهل الوقت من الولاة والقضاة وغيرهم. وله كرامات عديدة يطول ذكرها.

وكان يقول لأصحابه: "إذا عرضت لأحدكم الحاجة. فليجلس أمامي مضمراً لها في نفسه. ولا يحتاج أن يذكرها لي". وكم قضيت لهم ولغيرهم على يده من المآرب، وصرف الله ببركاته عن قاصديه من المضايق والمصائب، وكان يشير لانطواء الكون في قبضته في حالة الفناء، ويذكر الآية: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67/39]، ثم يقول "ومن سلك هذا يعرفه" ويذكر في ذلك قول الشيخ سيدي عبد القادر: "وهي في قبضتي كفرخ الحمام" ويشير كثيراً لمقام البقاء. ويقول: "الشريعة ظاهراً. والحقيقة باطناً". ويقول: "الشريعة حتى إلى الماء

والرمل، والحقيقة حتى إلى الماء والرمل"، يشير بذلك كله لنفسه، وأنه برزخ بين بحرين، بحر التشريع وبحر التحقيق. وفي بعض كلامه ما يشير لمجاوزته حال الشيخ ابن عباد رحمته، وأعظم بها شهادة، إذ هي شهادة العارف لنفسه، ولا أقوى منها. وكان إذا قال له أحد: إني أحبك. يقول له: "أحمد الله".

وسأله يوماً بعض الموالين له، وقال له: "يا سيدي، هل رأيت النبي ﷺ؟" فقال له: "نعم، رأيتُه ومسح بيده على وجهي، ولذلك كل من رأيَني أحبني"، وكان يقول: "قلت مرة لسيدي عبد الرحمن: إن النبي ﷺ لا يغيب عني إلى أين؟ فقال لي: ما الذي تشاهد. روحانيته أو جثمانيته؟ فقلت: بل روحانيته. فسكت عني. قال: ثم بعد أيام سألتني: هل ذلك باق؟ فقلت له: نعم يا سيدي، الصفة لا تفارق الموصوف. قال: فسر بذلك، وظهر البشر في وجهه".

وكان يخبر عن ثمار الجنة وأحوالها خبر من عاينها، فيتكلم في ذلك بما لم يسمع من غيره، ومما كان يذكر من ذلك: أن المقروض وهو: طعام معروف يتخذ من لباب القمح بالسمن والعسل والزيت في الجنة بالشجر.

وأحواله وأوصافه ومعارفه وكراماته أجل من أن تحصر، وقد أفردتها بالتأليف الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عبدالقادر الفاسي، وكذلك أفردها بجزء الشيخ سيدي المهدي الفاسي، وسماه: (عوارف المنة، في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة) وترجمه في (المقصد) ترجمة واسعة، وقال بعدها: "وترجمته أوسع من هذا، ولعلنا نتعرض له في غير هذا الكتاب". هـ. وترجمه أيضاً في (الممتع) وأطال فيه بنحو الكراسة، وكذا ترجمه في (الصفوة)، و(الروض)، و(النشر). و(الزهر الباسم)... وغير ذلك.

وكانت وفاته رحمه الله بعد طلوع الشمس بنحو ساعة من يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة اثنتين وستين وألف. ودفن عند الزوال بالقباب أعلى مطرح الجنة، قريباً من قبة سيدي يوسف الفاسي عن يمينها. وبنيت على قبره قبة على شكل قبته، وقبره بها مشهور معروف، عليه دربوز يزار به. قال في (الممتع): "وبقيت الدار مسدودة أياماً حتى جازت أيام التعزية، ليلاً يجتمع الناس أو يبكي أحد بصوت". وفي (المقصد) عن سيدي أحمد بن عبد الله ولد صاحب الترجمة:

"إنه كان إذا زار والده المذكور بعد وفاته، يغيب عن حسه. ثم يرجع بالقرب"، ﷺ، ونفعنا بهما أمين.

■ (32) الشيخ قاسم الخصاصي الأندلسي*

● (1002هـ - 1083هـ / 1673م)

هو الشيخ الإمام العارف الهمام، منبع التوحيد، ومعدن التجريد والتفريد، بحر المعرفة الزخار، وغيث المدد الوابل المدرار، الواصل الكامل المحقق، المجذوب المقرب المستغرق، ذو الإشارات العلية، والحقائق السنية، والمواجد الربانية، والإشراقات العرفانية، أبو الفضل سيدي قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخصاصي (بفتح الخاء المعجمة، وتخفيف الصاد) به عرف، الأندلسي أصلاً، الفاسي داراً ومولداً ومنشأً وضريحاً.

وقولنا: الخصاصي نسبة إلى: خصاصة وهي مدينة على شاطئ البحر بجبل قلعية، ذات مياه وأجنة، لا عمارة بها الآن. كان بها سلفه، وكان لهم بها شهرة في الولاية، ولبعضهم بها. وهو: سيدي مسعود الخصاصي، مزارة، ثم انتقلوا عنها بعد خلائها إلى الجبل المذكور، ثم إلى فاس. وحكي عنه أنه قال: "نحن من الأندلس، كان سلفنا هناك قبل ورودهم على قلعية".

ولد - رحمه الله - نحو واحد أو اثنين وألف، وتربى يتيماً في حجر أمه، لأن والده توفي وتركه في بطن أمه، إلى أن شب وبلغ الحلم. وكانت له صبوة وخلطة مع أتراب له من أهل حومته وغيرهم، كان هو يذكرها ويذكر ما صدر عنه من الأفاعيل بسببها، ويعرف الناس بذلك فضل الله وإحسانه إليه.

ثم هبت عليه عواطف التوبة، فلجأ إلى ضريح الشيخ أبي المحاسن الفاسي من غير قصد له به، إذ كان لا يعرفه ولا يعرف اسمه. فناده: "يا صاحب هذا القبر، إن كنت ولياً لله حقاً. فنطلب منك أن يجمعني الله بشيخ نخدمه الله لا يخدمه معي أحد غيري". فجمعه الله بعد ذلك بشيخه الأول، وهو: سيدي مبارك بن عبابو الكوش،

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس للشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 - 1345) ص 321 ج ح.

دفين خارج باب الجيسة، فصحبه مدة إلى وفاته، ثم صحب بعده العارف الفاسي، ولازمه، وسلب له الإرادة، وفتح له على يديه الفتح العظيم، وبقي في صحبته نحواً من عشر سنين. وكان يقول له: "أنت لي ولست لأحد غيري" يشير - والله أعلم - بذلك أن فتحه كان على يده دون غيره. وكان يقول له أيضاً: "أنت غريب، ليس لك أخ" يشير - والله أعلم - إلى أنه غريب في طريقه وعرفانه وتحقيقه.

ثم بعد وفاته صحب خليفته ووارثه سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، وبقي في صحبته ستة وعشرين سنة. وهؤلاء الثلاثة الأشياخ هم عمدته وإليه سلب الإرادة، كما ذكره هو عن نفسه واحداً بعد واحد وكان يقول: إنه لقي ستة وعشرين شيخاً أو نحوهم. وهو رحمته الله الوارث لشيخه الأخير، وهو: سيدي محمد بن عبد الله، أخبر بذلك تلميذه وولد شيخه المذكور سيدي أحمد بن عبد الله وفي (المقصد) "أنه جلس يوماً مع أصحاب سيدي محمد بعد موته يتحدثون متحيرين. كيف السبيل إلى معرفة وارثه؟ وسيدي قاسم معهم، فقال لهم: ها هو السبع في وسطكم، ولكن أين من يستخرجه ويتفطن له.

وكان - رحمه الله - من أهل العناية الربانية، والأحوال النورانية، والغيبة في التوحيد، والاستغراق في بحر التحقيق، قوي الحال، فائض النور، فياض المدد، تغلب عليه الغيبة تعتاده زيارتها في نحو خمسة أيام من كل شهر فلا يعرف فيها الأرض من السماء. ولا يأكل ولا يشرب، إلا أنه يسأل عن أوقات الصلاة في كل ساعة، وقد يسأل عن صلاة نهائية بالليل، وكان إذا وقع له ذلك، لا يخرج من داره. وكانت طريقته المحبة والفناء في التوحيد، لا يشير في كلامه إلا إليهما ولا يعرج إلا عليهما، وينهض بالناس إلى الله من طريقتهما، ولا يلوي على طريق الخوف ولا يشير إليه، ولا يحب من يقف مع الخوف وشهود مساويه. مخافة أن يقصر به ذلك عن النهوض إلى الله.

وكان يحركه السماع، وينهض قائماً يتواجد من غير رقص، ولكن يقف ويقرب من أهل السماع، وكان شديد الحزم في الدين، واتباع السنة، رفيع الهممة جداً، منقطعاً عن الدنيا وأهلها، في غاية من الزهد والورع، وقلة ذات اليد، يأكل من عمل يده، ويتسبب في حانوته، ولا يقبل من أحد شيئاً ولو من أصحابه، ما عدا سيدي أحمد بن عبد الله. وكان محباً لآل البيت معظماً لهم جداً.

وله كرامات كثيرة ومكاشفات غزيرة وتصرفات كبيرة، ذكر بعضها في (المقصد) وغيره، ورأى الخضر عليه السلام وأخبر به، وكانت له مع ذلك ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله، ﴿وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43/29].

وأحواله ومقاماته كثيرة، وكراماته عظيمة شهيرة، يكفي في سمو قدره وعلو فخره تخرج سيدي أحمد بن عبد الله به، وتربيته وتهذيبه به.

قال في (المقصد): وقد شرعت لهذا العهد في تأليف مستقل في أخباره، من كرامات وغيرها، نويت تسميته عند إتمامه (بالزهر الباسم في أخبار الشيخ سيدي قاسم". يسر الله في إكماله بمنه وأفضاله)هـ. ولم تساعده بإكماله الأقدار، ولا سمح له بإتمامه الزمان والقرار، فانتدب حفيده العلامة أبا عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري لذكر مآثره وأحواله في مؤلف في سفر وسط سماه بـ(الزهر الباسم) أو (العرف الناسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم، ومآثر من له من الأشياخ والأتباع أهل المكارم). ولخص القول فيه في ثمانية أبواب، فليطالع من أراد.

توفي رحمه الله ورضي عنه في وسط ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وألف عن نحو اثنين وثمانين سنة. ودفن بروضة أشياخه أعلى مطرح الجنة، إزاء قبة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وراءه. وبني عليه بيت، بناه تلميذه سيدي أحمد بن عبد الله، وقبره به معروف إلى الآن، عليه دربوز يزار ويتبرك به، ترجمه في (المقصد). وفي (الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع) و(الصفوة) و(الروض) و(النشر) و(التقاط الدرر)... وغير ذلك.

■ (33) سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن الفاسي*

● (1042هـ - 1120هـ)

هو الإمام، الحبر الهمام، العالم بالله، والناصر لسنة رسول الله، ذو السيرة النبوية، والأخلاق المصطفوية، بحر التحقيق والعرفان، المرابي النفاع، الكريم

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، للشريف أبي عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 - 1345)، 325/2.

الأخلاق والطباع، الفتى الذي ما مثله فتى، والرجل الذي ما مثله في وقته أتى، مصباح الزمان، وفريد العصر والأوان، صدر الصدور، الشهير البركة والحكمة والنور، شيخ الطريقة، وفارس الحقيقة، العلم الأوحده، الحجة القدوة العمد، العارف بالله تعالى، أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي محمد بن محمد بن عبد الله معن، الأندلسي المحتد، الفاسي الآباء والمولد، القاطن بالمخفية من عدوة فاس الأندلس، وبها ولد ونشأ.

كان - رحمه الله - من أعيان الطريقة، وأكابر أهل الحقيقة، على قدم السلف الصالح، والمنهج القويم الواضح، آية في السخاء والجود، وكرم الأخلاق، والزهد والعبادة، والتعطف على الضعفاء والمساكين، ومحبة آل البيت والعلماء والصلحاء، وكان على قدم التجريد، صارماً في الحق، نصوحاً لعباد الله، لا يدهن أحداً، وحصل له من الحظوة عند أرباب الدولة وسماع الكلمة ما لم يكن لغيره.

وكان علماء الوقت يقصدون زيارته، ويسلمون له ظاهراً وباطناً، ويجلسون بين يديه كجلوس المتعلم بين يدي معلمه، وانتفع على يديه خلق كثير، وظهر له تصرف عظيم، ومهابة كبرى، فلا تراه إلا رأيت أسداً من أسد الله، قد عوفي من خوف الخلق، وكُفي أمرهم الرزق، وأوتي من علم القلوب ما يشهد له الذوق الواضح والحال الراجح، فلا تخوض معه في فن من فنونه إلا أمتعت فيه، وله من قوة اليقين والدين ما لاحت ثمراته على كل من عاشه أو أوى إلى زاويته.

والزاوية التي كان اجتماعه بها مع أصحابه: هي زاوية أبيه التي على ضفة وادي الزيتون، بأقصى حومة المخفية، عدوة فاس الأندلس. ثم جدد بناءها هو ﷺ فصارت لذلك تنسب إليه، وكان قد سخر الله له أسباب المال، واستفاد منه كثيراً من عمله بالزرع والغرس والنحل بالحاء المهملة فما برح عن طريقة السلف بسببه قدماً واحداً، بل تسلط عليه بالإنفاق في جانب الله، فلم يبق منه إلا ما به تقوم الأسباب بمقتضى الشرع. ولم يكن فيه موضع ترغيب إلا سلكه.

ومما انفرد به في زمانه: أنه كان لا يدخل بدمته شيء من متاع الغير قل أو جل على أي وجه كان، وإن قصده أحد بهدية وغلبه الحياء عن ردها له كافاه عليها بأضعاف مضاعفة وصرفها لغيره في الحين.

وكان شديد الاتباع للسنة في نفسه وأهله، ولا يرتكب في داره أمراً لم ترد به، بل قطع عنهم جميع العوائد، والتكلفات والزوائد، في أعراسهم ولباسهم وسائر أيامهم، كما كان عليه والده رحمه الله، وأمره بذلك واضح وتفصيله يطول.

وأخذ عن والده تبركاً وتادباً واستفادة، ثم بعد وفاته عن الشيخ سيدي قاسم الخصاصي وسلب له الإدارة، ولازمه من سنة أربع وستين وألف إلى موته سنة ثلاث وثمانين، وخدمه خدمة لم يسمع مثلها، وهو عمدته في الطريق، وإليه ينسب على التحقيق، وكان شيخه سيدي قاسم يشهد بخصوصيته، ويشير إلى أنه الوارث له. وقال له يوماً: "أنا عبدك" وكان يوماً آخر غائباً في حاله، فجعل يقول له: "تعال خذ متاعك عني" يشير إلى وراثته لحاله، وأنه هو الذي يأخذ ما عنده. وقال يوماً: "إن هذا الذي بهذه الزاوية لا يوجد في بلاد" كأنه يعنيه، وأشار إلى أنه المقصود من الناس المجتمعين عليه. وقال: "لولا سيدي أحمد لم يجد أحد إلي سبيلاً".

وبعد وفاة شيخه المذكور، صحب العارف بالله سيدي أحمد بن محمد اليميني، وكان بينهما قرب أكيد، واتصال قوي شديد. وكان صاحب الترجمة يصله بأنواع المواصلات، ويواسيه أعظم المواساة. وذكر أبو العباس بن عجيبة في (فهرسته) أن صاحب الترجمة أخذ عنه، لكون شيخه سيدي قاسم تركه لم يرشد، وقال له: "يأتيك من يكملك". فكمل به صاحب الترجمة، وأنفق عليه نفقة كبيرة في حكاية طويلة.

وقال في (التقاط الدرر): "لم يدر المحققون الخادم منهما من المخدم، ولا الشيخ من التلميذ، وكل من أقدم على ذلك فبمجرد التخمين والظن" هـ.

وكانت له رحمته فراسة تامة وكشف عظيم، وظهرت على يديه كرامات، وأخبر بمغيبات يطول شرحها، ويؤدي إلى الملل تتبعها، وأوتي مقام الخلافة الباطنية وخطة التصريف، فكان يجلب ويدفع، ويضر وينفع، وينقص ويوفي، ويعزل ويولي على حسب ما صرفه فيه مولاه ومكنه منه وأولاه.

وكان سيدي أحمد المذكور إذا ذكر صاحب الترجمة، أو ذكر بحضرته، أثنى عليه أحسن الثناء، وشهد له بالخصوصية التامة، وأعظم شأنه، وعرف بحقه. وكان كثيراً ما يصفه بالمجذوب، ويقول فيه: "إنه أبو يزيد البسطامي" وقال فيه يوماً:

"قدمه على رقبتي" ويقول بعضهم عنه قال: "كنت يوماً جالساً مع شيخي سيدي عبد الله البرناوي ببلاد برنو، فسمعت صوت دندنة، فقلت له: ما هذا يا سيدي؟! فقال لي: إنسان بالمغرب يقال له: أحمد بن عبد الله، ما تحت أديم السماء أفضل منه!"

وذكر في (نسمة الآس) أن صاحب الترجمة: لما قفل من الحج والزيارة، ومر بطرابلس، لقي بحوزها رجلاً من الصالحين شهد له صاحب الترجمة بأنه من الأكابر ومن الأقوياء الفحول، وجعل يتعجب من قوته، قال: "ولما وقع بصر هذا الرجل على سيدنا أحمد. يعني: صاحب الترجمة استعظمه جداً. وقال: لا إله إلا الله. ما أعظم صلحاء هذه الأمة! وقال بعد ذلك: لما أبصرته أولاً، رأيته كأنه الشمس طالعة... قال صاحب (نسمة الآس): وشهد هذا الشيخ أيضاً لسيدنا أحمد، بعد ما انفصل عنه بأنه: من أهل الخصوصية الكبرى، وأنه من الأقوياء الفحول، ومن الأكابر، وأخبر بمقامه الخاص به بما لم نعرف نحن التعبير عنه. وقال: إن أصحاب سيدنا ينتفعون به أكثر مما ينتفع أصحاب غيره بغيره، وجعل يقول لبعض الفقهاء من أصحاب سيدنا بعد ما شهد له لما تقدم، وكان أمامه: عليك به، عليك به! وقال فيه آخر مرة: أرجو الله أن يكون قطب زماننا. وأثنى على سيدي أحمد اليميني أيضاً، وشهد له بالخصوصية الكبرى، وذكر مقامه الخاص به. وقال: إن مقامه عيسوي، حكيم يضع الأشياء مواضعها. ثم قال فيهما، أي فيه وفي سيدنا: أحمد إنه ليس في المغرب مثلهما!" هـ.

وفي فهرسة سيدي إدريس المنجرة في ترجمة الشيخ الصوفي، الفقيه الرباني المكاشف. أبي عبد الله سيدي محمد بن سعيد الطرابلسي. أنه قال لبعض أصحاب صاحب الترجمة. وهو: الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمن الصومعي الهروي. حين لقيه ببلده بقصد زيارته: "أحمد بن عبد الله في مقام موسى. وأحمد اليميني في مقام عيسى. وأحمد بن ناصر كان من الأبدال".

ولصاحب (نسمة الآس) المتقدم قصيدة تعرض فيها لمدح صاحب الترجمة، ووصفه فيها بغوث الزمان، وكهف الأنام وكعبة القصاد، وعرفات جميع الفضائل كلها، وشمس المعارف والمعاني بأسرها.

وذكر فيها أنه: مجدد الدين بعد ذهابه على رأس القرن الحادي عشر، وبأنه حاز سير الأكابر والأفاضل، وشمائل الأبدال والأوتاد وعلومهم، فانظرها فيه إن شئت. ووصفه أيضاً بعضهم بالقطب الواضح، والإمام الناصح.

وأخباره وأحواله ومعارفه وكراماته وتصرفاته كثيرة جداً. استوفى بعضها تلامذته وغيرهم في تصانيفهم، وألف فيه بالخصوص جماعة، كالشيخ أبي محمد سيدي عبد السلام بن الطيب القادري، فإنه ألف في مناقبه مؤلفاً في مجلد سماه: (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد). وقد أتى فيه مما يتعلق بصاحب الترجمة بما لا مزيد عليه، مع فصاحة اللفظ، ونهاية التحقيق في العبارة، وفرغ منه قبل موت المؤلف فيه بأزيد من عشرين عاماً. وكالفقيه الصوفي أبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، فإنه ألف فيه مؤلفاً سماه: (المقباس في فضائل أبي العباس) وله أيضاً مقصورة في مدحه وشرحها في سفرين. وكالشيخ الإمام العلامة الصوفي أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الفاسي، فإنه ألف فيه تأليفاً سماه: (الإلماع بمن لم يذكر في ممتع الأسماع). وقيل في مدحه أشعار كثيرة، ولسيدي عبد السلام القادري ديوان مستقل في مدحه.

ولد - رحمه الله - أواخر سنة اثنتين أو أوائل سنة ثلاث وأربعين وألف، وتوفي ضحوة يوم الاثنين ثالث جمادى الثانية سنة عشرين ومئة وألف، وارتجت المدينة لموته ارتجاجاً. ودفن بقبة والده، رأسه عند رجليه. وجعل عليه دربوز كدربوزه، وهو مشهور إلى الآن يزار ويتبرك به، نفعنا الله به.

وإليه وإلى والده قبله وشيخه الخصاصي أشار الشيخ المدرع في منظومته بقوله:

والعارف الشيخ الجليل الواصل	محيي الطريقة الإمام الكامل
محمد هو ابن عبد الله	شيخ المشايخ عظيم الجاه
ولده الشيخ أبو العباس	الطيب الأخلاق والأنفاس
أحمد البحر الهمام الحجة	مجدد السنة والمحنة
العارف المحقق المجذوب	الواصل المقرب المحبوب

بيت الولاية وبيت السر منشأ كل مدد وخير
وشيخه أعني الإمام قاسم يكنى الخصاصي المحب الهائم

■ (34) سيدي محمد العربي بن عبد الله (الحفيد)*

● (1078هـ - 1134هـ)

هو لسيد الزكي، الفاضل الذكي، ذو الهمة العلية، والشيم المرضية، والأوصاف السنية، والآداب السنية، والمناقب العديدة، والمكارم المفيدة، الولي الصالح، العارف الناصح، أبو عبدالله سيدي محمد العربي (فتحاً) بن سيدنا أحمد بن سيدنا محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي.

ولد - رحمه الله - أواخر ربيع الثاني سنة ثمان وسبعين وألف، ونشأ أحسن نشأة، وربى على أكمل تربية، مقتصراً على الدار والزاوية، لا يعرف سواهما، يؤدبه والده على ما هو عليه من المروءة والأدب والسماح والحياء، وعلو الهمة. وقد أخبر بشأنه وما يؤول إليه أمره من الصلاح؛ العارف بالله سيدي أحمد اليميني أول ما رآه وهو ابن سبع سنين. فقال: "إنه يكون رجلاً صالحاً". يعني: من أهل الخصوصية. وتكرر منه الإخبار بذلك غير ما مرة في قضايا متعددة، وكان والده يقول فيه: "إن فيه الخير"، وربما قال: "إنه مسكين". والمسكنة عندهم: كناية عن الصلاح. قال في (المقصد): "بل صرح فيه سيدي أحمد اليميني بما هو أعظم من هذا وأخص، طوينا ذكره".

وكان - رحمه الله - من السادات الكاملين، وأهل الطريقة الواصلين. ولياً صالحاً، بركة واضحة، خيراً أديباً ناصحاً، متجرداً للعبادة، مداوماً على الطهارة، غاية في كمال العقل، ونهاية الفضل، آية في السخاء والنجدة، والعبادة والزهد والورع، واتباع السنة، والمعارف والآداب... إلى غير ذلك مما لا يحصى.

وقام بزاوية أبيه وجده أحسن قيام، واقتبس من أنواره ومعارفه الخاص والعام، وكان يتصدق بجميع ما يحصل له من غلة أصوله.

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، للشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني 2/334.

أخذ عن والده المذكور، وبه تربي وتأدب، وتكمل وتهذب، وظهرت على يديه كرامات، وأخبر بمغيبات، منها: أنه لما قرب موته بنحو الثمانية أيام، وهو في حال صحة، أنزل لهم من مكان عال وعاء فيه معجون مفرن كان يعالج به نفسه، وقال: "كلوه، فإن هذا الجسد. لم يبق له إلا التراب" ثم دخل عليه ولده وأتى من عند طبيب، فقال له: "إن الطبيب يقول لك لا بأس عليك إنما بك ريح قلب". فقال له: "إن الريح هو الذي يحمل السفن". واستمر به المرض إلى أن مات بعد ثمانية أيام. رحمه الله، ونفعنا ببركاته.

وكانت وفاته يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة الحرام عام أربعة وثلاثين ومئة وألف.

قال في النشر: "ودفن بباب قبة جده بالركن الجنوبي، بينه وبين جده موضع قبر".

وقال في (التقاط الدرر): "دفن حذاء جده سيدنا محمد بن عبد الله، بينهما نحو

محل قبر واحد". اهـ.

وقد قال عنه تلميذه وخليفته من بعده سيدي ومولاي علي الجمل العمراني رحمته وأرضاه في كتابه المسمى (نصيحة المرید في طريق أهل السلوك والتجريد) ما نصه: "اعلم أن الشيخ سيدي العربي - نفعنا الله به - كانت له كتب عديدة كتبها بيده مما كان يرد على قلبه، سمعته يتكلم عن كناش من تلك الكتب، قال: هذا الكناش جعلت فيه ثلاثة آلاف تجل، تنقص أقل من مئة، قال من هذا التجلي ما كنت أمكث فيه شهراً وفيه ما كنت أمكث فيه ليلة أو أقل من ليلة". ف رحمته وأرضاه وممن لقي بفاس وتبرك به الشيخ سيدي أحمد التيجاني رحمته. ذكر ذلك صاحب جواهر المعاني.

■ (35) سيدي علي الجمل العمراني*

● (1088هـ - 1193هـ)

هو الشيخ العارف بالله، الدال على الله، شيخ الطريقة، وإمام أهل الحقيقة، معدن المواهب الربانية، ومنبع المعارف الإلهية، قطب الأنام، وغياث الإسلام،

* انظر طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 141. نصيحة المرید في طريق أهل السلوك والتجريد. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الهيب القادري. ترجمته في (الروضة المقصودة).

الغوث الجامع، والبحر الواسع، الكبريت الأحمر، والحجة الأشهر، أبو الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الشريف الحسيني الإدريسي العمراني، من شرفاء بني عمران أهل قبيلة بني حسان الملقب بالجمال، وهو ملقب عند ملائكة الرحمن بالجمال.

كان - رحمه الله - أولاً بفاس متصلاً بالمخزن⁽¹⁾، ثم خرج منها إلى تونس على عهد السلطان أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين إسماعيل، خوفاً على نفسه من أشرافها، إذ كان ممن تولى أمرهم من قبل السلطان ولحقتهم الإذاية منه. فلقني بتونس مشايخ انتفع بهم، وبعثوه إلى وزان عند الشيخ مولاي الطيب الوزاني رحمته الله، فلقنيه بوزان عام ثلاثة وخمسين ومئة وألف، ثم بعثه مولاي الطيب إلى فاس، فقدم عليها، وذلك في السنة المذكورة، وقرأ بها ما شاء الله من التصوف على الشيخ أبي عبد الله جسوس، وصحب العارف الأكبر سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ولزم خدمته مدة أكثر من ستة عشر عاماً، حتى انتفع به غاية النفع، وسمع منه من الأسرار ما لا يكيف ولا ينحصر.

وكان قد فتح له أولاً على يد شريف كبير السن حسن الوجه من ناحية المشرق يقال له: عبد الله. وجده بتطوان وصحبه بها سنتين، ثم لما توفي شيخه سيدي العربي. بنى لنفسه زاوية بالرميلة حيث ضريحه الآن، وكثر أتباعه وخدامه.

وكان - رحمته الله - آخذاً بالشرعية في جميع أحكامها. لا يتعدى أمرها، ويلبس تارة فاخر الثياب، وتارة رثها، وينتعل تارة بالنعل المعروف بالشربيل⁽²⁾ وتارة يمشي حافياً.

وأكثر ما تراه جالساً في القرويين بالباب المظلم لناحية باب فندق سيدي عبد المجيد، دائم الفكرة، كثير العبرة والعبرة. وإذا كلمته، وجدت منه بحراً زخاراً بالعلم والعرفان، وكان من أجل شيوخ الطريق من أهل تجريد الظاهر والباطن معاً، متقشفاً ذاكراً خاضعاً متواضعاً، خالياً عن الدعوى محيداً عن أهلها، مولعاً بالوحدة

(1) أي: حاشية القصر الملكي. أو: من رجال السلطة.

(2) نعل مدبب الرأس موفوعه ملون، غالي الثمن، أشبه بنعال سكان باكستان ووسط آسيا.

وكتبها، وقوانين أهلها. وله اليد الطولى في أصولها وفروعها وحقيقتها على طريقة الشيخ أبي الحسن الششتري ونظرائه من الأكابر.

وكان مستغرق الأوقات في رؤية النبي ﷺ يقظة ومناماً، حتى كان يقول: "مهما خطر ببالي رسول الله ﷺ وجدته هو وأصحابه العشرة الكرام البررة حاضرين بين يدي، حساً لا معنى، ونتكلم معهم ونأخذ العلم والعمل من عين العلم ﷺ".

وكان تلميذه العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي يقول فيه: "والله ما كان شيخنا مولاي علي الجمل إلا أكبر استغراقاً في ذات رسول الله ﷺ من أبي العباس المرسي". وقال في رسائله: "ترجح لي -والله أعلم- أنه أقوى من سيدي المرسي بما رأيت منه من الاستغراق في رؤيته ﷺ ومخاطبته إياه".

وأدرك رحمه الله القبطانية العظمى، بل عاش فيها جلَّ عمره على ما ذكره تلميذه مولاي العربي في رسائله، ونصه: "وأستاذنا - رحمه الله - قد كان يسأل القواريط بفاس البالي من حانوت إلى حانوت كالمضطر الكبير، مع أنه قد عاش غوثاً جلَّ عمره، وقد تعدى عمره ثمانين سنة" هـ.

وكان -كما ذكره أيضاً- تلميذه المذكور يعرف أربعة وعشرين طريقاً في الحكمة، كل طريق منها تقيم الساعي لدار الملك، ومع ذلك كان يسأل القواريط من الناس بالأسواق ويده ترتعش من شدة الكبر ومن أراد أن يعرف مقامه في التحقيق، وينطق في علو مرتبته في الطريق فليطالع كتابه الذي ألفه فإنه عزيز الوجود، وفيه من الفوائد خرق العوائد.

وقد كان الشيخ سيدي عبد الواحد الدباغ رحمه الله يقول: "لا يعرف سيدي علياً إلا من كان هو سيدي علي"! أي: من كان في مقامه. ويقول أيضاً: "كان سيدي علي فقيهاً كبيراً، عالماً شهيراً يفتي في علم الضدين" يعني: الحقيقة والشريعة، والحرية والعبودية، والجمع والفرق، والسكر والصحو، والسلوك الجذب والفناء البقاء.. وما أشبه ذلك.

وقد تربي عنده وتأدب وتخرج وتهذب، جماعة من الأكابر أجلهم: الفقيه الأستاذ الأنور القطب العارف الأشهر أبو المحامد مولاي العربي بن أحمد

الدرقاوي الشريف الحسيني الزروالي. وقد بالغ في الثناء على شيخه المذكور في مواضع من رسائله رحمته، ونفعنا بهما.

توفي صاحب الترجمة رحمته بفاس عشية يوم السبت تاسع وعشرين من ربيع الأول سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين ومئة وألف، عن مئة وستة أعوام، أو خمسة على ما في فهرسة الكوهن.

ودفن من الغد -وهو يوم الأحد- بزاويته التي بحومة الرميطة من عدوة فاس الأندلس، قرب مسجد الشيخ سيدي أبي مدين الغوث نفعنا الله به، وبنيت عليه هناك قبة، وقبره بها مشهور معروف يزار. رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين.

■ (36) مولاي العربي الدرقاوي*

● (شيخ مشايخ الصوفية المتأخرين)

● (1159هـ - 1239هـ)

هو مولاي العربي الدرقاوي شيخ مشايخ الصوفية المتأخرين، وعروس الأولياء وسلطانهم، ومجدد الطريق ومحبيها، المربي الكبير، العارف الشهير. ينتمي لجده العارف سيدي محمد بن يوسف دفين تامسنة الملقب بأبي درقة⁽¹⁾ من ذرية أبي العباس سيدي أحمد بن المولى إدريس الأنور ابن مولانا إدريس الأكبر.

ولد مولاي العربي أوائل النصف الثاني عشر بقرية بني عبد الله قبيلة بني زروال⁽²⁾. وبها نشأ وتعلم القراءة وحفظ القرآن الكريم. وعندما صححه وأتقنه بالروايات السبع اشتغل بطلب العلم فرحل لمدينة فاس، وأقام بها مدة قرأ خلالها على أكابر علماء وقته ما قدر الله له من العلوم.

* المطرب بمشاهير أولياء المغرب الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي.

(1) كني بذلك لأنه كانت له درقة يتوقى بها في الحروب، ولذلك نسب أولاده إليه فقيل لهم: الشرفاء الدرقاويون. ثم نسب إليه كل من سلك طريق مولاي العربي وانتسب إليها. جعلنا الله من صالحها أهلها.

(2) بني زروال من القبائل الجبلية المغربية، تمتاز بكثرة الفلاحة وأشجار الزيتون والعنب والتين وغيرها. يأتي شمال مدينة فاس ورجالها أبطال شجعان لهم مواقف مشهورة في التاريخ.

● عبادته ومجاهداته أيام الطلب :

وكان في تلك الفترات أيام الطلب مثابراً على مجاهدة نفسه وحملها على العبادة من صيام وقيام وتلاوة وذكر، مع فطمها عن المخالفات، حتى إنه - كما يحكي - هَمَّ مرة بمعصية فخرج في جسده قروح كثيرة، فاستغفر الله تعالى فذهبت في الحين فضلاً من الله عز وجل. وهذه عناية كبيرة من الله عز وجل وتأيد إلهي لا دخل للإنسان فيه، فالعصمة للأنبياء والحفظ للأولياء.

● زيارته للأضرحة :

ويحكي لنا أنه كان في تلك الأيام كثير الزيارة لأضرحة الأولياء طوافاً عليهم متردداً على مشاهدهم من وقت لآخر، ولا سيما ضريح مولانا إدريس بفاس ومولانا عبد السلام بن مشيش رحمهما الله.

● بحثه عن المربي :

وفي أثناء ذلك الوقت بدأ يطلب الشيخ المربي فجعل يبحث عنه ويطلب من الله عز وجل أن يجمعه به، حتى إنه ختم بضريح مولانا إدريس ستين ختمة من القرآن الكريم في سبيل ذلك. وعندما أتم هذا العدد سأل الله تعالى مع خشوع وتضرع وبكاء شديد، فهداه الله تعالى للاجتماع بالشيخ وأجاب دعوته لصدقه وإخلاصه فجمعه الله تعالى بضالته سيدي علي الجمل.

● شيوخه وطريقته :

وكان في عصر مولاي العربي شيوخ كثيرون، ولكنه لم يسلم نفسه لأحد منهم، بل كان يحتاط لنفسه ويقتصر على مجرد التبرك بهم، وقد عد من شيوخه الذين تبرك بهم القطب مولاي الطيب الوزاني، والعارف البركة الشريف سيدي محمد بن علي بن ريسون العلمي، كان يزوره من فاس وبني زروال، والمجذوب الكبير سيدي العربي البقالي والعارف الكبير سيدي علي الجمل العمراني، وهو عمدته وعليه عول كما يقول. لقيه بمدينة فاس بزوايته بالرميلة سنة 1182هـ. وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة تقريباً. ولما اتصل به وعلم صدقه وتحقق حسن ظنه وإخلاص

نيته لقيه أولاً الورد العام. وهو: مئة من (أستغفر الله) ومئة من (اللهم صلّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً)، وألف من (لا إله إلا الله)، وعلى رأس كل مئة يختم بـ(سيدنا محمد رسول الله ﷺ). ثم قال له: هذا عندنا من طريق أهل الظاهر السادات الناصريين رضي الله تعالى عنهم، ثم لقيه الاسم الأعظم (الله) من غير عدد، وقال له هو عندنا من طريق أهل الباطن السادات أولاد ابن عبد الله أهل المخفية بالمدينة الفاسية. ثم صحبه بقية عمره وفني في محبته وسلم له الإرادة، فحكّمه في نفسه وثابر على ذكر الاسم المفرد، حتى فني في الله تعالى وتحقق وشاهد رسول الله ﷺ يقظة في أوائل أمره، وفتح الله تعالى عليه الفتح الأكبر في مدة وجيزة، وفوجئ بعلوم ومعارف كالبحار، حتى أصبح كما يقول في (الرسائل)⁽¹⁾: "إني تبهرت في العلم تبهرتاً عظيماً حتى إني لو سئلت عن ألف مسألة لأجبت عنها جواباً بالغاً إذ صرت كالمصباح، فلو شعل مني جميع المصابيح لم ينقص من ضوئي شيء... إلخ".

ولما توفي شيخه استقل بالمشيخة والإرشاد والتربية، وورث سر شيخه فقام على ساق الجد فأحيا الطريق بعد دروسها وجددها، وأنجب رجالاً ورجالاً وكون شيوخاً كان لهم الأثر العظيم في نشر الطريق، وقد ذكر العلامة الصالح الشريف سيدي أحمد بن الخياط - رحمه الله تعالى - عن شيخه سيدي عمر بن سودة أنه قال: ما توفي الشيخ مولاي العربي حتى خلف نحو الأربعين ألف تلميذ، كلهم متأهلون للدلالة على الله تعالى اه. غير أن الذين تفرعت عنهم طريقته وانتشرت في المشارق والمغرب هم العارفون سيدي محمد البوزيدي المتوفى سنة 1229هـ. والمدفون بتجساس من قبيلة بني زيات الغمارية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو يعد من أكابر أصحابه. وقد توفي في حياة شيخه كتلميذه العارف ابن عجيبة وسيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن المتوفى بتجكان من القبيلة المنصورية الغمارية سنة 1262هـ. وسيدي محمد الحراق المتوفى بتطوان سنة 1261هـ. وسيدي أحمد البدوي زويتن الفاسي المتوفى بها سنة 1275هـ. وسيدي أبو يعزى المهاجي وسيدي الطيب الدرقاوي المجوطي. فعن هؤلاء تفرعت الطريق الدرقاوية وعنهم

انتشرت وإليهم ترجع. ومن هنا نعلم أن مولاي العربي هو المحور الذي تدور عليه فرق الشاذلية ويعد المجدد لها والمحيي لمعالمها.

أما طريقته التي كان ينهجها ويأمر بها ويدعو إليها فهي تعلم لوازم الدين الضرورية أولاً من غير تغلغل وتعمق في العلوم.

ثم القيام بالمفروض ولزوم الصمت والإقلال من الأكل والمخالطة، وترك ما لا يعني، والزهد في الدنيا والتجرد من العلائق والعوائق ظاهراً وباطناً، مع المثابرة على ذكر الله عز وجل حسب الاستطاعة والتعلق بالله تعالى والقيام بالعبودية الخالصة من غير نظر إلى حظوظ أو لحوظ، كما هي طريقة المحققين من الصوفية. وكان يأمر بإسقاط المنزلة وإذلال النفس وقتلها، وذلك بمخالفة المؤلفات والعوائد. وكان يوصي أصحابه كثيراً بالتواضع والتمسكن والتظاهر بالفاقة والافتقار إلى الله تعالى وتخريب الظاهر، وكان في نفسه على حالة التجريد المطلق والزهد الكامل والانقطاع التام إلى الله عز وجل، وكان في ابتداء أمره أيام مجاهداته متقشفاً في مأكله وملبسه؛ يختار الخشن من الثياب المرقعة والكساء الغليظ المخطط بالسواد أو جبة صوف مقلوبة وحدها وشاشية نقية مرشوقة، بل كان يردف شواشي متعددة بعضها على بعض فوق رأسه ويحمل على ظهره جرابات متعددة ويكشف رأسه ويمشي أحياناً حافياً ويتعرض للسؤال بالأسواق ويرقد بالطريق، ويسقي الناس الله تعالى من قربة كان يحملها على ظهره وغير ذلك مما كان يقتل به نفسه من الأمور الشاقة على النفوس الثقيلة الصعبة، وكان لذلك يأمر بهذه الأشياء كل من يريد الوصول إلى معرفة الله تعالى، ويقول لا وصول إلى الله، (والمراد به العلم به) إلا من طريق النفس بتهذيبها وتطهيرها من العيوب والرعونات، كما هي طريقة الأكثرية من الصوفية. ذكر العارف ابن جعفر في سلوة الأنفاس (177/1) بقوله: وطريقته مبنية على اتباع السنّة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار والتبري من الدعوى والاقتدار والإكثار من الذكر آثناء الليل وأطراف النهار والاشتغال بالذاكرة وما يعني... إلخ.

• رسائل مولاي العربي :

أما رسائله فنافعة جداً، وفيها فوائد عزيزة تتعلق بالطريق والعبودية والمعاملة مع الله تعالى، ولذلك قال فيها ابن جعفر في (السلوة): ورسائله من أنفع الرسائل للمريدين وأدلها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك... إلخ.

• من فوائده في الرسائل :

ومن فوائده فيها ما ذكره⁽¹⁾ حيث قال: عمن يأخذ الطريق فقال: فالرجل الذي ذكرت لنا أنه قد تحير فيمن يأخذ بيده عن أهل الوقت رضي الله تعالى عنهم، ولم يدر ما يفعل. قل له: يعتكف بمسجد خالٍ أو بضريح ولي كبير أسبوعاً أو أسبوعين أو ثلاثة، وليكن طاهر البدن والثوب واللسان من الكذب، والبطن من الحرام، وليكن أيضاً في المدة المذكورة إما مصلياً أو تالياً أو مصلياً على رسول الله ﷺ أو ما شاء الله من تلاوة وما شاء الله من الصلاة على النبي ﷺ. وهكذا من غير كلفة ولا تعب، فإن الله تعالى يحق له الحق ويبطل له الباطل. والله على ما نقول وكيل والسلام.

ومنها: فقد قال أستاذنا ﷺ لا يعد في الفقراء المقال إنما كان يعتبر فيهم الحال، وكان يقول: أصبعان من العمل خير من مئة ذراع من العلم. والأمر كما قال؛ لأننا نرى الألسن كثيرة غاية الكثرة، والقلوب كادت لا توجد. والبركة لا تنقطع إن شاء الله تعالى، وكان العارف بالله شيخ شيوخنا ولي الله أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الفاسي رضي الله تعالى عنه يوصي كثيراً بتصفية اللقمة وترك الخلطة، واجتناب متفكرة الوقت لغلبة الهوى عليهم وقلة وجود الصادقين فيهم، وكثيراً ما يقتصر على ذلك في وصيته مَنْ قَصَدَ زيارته واستنصحه⁽²⁾.

ومنها: ما ذكر⁽³⁾ بقوله وهو يتحدث عن شيخ التربية: ومن زعم أنه يستغني عن الشيخ فقد أعرض عن الباب وأقبل على الحائط؛ إذ لو بقينا على ما آتانا به

(1) ص 29.

(2) ص 30.

(3) ص 28.

رسول الله ﷺ ولم تخالفه قلوبنا ولا جوارحنا قط لاستغينا برسول الله ﷺ - والله - عن الشيخ، وحيث بدلنا وغيرنا حتى نسيت قلوبنا وجوارحنا ووقع بنا ما وقع من الكدر، فكيف لا نفتقر إلى الشيخ، فهذا لا يقوله إلا متكبر أو جاهل أو راض عن نفسه، والسلام.

ومنها: فلا ينبغي للمحب الصادق أن يهمل الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الفريضة ولا في صلاة النافلة؛ لأنها محل بركة وخير وفضل. ونبينا ﷺ أهل لأن يذكر هنالك وفي كل محل شريف، وينبغي له أن يستحضر عليه السلام كما يستحضر في الصلاة عليه. ويكون هكذا دائماً في المحل الذي ذكرنا وفي غيره من الأوقات العظيمة⁽¹⁾.

ومنها: ما ذكره⁽²⁾، بقوله: ونحبكم بارك الله فيكم أن تقرّبوا من رحمة الله دائماً، أو نقول: تستغرقوا في الرحمة دائماً، ورسول الله ﷺ عينها فادنوا منه بكثرة الصلاة عليه والسلام كما قلنا قبل هذه الأيام، وابعدوا أيضاً من كل ما يشغلكم عن ربكم، ولا تقرّبوا منه، وأهملوا بطونكم وظهوركم ما استطعتم؛ إذ في إهمالهما من الفوائد حرق العوائد، حتى لقد يظهر لي أن من قنع من الدنيا وأفطم نفسه دائماً عنها وأهمل ظهره وبطنه، وقام بالمفروض وبما تأكد من المسنون، وترك دائماً ما لا يعني، كان - والله - محيطاً بالسنة المحمدية، ومن لم يكن هكذا وكان على كثير من غيره، فليس بسني. إلخ.

وعلى كل فوائده في هذه الرسائل كثيرة فليراجعها من شاء ذلك، فقد ملأها توجيهات إرشادية ونصائح خالصة راثقة لإخوانه الفقراء، ولمن يريد الاقتداء به ممن يأتي بعده. وأكثر ما فيها ما ذكرته ملخصاً في بيان طريقته، وفيها غير ذلك، كأمره الفقراء بالصبر على الأذى والإعراض عن سفه الجاهلين، وحضه على إتقان الصلاة والطهارة والمحافظة على صلاة الضحى والاستخارة وقيام الليل ولو ساعة قبيل الفجر، وزيارة الأولياء أحياء وأمواتاً وخاصة رجال الطريق منهم. وينقل كثيراً من الفوائد عن شيخه سيدي علي، ويستشهد بحكم ابن عطاء الله في كل آونة،

(1) ص 28.

(2) ص 72، 73.

كما ينقل كثيراً عن مشاهير رجال الطريق كابن الفارض والششتري وسيدي عبد الرحمن المجذوب وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم.

● بعض خوارقه وكراماته :

كل من أخلص لله تعالى في عبادته لا بد أن يكرمه الله عز وجل بطرف من الخوارق، ولمولاي العربي الحظ الأوفر من ذلك، وإلى القارئ بعض عيونها.

فمن ذلك ما ذكره في رسائله⁽¹⁾ بقوله: وقد أكرمني ربي سبحانه في ابتداء أمري في حال شبابي ونحن إذ ذاك بفاس سنة 1182هـ، إذ كنت لا أرى في نفسي ولا في كل شيء إلا الله تعالى، لكن بنفس ما أرى الله تعالى أرى النبي ﷺ وبنفس ما أراه ﷺ أرى الله تعالى.

وذكر ذلك بعبارة أخرى⁽²⁾ فقال: إني كنت لا أرى في كل شيء إلا ذات رسول الله ﷺ، والكون قد فقدته ولم أجده قط، والله على ما أقول وكيل، إلخ.

ومنها: قوله⁽³⁾: كنت أدرّس (يحفظهم القرآن) الصبيان هنالك بحومة العيون، وأنا أتلو القرآن العظيم والصبيان يقرؤون ألواحهم أمامي، إذ وجدت نفسي بسفينة بالبحر بمدينة تونس - حرسها الله - وأنا أتلو القرآن كما كنت أتلوه بالمكتب، وأما الصبيان ومن كان بالسفينة فكل منهم كان يتحلى بتلاوتي، فإذا بسفن عديدة للنصارى قد بادرت إلينا لتأخذنا فتعلق بي حينئذ كل من كان معي بالسفينة إذ كنت عندهم من أولياء الله تعالى حقاً فغطى الله وصفي بوصفه ونعتي بنعته فدفعت السفينة إذ ذاك إلى السفن وأحطت بها بسطوتي وعنايتي، فبعضها غرقت وبعضها كسرت وبعضها أسرت، والله غالب على أمره. ثم بعد ذلك وجدت نفسي بمكتبي وحالي كحال المريض وعظمي كأنه دق بالمرازب. فأخبرت الشيخ بما وقع لي فجعل يده على فيه ثم تبسم، وقال: إيه ما عرف أحد القطبانية أين هي، هل في الجبال ترعى المعز أو هي في المكاتب تعلم الصبيان؟ ثم جاء الخبر بما وقع في الحين ولعنة الله على الكاذبين. اهـ.

(1) ص 41.

(2) ص 115.

(3) ص 115.

ومنها: ما ذكره⁽¹⁾ بقوله: إني كنت مقبوض الحال غاية القبض فزرت ضريح الولي الصالح سيدي الحاج الشطيبي الزروالي، ثم أحببت أن أرى منه ما يذهب بقبضي، فإذا به قدامي، وهو يقول لي: اتل ما تيسر من القرآن. وقد رأيت يقظة لا مناماً، ولا شك أنه كان من الأقوياء، فلذلك بادر لي بالدواء رضي الله تعالى عنه.

ومنها: ما ذكره⁽²⁾ بقوله: إني كنت ذات يوم أغتسل غسل جنابة بشعبة خالية بقرب دارنا الكائنة بقرب ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف - نفع الله به - بربع بومعان بالقبيلة الزروالية أول هذه السنة هي 1209هـ، إذ وجدت نفسي بجبل عظيم محيط بالدنيا وراء ما في علمي، وهو على لون الخضرة وليس به عمارة ولا بجواره، بل بعيد من العمارة غاية البعد، وأنا في حالي هنالك أغتسل كما كنت أغتسل بقرب داري من غير زيادة ولا نقصان. فتحيرت في أمري غاية إذ وجدت نفسي في كلا الموضعين في وقت واحد وقد بعد ما بينهما غاية البعد. وعادتي أن أطول في الوضوء والغسل. ثم إني لما طالت حيرتي تفرست بعقلي في حالي غاية الفراسة؛ هل هو كما وجدت؟! أم هو حلم أم عبث؟! فصح عندي أنني كنت ببني زروال وبجبل قاف في وقت واحد. ثم طال الأمر بي هكذا حتى فرغت من الغسل وانصرفت. فحينئذ فقدت الجبل ووجدت بني زروال. والله على ما نقول وكيل. أه.

إلى هنا فلنمسك عنان القلم عن الاسترسال في أخبار هذا الإمام العظيم، فإن أمثاله يعز وجودهم في هذه الأمة، ولا سيما في العصور المتأخرة منها، ومولاي العربي قد ساعده القدر وقضى الله عليه أن يوجد في عصر الإمام العظيم الخليفة الراشد سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذي يعد من أفضل وأكرم ما أنجبته النخبة العلوية النبوية الطاهرة كما يشهد بذلك التاريخ.

فقد وافاه أجله المحتوم سنة 1239هـ بعد ما عاش نحواً من 80 سنة، ونقل لزاويته القديمة ببوبريح وبها دفن رضي الله تعالى عنه.

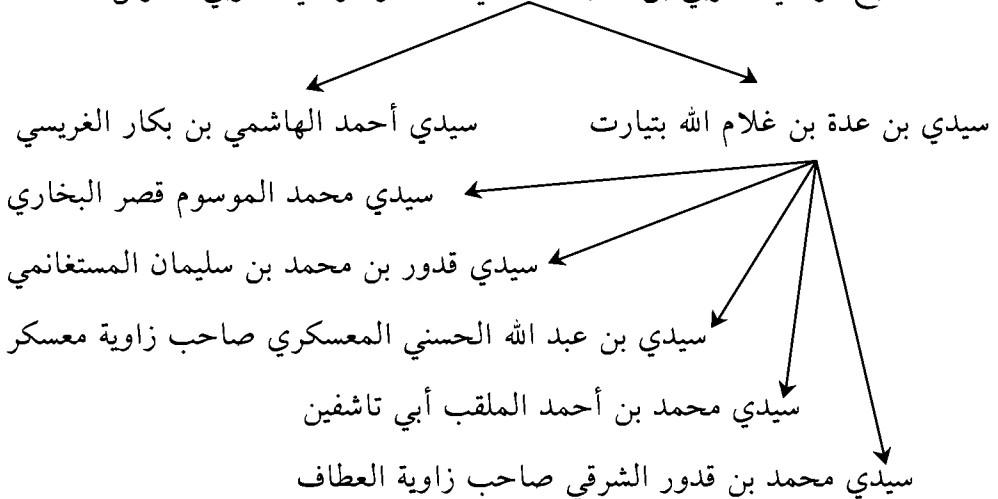
(1) ص 131.

(2) ص 130.

• تلامذة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي :

تخرج على يديه أكثر من أربعين ألف شيخ مربّب :

- 1- الشيخ سيدي محمد البوزيدي ← سيدي أحمد بن عجيبة.
- 2- الشيخ سيدي محمد الحراق.
- 3- الشيخ مولاي الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي ← الحفيد مولاي عبد الرحمن.
- 4- الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن.
- 5- الشيخ الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغماري ← سيدي محمد بن الغالي أيوب ← سيدي عبد الواحد البناني ← سيدي محمد بن ابراهيم الأندلسي ← سيدي محمد بن الصديق الغماري.
- 6- الشيخ محمد بن عبد القادر الملقب بالباشا ← سيدي محمد بن قدور الكركري .
- 7- الشيخ سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني ← سيدي محمد الفاسي .
- 8- الشيخ سيدي عبد الواحد الدباغ ← سيدي أبو بكر البناني.
- 9- الشيخ سيدي أبو عزة المهاجي.
- 10- الشيخ مولاي العربي بن عطية الغماري المدعو مولاي العربي الطويل



■ العارف الشريف سيدي بوعزة المهاجي*

هو الشيخ النزيه، المعظم المحترم. الوجيه الشريف الأصيل، البركة النبيل، العارف بالله تعالى، أبو عبد الله سيدي بوعزة التلمساني المهاجي. من مهاجرة وهي قبيلة من بني عامر بقرب تلمسان، له زاوية بوجدة وأخرى بتلمسان له فيهما أصحاب وأتباع.

وكان هو من أصحاب الشيخ العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي إليه ينسب وكان من أهل الحقائق والعرفان، وجلالة القدر وعظيم الشأن، يتكلم بما يبهر العقول وبما لا يقدر عليه إلا الفحول. ويقول: "لو نزل إلينا الملائكة من السماء لتذاكرنا معهم".

وكان إذا جالس العلماء أفحمهم. ولم يقدر أحد منهم أن يجادله في شيء، ويقال: إنه كان في أول أمره ممن يغلب عليه الصمت حتى قال له شيخه المذكور يوماً من الأيام: "تكلم!" فانطلق حيثئذ لسانه. وتنسب له تصرفات عديدة وأحوال صادقة وخصال حميدة.

ومن الذين أخذوا عنه وتربوا على يده سيدنا الحاج محمد الهبري رحمته الله.

توفي - رحمه الله - يوم الجمعة، أواخر شهر ربيع الأول وكان موافقاً للخامس عشر من شهر أيلول/ سبتمبر عام سبعة وسبعين ومئتين وألف، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين الغوث المعروف بأقصى حومة الرميطة من عدوة فاس الأندلس، بقوس منه عن يمين المحراب، وهو مزار متبرك به.

■ (37) سيدي عبد القادر الباشا الوكيل

● (1197هـ - 1262هـ / 1783م - 1843م)

هو العالم المحقق الذاكر الواصل القدوة الجامع للعلوم الشرعية والعربية واللدنية سيدي محمد بن محمد بن عبد القادر بن بومدين الوكيلى الملقب بالباشا.

* تعريف الخلف برجال السلف ص 31.

فقد ولد من أبوين كريمين وأسرة عريقة في العلم والصلاح والولاية، ولا نعرف عام ولادته بالضبط، وإنما نعرف سنة وفاته وهي 1262هـ/1843م. ونعرف أنه عاش وكبر حتى شاخ في الإسلام، وعاش ما يقارب الخمس والستين سنة، أي ولد بالتقريب سنة 1197هـ، وقد تعلم القرآن، وحفظه منذ حدثه، وحفظ الحديث، ثم تفقه في علوم المذهب واللغة والرواية والحديث، وتضلّع في هذه العلوم، وكان منذ حدثه، يتردد مع أبيه على الزاوية والذكر ومجالس العلم، وقد أخذ الوسيلة عن شيخ مشايخ هذه الطريقة سيدي ومولاي العربي الدرقاوي رحمته الله، وأخلص الجد والطلب والعهد، كما كان فانياً في الله محباً لشيخه وإخوانه، مأذوناً في الذكر والإرشاد والتربية، عالماً واعظاً فقيهاً صوفياً ذاكراً، وهذا ما يلّمسه القارئ من خلال قراءته لمؤلفه (الإشارة الكافية في معرفة شيخ التربية)، ولما كان إخلاصه وفناؤه صادقين إلى جانب العلوم التي حصل عليها، أدركته همة شيخه، فبرز للوجود بحراً زاخراً في العلوم اللدنية والإرشاد، والوعظ بالدليل والحجة والمنطق والبرهان، يزين ذلك إيمان قوي، وعقل راجح ولسان صدق، وقلم يدافع عن الإسلام وأهل التصوف والنسبة، وكتابه (الإشارة الكافية في معرفة شيخ التربية) كتاب قيم جليل القدر، كتب بأسلوب العلماء العارفين العاملين، والمربين الذين عانوا أصناف التربية، وفهموا التسليك والترقية وأصلوها، ومما يجب على المري وما يجب على المريد مدعماً بآيات من كتاب الله تعالى وأحاديث نبوية شريفة، ثم الحكم البالغة والموعظة الحسنة والمنطق والحجة والدليل، حتى يشعر القارئ أنه لا يستطيع أن يتركه قبل أن ينتهي منه، لأنه يعيش بأفكاره وروحه وقلبه منذ اللحظة الأولى، وهو مخطوط يقع فيما يقرب المئتي صفحة.

لا يعرف بالضبط عدد مؤلفاته، والذي يبدو لقارئ كتابه (الإشارة الكافية)، لأنه كتب بأسلوب شائق رصين يغري القارئ، أن لشيخنا مؤلفات أخرى، ففضلاً عن الأسلوب الجزل كثافة مادة العلم، وسهولة الكتابة ويسرها، وعمق المعاني ووضوحها. هذه عوامل وأمثاله تدل على أن هناك مؤلفات أخرى مجهولة بالنسبة إلينا ولا نعرف عنها شيئاً. وربما كانت في خزائن أحد مريديه، ويضن بها على أربابها، أو أنّها مهملة، أو أنّها مجهولة بين المخطوطات، وآخر سهم نطلقه أنها يتيمة والله أعلم.

● وفاته :

وانتقل - عليه الرحمة والرضوان - إلى جوار ربه عام 1262هـ، كما ذكرت آنفاً في مطلع هذه الترجمة.

هذا وقد خلف الشيخ - عليه الرحمة والرضوان - قبل وفاته تلميذه البار، وكل تلاميذه بررة، وهو سيدي محمد بن قدور الوكيل الكركري الذي كان وفياً لأستاذه وشيخه أصدق الوفاء.

رحم الله الشيخ وأجزل له الثواب والعطاء، وعض الله المسلمين عنه خير الجزاء، وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته، وجميل عفوه، وإكرامه أمين.

■ (38) سيدي محمد بن قدور الوكيل الكركري

● (1214هـ - 1284هـ / 1801-1869م)

هو الشيخ الفاني والعالم الصمداني عالم عصره وفريد دهره، سيدي محمد بن قدور الوكيل الكركري، تلميذ مولاي عبد القادر الوكيل الباشا الذي أخذ عنه، وأقام في زاويته في بني وكيل حتى أخذ الإذن عنه بالذكر والإرشاد والتربية والتسليك. وكان - عليه رحمة الله - عالماً متقناً متدبراً للآي والحديث، متمسكاً بالسنة عاملاً بها، صادقاً في كلامه ودعوته، ومستقيماً في قلبه وروحه. ولما نور الله قلبه، وفتح بصيرته، وبلغ مبلغ الرجال، أذن له شيخه بالدعوة إلى الله والإرشاد والتربية فرحل إلى الريف، شمال المغرب الأقصى وبنا زاويته هناك في جبل (كركر)، فأقبل عليه خلق كثير، وانتفع به عباد الله، فخرج على يديه رجال، وأي رجال كما عناهم الله في الآية ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23/33].

أما تلاميذه الذين حملوا راية الدعوة إلى الله وتخرجوا على يديه في زاويته علماً وأدباً وشريعة وحقيقة وفتحاً، فانطلقوا بأمر شيخهم إلى نشر الدعوة إلى الله، وبنوا زواياهم التالية:

- سيدي ومولاي محمد بن أحمد عبد الرحمن العزاوي، الملقب بالهبري.

- سيدي حمو بن الحبيب البوزيدي صاحب زاوية مستغانم.

- سيدي ومولاي عبد القادر بن عدة بن عطية البوعبدلي صاحب زاوية غليزان.

- سيدي محمد بن مسعود.

وقد قاموا بنشر الدعوة إلى الله وإرشاد مريديهم وتربيتهم على أتم ما يرام، فنشروا الطريقة، وعلموا الناس الشريعة، وعرفوا العباد بالمعبود، فاهتدى بهم من صح نظره، ولطف ذوقه واستصحف عقله وهداه ربه، ولما كبر الشيخ، وشعر بدنو الأجل، خلفه ابنه سيدي ومولاي الطيب، طيب الله ثراه، فسار على الأثر واقتفاه، وبعد وفاته بقيت المشيخة في عاقبه متوارثة إلى اليوم. وانتقل الشيخ -عليه الرحمة - إلى الدار الباقية عام 1284هـ الموافق 1869م، فدفن بزاويته في جبل كركر رحمه الله، وأجزل له الثواب والعطاء وعوض الله المسلمين عنه خير الجزاء، وبارك لنا بالعلماء العاملين والحمد لله رب العالمين.

■ (39) الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري

● (1239هـ - 1317هـ)

هو العالم الصالح الولي الذائع الصيت الشيخ الكامل المربي الدال على الله بالشريعة والحقيقة سيدي الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الشهير بالهبري.

ولد سنة 1239هـ في الأسبوع الذي انتقل فيه سيدي ومولاي العربي الدرقاوي رحمته الله - كما روى ذلك عن نفسه - من أبوين شريفيين كريمين، وأسرة محتد وكرم وعلم وتقوى وولاية، إذ كان أبوه فقيهاً ولياً صالحاً، حرص على تعليم ولده والسمو به إلى مراتب أهل العلم، لما كان يرى فيه من مخايل الذكاء والفظنة والأدب والصلاح منذ نعومة أظافره. وما تشاء الأقدار الإلهية أن يرى الأب ابنه كما يريد، إذ انتقل الأب إلى رحمة ربه، وسيدي الحاج محمد الهبري ما يزال صغيراً، بيد أن العناية الربانية اكتفت به بين يدي أمه، فقد كانت على جانب كبير من الصلاح والتقوى والولاية، الأمر الذي اندفعت به الأم الصالحة إلى تربية ولدها كأحسن ما يجب أن يربي ولد مسلم في بيت مسلم، يشع فيه نور الولاية والتقوى، بالإضافة إلى ما كان عند الولد من استعداد لمثل هذه التربية، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

وَلَنَكْتُبَنَّ اللَّهُ رَحْمَةً ﴿ [الأنفال: 17/8] إنها عناية الله التي اكتنفت الشيخ الهبري،
قدس الله سره.

عاش رحمته الله قرابة ثمان وسبعين سنة، قضاها بالذكر والعلم والمعرفة والإرشاد والتسليك والقرآن والحديث والتصوف، حتى بارز العلماء في علومهم، وفاق النساك في عبادتهم واجتهادهم، فهو عالم عامل متحقق متصف بالأخلاق المحمدية شريعة وحقيقة. توفي - رحمه الله - في الثالث والعشرين من رمضان من عام 1317هـ.

● نسبه وسلسلة الشرف الروحي:

كان الشيخ - عليه رحمة الله - شريفاً من أبويه، فهو من أبيه وأمه منسوب إلى المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، عن طريق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكما هو الحال في نسبه الطيني، فكذلك في نسبه الروحي فهو متصل بسلسلة مشايخه إلى سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام إلى سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا جبريل عليه السلام إلى حضرة الله جل جلاله وعم فضله ونواله.

● علومه:

سبق أن والديه، عليهما الرحمة والرضوان. كانا حريصين على تعليمه لما كانا يريان عليه من الإمارات التي تدل على أنه سيكون له شأن عظيم في المستقبل...

فقد حفظ القرآن الكريم منذ طفولته، وكان يحافظ على الصلوات في أوقاتها واستدامتها، وكان منذ صغره قليل الكلام، كثير التفكير، كثير الذكر والتلاوة. يقول رحمته الله: أتتني فترة كنت أمتهن حرفة التلاوة بين القراء. كما قرأ الفقه والحديث والتفسير وحفظ الحكم العطائية. فكثيراً ما كان يستشهد بها وبكلام أقطاب الطريق، كالإمام الشعراني وسيدي عبد القادر الجيلاني ومولاي العربي الدرقاوي ورموز سيدي أحمد بن موسى الكرزازي وسيدي ابن عجيبة وغيرهم.

● مشايخه:

لشيخنا سيدي الحاج محمد الهبري القدوة مشايخ كثيرون، من أهمهم العالم الفذ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي الثاني، كما أخذ العلم عن سيدي أبي عزة

الشريف المهاجي ، وكان يحافظ على عهودهم. كما كان همه أن يلقي صاحب الوقت ليأخذ بيده ويدله على الله تعالى. فقرأ على قبر جده سيدي الشيخ عبد الله الكبير بن عزة أربعين سلكتة ، أتمها على قبر سيدي بوعلي دفين بني خالد ، فألهمه الله تعالى أن يذهب الى جبل كركر. ففرح بذلك وأطعم الفقراء والمساكين شكراً لله تعالى ، ثم توجه إلى سيدي محمد بن قدور الكركري الوكيللي ، وكان الفتح على يديه.

● مع سيدي محمد بن قدور الوكيللي الكركري :

تعلق الشيخ المرید بشيخه الكامل القطب الواصل ، فأحبه بكلية ، وأخذ منه كل ما كان يمليه عليه أو يرويه أو يعظه به ، كما أحب الشيخ مریده الظامئ إلى معرفة الله ومراتب السلوك وما يقتضيه ، فصدق في الطلب ، وأخذ عنه الورد ثم أدخله الخلوة فلاحت عليه شوارق الأنوار ، وفاضت عليه منح الأبرار فأشرق الظاهر والباطن ، ونطق اللسان بما يترجم عن المكنونات الغيبية ، وسبح القلب في الملكوت والجبروت ، فنطق بالعلم اللدني الموهوب... كل هذا والشيخ يسلك بمريده ، ويعطيه ، ويرقيه. ثم لما تحقق بالفناء والبقاء أذن الشيخ لمريده الصادق أن يذهب إلى جبل تاغيت في بني زناسن لبيني زاويته هناك. فاستجاب لأمر شيخه ، بعد أن أخذ عنه علمه وحاله ، فبنى الزاوية فأحيا القلوب والعباد بذكر الملك العلام.

● زواياه :

أقام الشيخ - قدس الله سره - أربع زوايا ، وعدة مساجد ودوراً وأراضي وطواحين ، جعلها كلها في سبيل الله للذكر والذاكرين والقائمين والعاكفين ، إذ أقامه الله وسخره لعبادته ونشر لواء وحدانيته ، وزرع المعرفة في قلوب المؤمنين حتى يؤمنوا بربهم حق الإيمان ، وليكون إسلامهم حقاً ، تعبداً وصدقاً ، فرقامهم بمراتب الإحسان مرتبة مرتبة ، حتى فنوا الفناء كله ، وعادوا لصحوهم علماء عاملين عارفين ، فكانت كل زاوية بناها هي كمدرسة وكجامعة وكمنهل للعلم والمعرفة بالله ، ومناراً يهتدى بها في ظلمة ليل داج ، فهي السراج الوهاج.

كانت الأولى بجبل تاغيت والثانية أعلاه والثالثة بجبل صفرو والرابعة - وهي الكبرى - بالضريوة قرب السعيدية ، بنى معها مسجداً. فكل زاوية أكبر من أختها

وكل مأثرة بجانب سابقتها، كلها عامرة بالقرآن والذكر، انتشرت منها بفيضه ومدده الطريق في مشارق الأرض ومغاربها. فقام المريدون الذين فنوا في محبته بالسير على نهجه وسيرته في بناء الزوايا وإعمارها بالذكر، فبنيت في حياته ﷺ الزوايا بتلمسان وتاخمارت وتونس والمغرب وغيرها.

● كراماته:

لقد تواترت عن مشايخ الطريق رضوان الله عليهم أن أعظم كرامة هي الاستقامة، وأنهم ما كانوا يتشوفون لخوارق العادات ولا يقفون عندها، بل يسترونها ما استطاعوا متحققين بكمال عبوديتهم لله تعالى، هذا ولا مانع من ذكر بعض كرامات سيدي الحاج محمد الهبري التي اشتهرت وتداولت بين فقرائه ومحبيه وغيرهم، من ذلك أنه ﷺ كان يداوي سائر الأمراض التي تصيب الإنسان، وقد كانت الأعشاب تناديه فتقول أنا أصلح لمرض كذا وكذا، ومن كراماته أيضاً أنه قال: ما دمت حياً لا تدخل فرنسا لأرض المغرب. وكان الأمر كذلك، فلم تستطع القوات الفرنسية من استعمار المملكة المغربية إلا بعد وفاته.

كراماته كثيرة لا حصر لها، فكل فقير يحمل كتاباً زاخراً بكرامات الشيخ وأسراره وأنواره وأحواله التي قذفها في قلب المريد الصادق، فأحيا القلوب بذكر الملك العلام، فزج بها في جنة المعارف والأذواق. فيا لها من كرامة، فالفقير الذي يذكر الله في جميع أحيانه متحققاً حساً ومعنى بقوله ﷺ "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ". هذا الفقير الصادق هو أعظم كرامات الشيخ إذ أخرجته شيخه من موت الغفلة إلى حياة الحضور الدائم مع الله تعالى في كل حركاته وسكناته وتقوى على ذلك بمدد شيخه.

● وصاياه:

المتتبع لكلام الشيخ والقارئ لرسائله يدرك قيمته العلمية والشرعية. ومدى باعه في الولاية الكبرى والمعرفة وحسن التربية والإرشاد والتسليك والعلوم الشرعية التي أخذها والأذكار والأوراد ورضا مشائخه عنه، والعلم اللدني الذي أفاضه الله عليه، وكل ما أعطاه الله، كان يفيضه على تلاميذه ومريديه. فكان يوصيهم بالشرعية وأمور الدين والمحافضة عليها، وعلى الفرائض والسنن والذكر ومراتبه وتنوير القلب

بالصلاة على النبي ﷺ، ويقول: "خذوا العلم عن أصحابه وأهل فنه". وكان يأمرهم بالاستقامة والتحلي بالأخلاق المحمدية والشمائل النبوية.

كان الشيخ - رحمه الله - يوصي الفقراء كثيراً وينبهم ويعظمهم ويذاكرهم، وكل وصاياه حكم وتربية وتسليك؛ فمن آية قرآنية إلى موعظة نبوية إلى حكمة عطائية. وهكذا كان الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري يعظ تلاميذه بالتوبة والإخلاص عملاً بقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125/16].

• أوقات الشيخ وأعماله اليومية:

كان - قدس الله سره - يدخل إلى الزاوية في الهزج الأخير من الليل ويبقى في الذكر حتى يؤذن للأذان الثاني، فيقوم في الناس إماماً. وبعد الصلاة يجلس بين الفقراء، يذكر معهم ويقرأ الحزب المقرر يومياً، ثم يذاكرهم بما يلزمهم، ويأخذ آية أو حديثاً أو حكمة ويشرحها، ثم يفيض بما أفاء الله عليه من العلوم اللدنية الغيبية، ويروي ظمأهم ويشفي غليلهم، وهم في غاية التعطش إلى تلك المذاكرة. وهو لا يكمل ولا يمل، ويبقى هكذا حتى شروق الشمس. فيصلي الضحى، ثم يستأذنونهم بالانصراف، فيودعهم فرداً فرداً ويعود إلى الزاوية. ويدخل على الفقراء الملازمين والمتخلين للذكر، فيلقنهم ويذكرهم ويرقيهم ويسمع وارداتهم، ويسلكهم، ويبقى معهم حتى أذان الظهر، فيدخل المسجد، ويصلي بالفقراء إماماً، ثم يقدم لهم الطعام ويبقى كذلك معهم يواكلهم ويؤانسهم حتى أذان العصر، فيصلي بهم إماماً، ويجلس بعدها لتلاوة الأوراد والأذكار. وكان يوصي الفقراء بلزوم العناية بهذه الفريضة لقوله تعالى ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238/2] ثم يدعو الله تبارك وتعالى ويشرع بالدرس العام.

ثم يرتاح بعدها، وربما استقبل بعض الزوار، ثم يؤذن لصلاة المغرب. وبعد أداء الفريضة يجتمع الجميع على الذكر والتلاوة والسماع بخشوع وإجلال. فإذا ما أقيمت صلاة العشاء وقف الجميع بين يدي الله تبارك وتعالى. يأتون بشيخهم الجليل. وهكذا كان حاله ﷺ خلال اليوم والليلة قائماً عابداً ذاكراً موحداً واعظاً مرشداً مقتدياً بسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام في كل حركاته وسكناته.

● رحلاته وجولاته :

كان رحمته محباً للأسفار والتنقل والجولان، ولا سيما إلى بيت الله الحرام وزيارة سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإلى العتبات المشرفة، وبيت المقدس، وزيارة سيدي عبد القادر الجيلاني. فقد حج الشيخ أربع مرات مع الفقراء المحبين والعلماء العاملين؛ كانت الأولى سنة 1295هـ الموافق 1878م، والثانية سنة 1300هـ الموافق 1883م، والثالثة 1305هـ الموافق 1888م؛ وهي حجته المشهورة التي حج معه فيها تلميذه الأشهر سيدي الحاج محمد بن يلس رحمته وسيدي الحاج عبد الباقي وغيرهم، والرابعة سنة 1310هـ الموافق 1892م.

● ومن كلامه قدس الله روحه :

خذ الحق والتحقيق من امرئ ناصح
ليطوي لك بعد المسافة بالكل
لقد زل في كل كثير من التقى
وكل يقول الحق عندي وفي قولي
ومنشأ هذا الاضطراب أتاهم
عن العارب الأسنى الشريف المبجل
فأيده رب الأنام بنصره
زاده من كل المكارم والفضل
ألا قل لمن يبغي الصواب ويقتفي
بأرباب أهل الله فليحفظ ما أملي
فخذ لب أقوال الشيوخ وأخذهم
ودع ما تراه العين تنج من الجهل
عليك بذكر الاسم يا صاح إنه
صفاء ونور للقلوب من الخبل
ولا تركزن إلى الظواهر ظاهراً
وتزعم أنك تصل إلى الأصل
فهذا محال لا تصل لسره
إلا أن تطوى لك المسافة بالكل
كمجنون ليلى لا يفوز بوصلها
ولا هو عنها بالسلو فيعذل
عليك بذكر الاسم في كل ساعة
يبصرك ما في العلو وفي السفلى
لقد نصحت الإخوان والله شاهد
فجرب ففي التجريب علم الأفاضل
ومن الجدير بالملاحظة أن من أشهر العلماء الذين أخذوا عنه فضيلة الشيخ

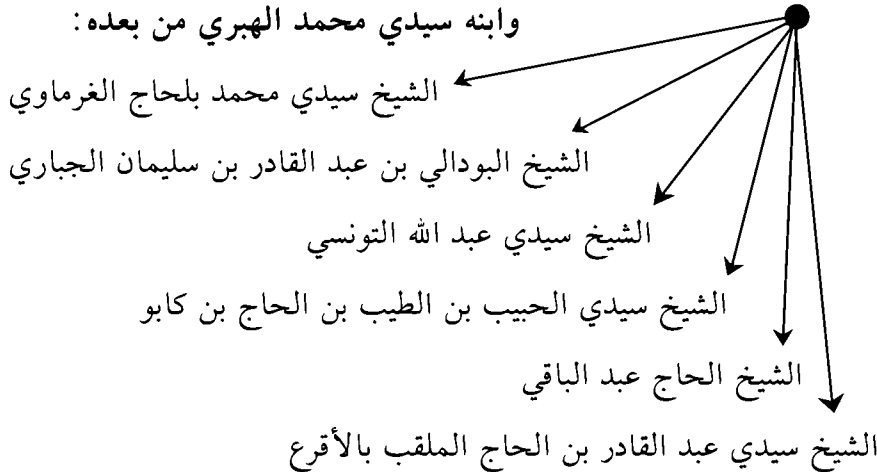
أحمد بن محمد الدكالي الذي أتاه الله على يده خيراً كثيراً. ثم أوفده إلى تلمسان لنشر العلم والطريقة، فكان له في ذلك عمل جليل، وكان بحق أول من نشر الطريقة بإذن شيخه في تلمسان، وقد أخذ عنه جماعة من أعيان تلمسان منهم على سبيل الذكر لا الحصر سيدي محمد بن العربي بلقايد وسيدي المقدم عبد القادر وزين والشيخ الحاج محمد بن يلس دفين دمشق وسيدي بوزيان بوشناق وسيدي أحمد الستوتي.

• ومن تلاميذ الشيخ الحاج محمد الهبري :

- الشيخ البودالي بن عبد القادر بن سليمان الجباري
- الشيخ الحاج محمد بن يلس وتلميذه الحاج محمد الهاشمي
- الشيخ الحاج عبد الباقي
- الشيخ سيدي محمد بلحاج الغرماوي
- الشيخ سيدي عبد الله التونسي
- الشيخ سيدي الحبيب بن الطيب بن الحاج بن كابو
- الشيخ الحاج بلقاسم السنوسي
- الشيخ سيدي عبد القادر بن الحاج الملقب بالأقرع

• بعض المشايخ الذين أذن لهم الشيخ الحاج محمد الهبري

وابنه سيدي محمد الهبري من بعده :



■ (40) الشيخ سيدي محمد الهبري

● (ت 1360هـ - 1939م)

هو الشيخ العالم العلامة سيدي محمد بن الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري قدس الله سره. فقد كان قدوة السالكين وقطب الواصلين، ولد رحمته الله في مطلع العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري ونشأ في أسرة كريمة يرعاه أب كريم في وسط طيب أفراده الفقراء وأهل القرآن والعلم. وهكذا توافر له جو خاص بعث فيه حب الطريق عامة وأقطابها من أهل الله خاصة مما أهله وهو في ريعان الشباب لأن يقوم مقام الرجال الكمل، حيث باشر تسيير أمور الزاوية والتدريس في حياة والده. وقد أظهر الله على يده، وهو بعد في ريعان الشباب، فضلاً كبيراً، ولما انتقل والده إلى رحمة الله أجمع كبار الفقراء على الالتزام بوصية الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري القاضية بتولية نجله سيدي محمد الهبري أمر تسيير الطريق خاصة، وأنه قد باشر ذلك في حياة والده، وأظهر جدارة بالمهمة لما توافر لديه من نباهة وجد ونشاط، وتحقق فيه الظن فاضطلع بأمر الطريق وقام بذلك أحسن قيام. فازداد عدد التلاميذ والمريدين إلى درجة أقلق الاستعمار الفرنسي الذي أجبر الشيخ على النزول إلى السهل في زاوية أبيه بالضريوة قرب ميناء السعيدية بدل البقاء بزاوية جبل تاغيت التي خشي الاستعمار قيام الثورة منها، فقام رحمته الله بإصلاح زاوية الضريوة وإدخال تحسينات عليها كي تلائم نزول الفقراء في جموعهم، وفي سنة 1332هـ الموافق لـ 1914م، نشبت الحرب العالمية الأولى فازداد خوف السلطة الفرنسية الاستعمارية من الشيخ، فنفته إلى آفلو بالهضاب العليا بالوسط الجزائري هو وعائلته، فكان الفقراء يزورونه في منفاه ويجتمعون إليه، فتزايد خوفها من الرجل فنقلته إلى عنابة بالشرق الجزائري، وذلك كله خوفاً من الفقراء الذين ما فتئوا يزورونه وبكثرة، أما عن سبب نفيه المباشر؛ فهو راجع إلى رفضه السير في ركاب المستعمر الفرنسي ورفضه قبول القيام بإخضاع الأهالي والسكان من الحدود الجزائرية المغربية إلى تازة للسلطات الاستعمارية، وهذا رغم ما قدم له من إغراءات، حيث وعد بأن يسند إليه منصباً عالياً في الدولة ويبقى موروثاً في عقبه، ولكنه خاطب الضابط الفرنسي الذي حاوره في هذا الشأن، وقال له: إن مهمتي تنحصر في إرشاد الناس إلى ذكر الله وعبادته والتمسك بالدين، ثم التربية الروحية

الأخلاقية، فكانت نتيجة هذا الرفض النفي والإبعاد. ولما انتهت الحرب سنة 1336هـ الموافق لـ1918م. سمحوا للشيخ بالعودة إلى زاوية الضريوة وبعدها اضطر الشيخ إلى توسيع الزاوية واستأنف إلقاء الدروس في شتى العلوم، كعلم التصوف والشريعة. مما جعل الناس يتوافدون إليه ويأخذون عنه فازدهرت الزاوية بالقرآن والعلم والذكر.

ثم عاود الاستعمار فعلته في محاولة التضييق على الشيخ والطريقة عامة فقام بمصادرة كل أراضي الزاوية، إلى درجة أن سيدي محمد الهبري اضطر إلى متابعة السلطات الاستعمارية قضائياً في باريس نفسها، وقد حاول المحامي الفرنسي مساومته في التنازل عن نصف الأرض للسلطات الاستعمارية، لكنه أبى وصرح قائلاً: لن أتنازل عن شبر منها، فإن اغتصبوها عنوة فسيدمرهم الله وتغتصب أراضيهم. فكان أن استجاب الله له، ودخلت قوات هتلر باريس عام 1940م وسقطت فرنسا في قبضة الألمان وذوقت مرارة الذل والاعتصاب طيلة الحرب العالمية الثانية، واستمر - رحمه الله - في نشاطه دون توان إلى أن توفاه الله في سنة 1360هجرية، آخر كانون الأول/ ديسمبر سنة 1939م، حيث حضر جنازته جمع غفير من الفقراء والعلماء والمحبين.

● ومن أشهر من تخرج على يده وأذن لهم الشيخ رحمته الله في التربية:

- الشيخ المرابي الكامل وخليفته سيدي الحاج محمد بلقايد بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الحسني قدس الله سره دفين تلمسان.
- الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد الهبري.
- والشيخ سيدي الحاج بن إبراهيم البودالي، قدس الله سره، دفين تخمرت معسكر.
- الشيخ الحاج محمد بن إبراهيم السوسي.
- الشيخ سيدي محمد العنبري.
- الشيخ سيدي العربي الحوضي الجبلي.
- الشيخ سيدي سعيد بن عيسى.

■ (41) (محيي الطريق) سيدي الشيخ محمد بن أحمد بلقايد
● (1332هـ - 1419هـ / 1911م - 1998م)

هو الإمام مولانا الشيخ سيدي محمد بلقايد بن سيدي أحمد بن الحاج محمد بن الحاج العربي بن محمد الكبير بن محمد بن العربي بن محمد بن أبي دخلة بن محمد بن وادفل بن قائد بن يعلى بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحلیم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد المنقى بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله ﷺ. ولد قدس الله سره بحاضرة تلمسان زينة البقاع وتحفة البلدان، سنة 1332 من هجرة سيد الوجود ﷺ الموافقة لسنة 1911 ميلادي. نشأ شيخنا بها وفيها ترعرع ونما وسط الفقراء وأهل القرآن والفقهاء، ترعاه أسرة طيبة منذ طفولته مولعاً بالعلم ومصاحبة العلماء ومحباً للمشائخ والفقراء ومحبباً لديهم.

● تعلمه:

كانت تلمسان في ذلك العقد أي الثالث والرابع والخامس بعد الألف من العام الهجري تعج بالعلماء في كل فن من فقه ومصطلح الحديث وأصول ولغة وتاريخ.

أخذ شيخنا ﷺ العلم من أفواه الرجال وتلقاه عن كبار علماء عصره وجهابذة المعرفة في عهده، ونهل بشغف وحسن إقبال من مختلف العلوم والمعارف عن الشيخ أحمد أبو عروق الأزهري التلمساني والعلامة بلحسان النجار السلاوي والشيخ ابن ناصر، وكانوا كلهم بتلمسان، فلما اشتد عوده وبلغ سن الشباب ازداد شغفه بالعلم مع ما تحصل عليه من معارف في اللغة والفقه والأصول والحديث، فحمله ذلك على السفر في رحلات مباركة، أمّ خلالها الحواضر من وطن الجزائر كحاضرة الزفيزف وسيدي أبي العباس ومعسكر وسعيدة وغيرها، بل تنقل إلى بلاد المغرب والمشرق العربيين واجتمع بفضاحل العلماء والعارفين، وقد تميز - ﷺ - بالجرأة في طرح السؤال ومناقشة العلماء حرصاً على التحقيق والتدقيق، لا جدلاً، مما حبه لدى مشائخه وأساتذته، حتى أجازته الكثير منهم؛ كالشيخ عبد الحي

الكتاني والحافظ أحمد بن صديق الغماري، كما تلقى السند في علم الحديث عن فريد عصره ووحيد زمانه الشيخ العلامة أحمد بن يلس الدمشقي. واستمر على تلك الحال من طلب العلم والحرص عليه حتى تبوأ مقعد العلماء العارفين.

فزكاه جماعة من العلماء المتأخرين؛ أمثال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ بلخوجة نزيل الديار التونسية والشيخ المحدث سيف الحق بالحرم المكي وغيره من علماء مكة ومشائخها. كما شهد له بالإمامة والمشيخة الشيخ الإمام المفتي البشير أبو هجرة أحد مشاهير مدينة سيدي أبي العباس، تغمده الله برحمته، حيث أثنى على شيخنا رحمه الله في قصيدة طويلة.

أحي بهذا إمام الإسلام وشيخ الشريعة صنو الهمام
أنالك ربنا خير مقام وتكرم حقاً في دار السلام
ثم الشيخ العالم العلامة والبحر الفهامة محمد متولي الشعراوي المصري الذي
أخذ الطريقة عن شيخنا، وشهد له بالعلم وأثبت له الإمامة، حيث قال في أحد
قصائده المشهورة:

واليوم آخذ نورها عن شيخنا محيي الطريق محمد بلقايد
إلى أن قال:

الله قصدك والرسول وسيلة وخطاك خلف محمد بلقايد
● سنده في الطريق:

أخذ رحمته السند في طريق القوم عن شيخه وولي نعمته الإمام الفذ والشيخ
الهمام الشريف الحسن بن سيدي محمد الهبري قدس الله سره بن الشيخ سيدي الحاج
محمد الهبري.

فأكرمه الله وفتح له على يده فتحاً ميبناً، وهو مازال بعد في ريعان الشباب، إلا
أنه لم يتجرأ لا في حياة شيخه ولا في حياة أبنائه من بعده على مباشرة تسيير
الطريقة حتى انتقلوا كلهم إلى رحمة الله، ودعت الضرورة إلى النهوض بأعباء
التسيير، فصعد بالأمر، فكان بحق كما وصفه الشيخ محمد متولي الشعراوي بمحيي

الطريق؛ حيث عمت الطريقة الهبرية في عهده وعلى يده المغرب والمشرق وذاع صيتها وتوسعت في أرجاء العالم الإسلامي في مختلف القارات، ونالت به تلمسان شهرة؛ إذ أصبحت مقصد الزوار ومحط رحال المريدين والتلاميذ والعلماء. ولله در الشعراوي إذ يقول:

فهداني الوهاب جل جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي
واليوم آخذ نورها عن شيخنا محبي الطريق محمد بلقائد
واستمر شيخنا ينشر العلم ومختلف المعارف ويحث على التعلم وحفظ القرآن
والتمسك بمذهب الإمام مالك وعقيدة الأشعري وطريقة الجنيد السالك، باعتبارها
أساسيات في تراث الأمة الجزائرية المسلمة.

● عدد المريدين:

إن حصر العدد لا يتسنى إطلاقاً؛ لأنه يتزايد كل يوم وعلى سبيل الإجمال فهم
يفوقون عشرات الآلاف.

● هدف التلقين وأبعاده:

إن أسمى هدف هو المحافظة على ذكر الله في البكور والآصال امتثالاً لقوله
تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿41﴾ وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:
41-42].

وأما أبعاده فأهمها الاستقامة والتزام الخلق الطيب، حتى يصير لسان المريـ
د رطباً بذكر الله، ملتزماً بمبادئ الشريعة السمحاء.

● الدور الذي تقوم به الطريقة في تربية المسلم:

إن الدور الذي تقوم به الطريقة يتجلى من خلال الأبعاد المشار إليها آنفاً،
فهي:

تنمي في المريـد حب القرآن العظيم والحرص على حفظه والعمل بمقتضاه،
وتنمي فيه حب النبي ﷺ والاجتهاد في حفظ ما تيسر من أحاديثه والعمل بمقتضاها.
حب آل بيت النبي ﷺ والتودد إليهم وإكرامهم والتأسي بهم.

تعظيم صحابة سيد الخلق والخليقة عليه الصلاة والسلام والتأسي بهم قولاً وفعلاً.

إجلال الأئمة الكرام في الفقه والحديث وتوقيرهم وتقديرهم.
التخلق بالمروءة والسماحة والكرم وحب الوطن والذود عنه.
التواضع والتزام التقوى ومراقبة الله عند كل أمر، وألا يقدم المرید على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

● الوصايا التي يقدمها الشيخ للمريد:

إن أهم وصايا الشيخ قدس الله سره:

المحافظة على الطهارة والصلاة.

تقوى الله على كل حال.

الصدق في كل المواطن.

المحافظة على الأوراد.

طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

الغيرة على الوطن والاجتهاد في خدمته والذود عنه.

التزام الأدب والتواضع في المعاملة مع الفقراء ومع كل المسلمين.

العمل والكد على الوالدين والأهل والعيال وعدم التواكل والاتكال ونبذ

التكاسل.

التدقيق في أكل الحلال ولبس الحلال وتجنب مواطن الشبهات في كل ذلك.

● الكرامات المسجلة للشيخ:

إن أهم كرامات الشيخ رحمه الله الزاوية المقامة حالياً بسيدي معروف والإقبال

الكبير على الطريق. أما من أراد بها الكرامات المشهور ظهورها على يد الصالحين

فإنه ﷺ كان يتستر ويخفي ذلك، وكان يؤكد على أن أعظم الكرامات الاستقامة

على الطاعات.

قال سيدنا الشيخ محمد بلقايد رحمته الله:

جذبثني بحسن ضوء وجهها
سقتني كأسها من عتيق الخمر
غيبتني عني بسر التجلي
لكعبة الحق فاسجد وكبر
تحسبها غيري ولست سواها
في قاب قوسين لم أر غيري
هي عين ذاتي وشمس صفاتي
ومظهر وجودي في شفعي ووتري
الكلام القديم صفة من ذاتي
يلوح من صفاء كوكب دري
فواتح السور تعرف باسمي
والسبع المثاني حقيقة أمري
هامت بها الأرواح قبل الكروم
المشكاة والمصباح والزيت من نوري
أسرار حدثت من رموز الفكر
بالصهباء تجلت لقائد الخير
رب صل على روح الوجود
الآية الكبرى مرآة النظر
والآل والأصحاب بدور الكمال
والأئمة الكرام خواص البشر

• موقف الشيخ من الثورة:

لقد ناصب الشيخ الاستعمار العداء منذ طفولته وقاومه أشد المقاومة بمظهره العربي الأصيل وبالذود عن العربية والقرآن والدين دراسة وتديساً برفقة عمه السيد الحاج محمد عبد الرزاق، رحمهما الله، الذي أمضى حياته ملازماً للشيخ. فلما اندلعت ثورة التحرير كان الشيخ سيدي محمد بلقايد رحمته الله سباقاً إلى الانخراط في صفوف المجاهدين؛ إذ كانت الزاوية ملجأً للمجاهدين، مما جعل المستعمر يقوم بغلقها بعد أن تبين له أنها كانت تأويهم متسترين بزيت النازحين من الريف والفارين طلباً للأمن؟ وكان ذلك شأن بقية أفراد أسرته، وفي مقدمتهم نجله ووارث سره فضيلة الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف، الذي تعرض لمضايقات استعمارية شديدة ومخاطر جسيمة، وهو إذ ذاك يشغل منصباً قيادياً سامياً في الولاية الخامسة، وهو الشيء الذي اضطره إلى مغادرة تلمسان للإقامة بسيدي أبي العباس. فشيخنا - رحمه الله - جاد في سبيل الوطن بنفسه وماله وأولاده، لا لشيء إلا غيرة على

الوطن والعروبة والإسلام، وممن اضطلعوا بمهمة مناهضة الاستعمار من أفراد أسرة شيخنا نجله سيدي محمد عبد الرحيم الفتى المقدم، الذي كان ينشط في صفوف المجاهدين فصيلة الفدائيين، وقد أبلى في ذلك البلاء الحسن وشهد له من عرفه بالجرأة والشجاعة والإقدام.

وكذلك كنا نرى شيخنا إذا ذكرت بحضرته الأوطان انتصب كالليث وتحدث بإسهاب عن الجزائر ورجالاتها وبطولاتها ومواقف وكرم شعبها، واستمر هذا دأبه إلى أن انتقل إلى رحمة الله.

● موقفه من علماء السنة :

سئل مرة عن الشيخ ابن تيمية فقال: عالم بالشريعة أمضى حياته مدافعاً عنها، ذلك حكمه وتلك نظرتة لعلماء السنة إذ كان يجلبهم ويعظمهم ويقرأ لهم، فإذا ما التمس لديهم شيئاً مما يتنافى وطريق القوم عذرهم بقوله: "لو ذاقوا ما ذاق القوم لعذروهم". بل كان يحترم حتى علماء الاعتزال، وقال فيهم: "هم علماء زلت بهم قدم الفكر في بعض المواطنين، وإني آخذ من علمهم ما أجده نافعاً في أمر الدين والتشريع". وكان إذا زاره العلماء أكرمهم وأنزلهم منزلة تليق بمقامهم.

● معاملته مع نجله سيدنا الشيخ عبد اللطيف وبقية أبنائه :

أما عن علاقة سيدنا - رحمه الله - بنجله وخليفته فقد كانت العلاقة الخاصة؛ وذلك أنه في أسبوع ولادته أخذه جده وجدته إلى شيخ شيخنا سيدي محمد الهبري - قدس الله سره - فضمه إليه وسجاء بجناح بردته، وقال: "إن ابني هذا في قسمتي، وسيكون له شأن عظيم" وتلك إشارة منه إلى أمر خلافته، وهذا ما زاد جده وجدته حباً فيه ومعزة له، حتى إنهما يجودان بعينيهما كي لا يصاب بأذى.

أما سيدنا الشيخ الوالد فقد كان يؤثره على نفسه في كل شيء واهتم أيما اهتمام بتربيته وتعليمه تربية وتعليماً خاصاً ومميزاً. وكان يحثه على الازدياد من العلوم والمعارف. وقد أخذ عنه فضلاً عن علوم القوم علم التوحيد والفقه والسيرة والأنساب، كما أوكل به مجموعة من العلماء الأفاضل المعاصرين ليتلقى عنهم القرآن والعلم في مختلف الفنون، كاللغة والآداب وعلوم الشريعة.

كان شيخنا - رحمه الله - من شدة حرصه على تعليم وتأديب ولده شيخنا سيدي محمد عبد اللطيف يحتفظ به معه في المسجد من منتصف النهار إلى ما بعد صلاة الظهر فيعد له طعام الغداء بيده ثم يتفرغ لتدريسه ويبقى في المسجد حتى يصحبه معه إلى المنزل بعد صلاة العشاء.

ولما بلغ شيخنا محمد عبد اللطيف مبلغ الرجال، ونظراً لما امتاز به من المجاهدة والجد في الذكر، فقد لقن الاسم الأعظم بإحدى حجرات المسجد الحرام التي كانت آنذاك مخصصة للمجاورة والاعتكاف صحبة العلامة أبو فارس الدمشقي عام 1969م. وقد دعت ضرورة التوسعة لاحقاً إلى إدراجها ضمن المسجد، كما كلفه بالتلقين مطلقاً. وقد أقسم أنه لم يخصه بشيء دون الفقراء ولم يؤثره بالخلافة، وإنما هو إذن تبليغ من الله ورسوله قد حازه بجده وتوفيق الحق له، كما كلفه بتلقين الاسم وتسيير الخلوة، وكثيراً ما كان يشيد بخصاله وما سيظهره الله على يده في الطريقة. كما شهد له بقوله: "لقد أوتي مكارم الأخلاق. وصار يضطره إلى الجلوس بجانبه في الجموع، بل كان في الكثير من المرات يدعه ينفرد بتسيير الجمع". وفي ذلك إشارة منه إلى جميع الحضور أنه الخليفة من بعده.

وفي كثير من الحالات كان - رحمه الله - إذا قصده الفقراء في أمر من أمور الطريق أرشدهم إلى التوجه إليه واستشارته، وما ذلك منه إلا تلميح وتربية للفقراء حتى يعلموا وجهتهم إذا جاء أمر الله بالرحيل إلى الآخرة.

وفي كل ذلك لم يكن شيخنا سيدي محمد عبد اللطيف يقطع أمراً أو بيت في شيء مهما كان حتى يراجع فيه الشيخ والوالد، رحمه الله، ويستشيرهم؛ ومن ذلك مشروع الزاوية والمعهد بسيدي مبروك، كما كان يطيب لشيخنا - رحمه الله - أن يسميه. وكانت تلك إشارة أخرى لما ستحل بهذه الزاوية من بركات مولانا جل جلاله. فلم يكن يضع لبنة ولا يخطو خطوة إلا بإذنه وموافقته.

وإذا حدث وتغيب سيدي محمد عبد اللطيف لأمر ما خارج الوطن قام شيخنا - رحمه الله - مقامه وتكلف برغم حالته الصحية الحضور إلى عين المكان والإشراف على الأعمال بنفسه.

ومما قاله، وقد دنا أجله: "ليتني كنت فيها جذعاً فأدلي بدلوي".

ولا يتسع المقام هنا لذكر يوميات شيخنا مع ولده ووارث سره وإلا لتطلب الأمر مجلداً وقد لا يكفي، علماً بأن ما ورد في هذه العجالة هو من إملاء بعض الفقراء محدودي المعرفة بتلك العلاقة.

أما علاقته مع بقية أبنائه وأحفاده فكانت تطبعها الصرامة المتمثلة في رحمة الأب وجدية المعلم والمربي. حيث اهتم بتنشئتهم على مكارم الأخلاق العربية والإسلامية وحب الطريق وخدمة الفقراء وأهل القرآن والعلم. وكان يحثهم دائماً بقوله "تحابوا واعتنوا ببعضكم وتعاونوا في خدمة الفقراء". وقد آتت تلك الجهود ثمارها؛ فهم - وبحمد الله - أهل صلاح وصدق وأدب قد أوقفوا حياتهم على خدمة الطريق والفقراء والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه. وسنورد أسماء بقية الأبناء وهم على الترتيب حسب السن السادة:

سيدي محمد عبد الرحيم رحمه الله.

سيدي محمد الحسين.

سيدي عبد الله المحسن.

سيدي علي أبو الحسن.

● بطاقة فنية عن حياته خلال يوم كامل رحمه الله:

كان - قدس الله سره - في سيرته العادية اليومية يقسم وقته بين العبادة والقيام بشؤون الأهل والضيوف واستقبال الفقراء والتدريس والمطالعة والإمامة، وكنت تراه في كل ذلك لا يفتر عن ذكر الله.

أما ذكره فقد كانت له وظائف خاصة خلال النهار وخلال الليل، وأشهر أوقاتها بين المغرب والعشاء، ثم بعد العشاء، ثم في الثلث الأخير من الليل إلى الصبح، ثم إلى سبحة الضحى. فإذا لم يكن لديه ما يشغله فإنه ينام قليلاً ثم يقوم فيستأنف نشاطه، فيتعهد أفراد أسرته ويقضي مآربهم وما يحتاجون إليه مما له علاقة بمعيشتهم، ثم يتوجه إلى مسجده بشارع عيسات إيدير، حيث كان يشغل وظيفة إمام للصلوات الخمس؛ لأنه اعتذر عن وظيفة إمام خطيب لكون وقته لا يتسع لذلك؛ نظراً لما تفرضه وظيفة التربية في الطريق وضرورة التفرغ لها. وكان يجلس في

المسجد إلى من حضر من المصلين والفقراء فيجيب عن أسئلتهم في أمور العبادات والمعاملات. وإذا كان من بين الفقراء مسافرون غالباً ما يصحبهم معه إلى البيت فيطعمهم ويسقيهم ويستمع إليهم ويوجههم. وهكذا عند العصر والمغرب والعشاء.

أما التدريس فإنه كان يعقد لذلك حلقات في المسجد ويدرس علم العقائد والعبادات طبقاً لمتون ابن عاشر والعزية ورسالة ابن أبي زيد ومختصر خليل، وكثيراً ما كان يذيل الدرس بمذاكرة عامة حول التصوف ورجالاته وحول مناقب مشائخ السلسلة وشمائل الأئمة الكرام في الفقه والحديث. وأما المطالعة فقد كان - رحمه الله - شغوفاً بها يقضي الليالي الطوال في دراسة أمهات الكتب في مختلف الفنون من سيرة وفقه وحديث وتفسير ومنطق وتاريخ، فضلاً عن كتب الصوفية. وكثيراً ما كانت تأخذه القراءة ويغوص مع الأفكار حتى ينادي المنادي النداء الأول لصلاة الصبح. وامتاز بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ؛ فقد كان كثير الإلمام بثقافة العرب وكلامهم شعراً ونثراً حتى الملحون منه خاصة قصائد السادة الصوفية.

إن رصد كل أعمال الشيخ - رحمه الله - خلال يوم كامل ليس بالأمر السهل؛ ذلك لأن وقت خلوته كان أكثر من نظيره في جلوته، ولم يكن يحدث عن خلواته لذا فإن ما سجل في هذه العجالة هو قليل من كثير.

وليس الأمر هيناً كما قد يبدو للبعض؛ ذلك لكونه يتعلق بسيرة سيد جليل كانت المهابة تطبع جلساته، والتواضع دأبه والتستر شأنه، يتوخى البساطة في جميع أموره وينبذ الظهور، قليل الحديث عن نفسه، فاذا ما عمه والفقراء جمع انبسط أيما انبساط وأشرقت أسارير وجهه وجال بنظرة في وجوه الحاضرين مبتسماً ومستطلعاً أحوالهم، ثم يشير لمن حضر من المسمعين فيصيح هؤلاء ويرنمون ويمزج حاديهم فتطيب النفوس وتنشرح الصدور، ونقرأ على صفحات وجه الشيخ معاني تلك القصائد ويعم حال فيتواجد الجميع.

فإذا انتهى المسمعون شرع الشيخ محدثاً. وجل حديثه يكون عن شيخه تائهاً فيه. ولسر ما يصيح باسمه صيحة يرتج منها المكان، ويستمر صداها في الأذان وتهتز منها قلوب الإخوان، ويستمر صداها للحظة في الأذان تليها لحظة، وكأن القوم على رؤوسهم الطير، فما أحد يجرؤ على مفاتحته بحديث أو طرح سؤال للهيبة التي تعتر بهم

والحال التي تسري فيهم؛ ثم يفتر بعدها مبتسماً ويأذن بالسؤال، فيسأل البعض ويتولى الإجابة، ويشرع محدثاً فيستولي على الألباب ويحدث الحضور كلاً على قدر منزلته وحسب حاجته. ومن العجيب أن الواحد منا إن تأمل مفردات الحديث وجدها واحدة، وإن استفسر عن المفاهيم وجدها مختلفة ومتنوعة، حتى كأنه قدس الله سره حدث كل واحد بحديث خاص ولم يكن أسلوب الحديث معقداً ولا فيه تكلف.

● وفاته قدس الله سره:

انتقل - رحمه الله - إلى رضوان الله مساء يوم الجمعة 28 ربيع الثانية 1419هـ الموافق لـ 21 أوت 1998م بمدينة وهران، ونقل جثمانه الشريف إلى مدينة تلمسان مسقط رأسه ليوارى التراب جوار آبائه وأجداده بمقبرة سيدي السنوسي بتلمسان. وقد شهد جنازته خلق كثير وجمع غفير من العلماء والفقراء والمحبين له من داخل الوطن وخارجه، يتقدمهم المسمعون يصدحون مهللين ومكبرين، وقد امتزجت نبرات تهليلهم بنحيبهم. وكان هذا من كراماته التي شهد بها الخاص والعام حيث إنه مع قصر المدة التي فصلت بين وفاته ومواراته التراب تمكن آلاف المشيعين من حضور الموكب الجنائزي المهيّب مع تنائي مواطن الكثير منهم.

وصلى عليه ابنه البار خليفته وولي عهده وحامل سره الشيخ الفاضل سيدنا محمد عبد اللطيف رضي الله عنهم أجمعين.

■ (42) سيدي الشريف محمد عبد اللطيف بن محمد بلقاييد

● (1357هـ / 1937م)

الحمد لله الذي جعل عرش الولاية المحمدية مستمراً يتربع عليه أقطاب الصوفية، الذين اجتباهم لمعرفة ومحبته، فهم شمس الحق التي تغذي هذا العالم بالضياء وتجذب الخلق إلى محيط نور الهداية، فيسلكوا سبيل الخصوصية وينهلوا من بحار الأحدية، فيشربوا منها شراباً يزدادون به ظمأ لمعرفة بارئهم. ومن هؤلاء الأئمة الأقطاب الشيخ الرجل الصالح، والقطب الولي الناصح، القائم بأمر الله، والدال على الله به، صاحب الهمة العلية، وسليل العترة النبوية الطاهرة الزكية، شريف النسبتين، الساقى من حضرة الملك العلام شراباً كله مدد، والفاني في

حضرة النبي الأنور فناء سرمداً، الرجل الطاهر المطهر الأكسير الذي إن وضع فوق التراب دُهبٌ وُعيرٌ، فريد عصره خير الأخيار، مخرج من أتاه من الظلمات إلى ضوء النهار، من هو في علم التصوف في هذا الزمان الرائد، ومن أصبح بحمد الله نوره في هذا الزمان سائداً، سيدي مولاي محمد عبد اللطيف بلقايد.

ولد - رضي الله تعالى عنه - في أحضان أسرة ينتهي نسبها الشريف إلى سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه ابن مولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ سنة ألف وتسع مئة وسبع وثلاثين ميلادي، بحاضرة تلمسان المشهورة قبلة العلماء وعاصمة الصالحين والشرفاء وقد هيأت القدرة الإلهية والرعاية الربانية لشيخنا مناخاً كاملاً مكمولاً كي يربي أحسن تربية وينشأ أكمل نشأة، كي يتصدر عندما يحين الوقت لتربية غيره والسير بهم في طريق كمال الإيمان، ولقد بشر به القطب الشيخ سيدي محمد الهبري فقال: "لي أربعة خلفاء على قدمي سرّاً وولاية، أما رابعهم فلم يولد بعد". وكان الذي لم يولد بعد هو الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف، ثم أضاف الشيخ عن الخلفاء الأربعة قائلاً: حيثما أضع قدمي يضعون، ثم بعدما ولد أخذه أبوه وجده للتبرك وزيارة الشيخ سيدي محمد الهبري، فأشار أنه سيكون مثله أي شيخاً مريباً.

فقد كان والده وشيخه ومربيه الشيخ الرجل الصالح غوث زمانه وارث سر الخلافة الشيخ العالم النحرير سيدي محمد بلقايد - رحمه الله و ﷺ - كان بحراً متلاطم الأمواج محباً للقرآن وعلومه مجاهداً تقياً نقياً ورعاً عاشقاً للعلم والتعلم والفقهِ وفنونه، ناصراً للسنة رائداً في نصرة العرب والعربية. حرص على تربية ابنه بالنفس منذ نعومة أظافره، حُب إليه الدين والقرآن، فدرس الشيخ القرآن وحفظه. وسرعان ما ظهرت عليه علامات تدل على أنه يحب العلم والمطالعة؛ فكان يتردد دائماً على العلماء ويجالسهم ويتجاذب معهم أطراف الحديث ويكثر من مساءلتهم؛ ومن الذين عاشهم الشيخ وكان يأخذ عنهم ويدرس على أيديهم الشيخ المرابي الشريف الحسن الحسني الحاج عبد الكريم بلقايد، رحمه الله ورضي عنه. وأخذ عنه كثيراً من العلوم، وكذلك صحب الشيخ البشير أبي هجرة مفتي وإمام مدينة سيدي بلعباس بالغرب الجزائري، وأخذ عنه علوماً كثيرة. ومما زاد من ثمار هذه المجالسات شغف الشيخ سيدي عبد اللطيف بالمطالعة وحبها، فكان وما يزال إلى يومنا

هذا محباً للعلوم بمختلف فنونها فانكبابه عليها جعله ينهل منها الكثير وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حيث قال: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ".

كما أن الشيخ عاصر الثورة الجزائرية المجيدة فشارك فيها المشاركة الكبيرة هو ووالده، أما هو فقد حمل السلاح وقاوم بالنفس والنفيس حتى ظهرت شمس حرية الجزائر، وأما والده فراوته كانت تأوي المجاهدين الثوار الشيء الذي دفع فرنسا لإغلاقها وتربصها لقتل الشيخ وابنه.

وكان الشيخ قد أخذ الطريق على يد والده وشيخه سيدي محمد بلقايد الذي كان شيخاً مريباً مأذوناً وارثاً لسر الخلافة بعد شيخه سيدي محمد الهبري قدس الله سرهما. وسرعان ما بدأ يظهر على محياه السر الخفي الذي يهبه الله لمن يحب من عباده، فجمع بين ذكر بالليل ومذاكرة وتعلم بالنهار. ولقنه شيخه وأستاذه الذكر الخاص بأحد حجر الحرم الشريف، فانفتق رتق نوره وشرب شربة لم يزدد بعدها إلا ظمأً لمحبة ربه وعشق حبيبه. فكان النور يظهر على محياه من أول وهلة سلك فيها طريق القوم وشرع في الدعوة إلى الله، فور مجيء الأمر بذلك. وقال شيخه سيدي محمد بلقايد رحمته الله عندما عادا من الحرم، إذ كانا حاجين في تلك السنة بعدما ناداه وقربه وأجلسه بجانبه، فقال: "هذا أخوكم الشيخ الحاج عبد اللطيف اليوم بينكم شيخ كامل مكمل، والله، لست أنا من قدمه بل الحضرة هي التي قدمته"، فشرع في التربية والتلقين بحضرة شيخه ووالده. وكثيراً ما كان شيخه سيدي محمد بلقايد رحمته الله يسافر ويترك له المريدين والفقراء كي يسيرهم ويرعى شؤونهم حتى في الخلوة أثناء تلقيهم للذكر الخاص من عند الشيخ، فتظهر عليهم من بركته وسره أسرار وأنوار جعلت شيخه يفرح به غاية الفرح عندما يعود ويراهم. كما أن الشيخ كثيراً ما كان ينفرد بتسيير الجموع في حياة شيخه، ويذاكر الفقراء في شتى مسائل السلوك التي تتعلق بها طريق القوم. وكان ممن كان يتذاكر معه في أسرار الطريقة المباركة وفي أسرار التصوف وشتى العلوم الشيخ متولي الشعراوي، الذي كان قدم إلى الجزائر كي يستنشق من النفحات الربانية ويقتبس من الأنوار النبوية في ظل الطريقة البلقائدية المباركة، فوجد الشيخ ينطق بدرر ويواقيت لا توجد إلا عند من نهل من أسرار الخلافة النبوية الشريفة، فأذعن له الإذعان التام وسلم له تسليماً

كلياً في الطريق وفنونها. وصار يتعامل معه باحترام وأدب كبيرين يدلان على عظيم قدر الشيخ سيدي عبد اللطيف رحمته.

ولا غرابة في كون الشيخ يعظم تلميذه، فقد قيل: إن الذهب من معدنه لا يستغرب. كيف لا وهو ابن أبيه حقاً. وظل الشيخ ينهل من موارد العرفان ويزداد حتى وفقه الله لتشييد معلم من معالم القرآن الكريم بحمد الله وحسن توفيقه. فزاوية الشيخ سيدي محمد بلقايد رحمه الله ورضي عنه الكائنة بسيدي معروف ولاية وهران من وطن الجزائر، أصبحت قبلة يتوجه إليها طلاب العلم وحفاظ القرآن، زاوية جمعت بين الأصالة والتطور، الداخلة إليها يسمع دوياً لقراء القرآن كأنه دوي نحل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله. هذه الزاوية المباركة هي التي قال عنها شيخه وولي نعمته لما بدأ في تشييدها: ليتني أكون فيها جذعاً فأدلي بدلوي.

وشاءت الأقدار أن يلتحق الشيخ سيدي محمد بلقايد - رحمه الله ورضي عنه - بربه قبل انتهاء هذا المشروع. هذه الزاوية، كما قال الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف: هي حسنة شيخنا وبركته، ونحن لسنا إلا خداماً لأهل القرآن والذاكرين الله، كانت هذه دائماً ولا تزال كلماته، فتوفيق الله إياه لهذه المهمة النبيلة خير دليل على محبة الله إياه واصطفائه. فكم رأينا من أنفق الأبيض والأصفر كي يتسنى له خدمة الله ولم يوفقه الله لذلك.

وبعد وفاة شيخه توجه إليه الفقراء مسلمين له أمرهم كي يسلك بهم طريق العرفان وينهل بهم مناهل الإيمان والإحسان. فحصل لهم من الأحوال ما لا يدركه إلا من طويت له المسافات واستراح من جميع الرعونات، فذاق حلاوة الإيمان وكره أن يعود إلى الضلال كما يكره أن يقذف في النار. وظهرت الأنوار على محيا الشيخ والأسرار، ونطق لسانه بأفصح العبارات والحكم والآثار. هذا ما جعل نخبة من العلماء يذعنون له ويأخذون عنه الذكر، ويترددون لزيارته والتبرك به والأخذ عنه، وهم من شتى بقاع العالم وعلى درجات كبيرة من العلم.

هذا وقد حاز بفضل الفقراء والأحباب فرائد جمّة كثيرة، ونالوا من الأحوال والمقامات ما جمعهم على ربهم، فصارت بواطنهم تلتهب بنار العشق الإلهي

والمحبة، وأفكارهم على بارئهم مجموعة. والحمد لله الذي لولاه ما اهتدينا.

كما أن للشيخ ثلاثة أبناء وهم على الترتيب حسب السن:

- الحاج محمد نور الدين دكتور بجامعة وهران.

- الحاج محمد عبد الرحمن طيب بوههران.

- الحاج أحمد عبد السلام طيب كذلك بوههران.

كما أن عدد المريدين على يد شيخنا سيدي عبد اللطيف رضي الله تعالى عنه في تزايد مستمر، فهو يفوق عشرات الآلاف، والحمد لله. جلهم شباب في زمان القابض على دينه فيه كالقابض على جمرة، فإذا ذهبت مثلاً إلى زاويته بسيدي معروف وهران وقضيت فيها يوماً لرأيت بأن الذين يعيشون فيها هم فعلاً غرباء، فبعد صلاة الصبح مثلاً تلقى جميع الطلبة والفقراء قد اجتمعوا لقراءة الورد جماعة، ثم تبدأ الدروس العلمية وقراءة القرآن للذين لم ينتهوا من حفظه؛ لأن التدريس في الزاوية يستغرق مدة أربع سنوات، ولكن بعد حفظ القرآن. ثم عندما يحين وقت الظهر يجتمع الطلبة لتلاوة الراتب، ليعود بعد ذلك كل واحد منهم للدراسة والتلاوة والذكر. فالمار على الزاوية يأخذه سحر جمال المنظر، منظر الطلبة كل واحد منهم مشغول بطاعة من طاعات الله عز وجل، وعندما يحين وقت الغروب ويؤذن المؤذن للصلاة، يجتمع الجميع لأدائها وتبدأ الأذكار والأوراد فيقرأ الورد جماعة في الزاوية لتبدأ الدروس والمذاكرات حتى تصلى العشاء. وتنظم في الزاوية جموع يتلاقى فيها كل مريدي الزاوية ومحبي التصوف وأهله تحت إشراف شيخنا وسيدنا محمد عبد اللطيف. إضافة للجمع السنوي الذي يقام في ذكرى وفاة الشيخ سيدي محمد بلقايد في أواخر شهر آب/ أغسطس حيث تلقى في هذه الجموع دروس ومذاكرات من قبل علماء وصالحين يحضرون فيعم الحال، ويشرب الحضور من معين الذكر ومعاني السماع. ذكر تقشعر له الجلود ثم تلين. وهذه الجموع نفسها يقوم بها شيخنا رحمته الله في سياحته عبر جميع التراب الجزائري وخارجه. هذا الرجل الذي تلقاه دائماً إما ذاكراً أو مذاكراً أو تالياً للقرآن، محباً لأهله ناصحاً للناس دائماً بتقوى الله عز وجل وحب الوطن وخدمة الإسلام، بنشر العلم والأخلاق الحسنة في

أواسط الشباب؛ كي يصبحوا كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وهذه الغاية من سياحته وتنظيمه لهذه الجموع.

فللعلم أيضاً هناك تزايد لعدد الزوايا عبر التراب الجزائري، بحمد الله وكرمه. وكل هذه الزوايا تقوم بنفس مهام الزاوية الأم من تدريس القرآن الكريم وتحفيظه وتعليم العلم ومهمة الإرشاد، وهي مفتوحة لجميع من أراد أن يتعلم أو يدرس أو يسلك سبيل القوم والحمد لله، وفضلاً على كل هذا، فإن مولانا الشيخ سيدي عبد اللطيف بلقايد رحمته الله بفضلته أصبحت الزاوية معلماً علمياً ومنازة للإشعاع الفكري، إحياء لسنة سيد الثقلين عليه السلام نظمت الزاوية الملتقى الأول لسلسلة الدروس المحمدية، وكان في هذا شعارها قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31/3]. هذا الملتقى السنوي الذي يقام في شهر رمضان المعظم والذي يحضره نخبة من العلماء والمشايخ من شتى الأقطار الإسلامية، ويختار لهم موضوع من قبل الزاوية لمناقشته ودراسته من مختلف الجوانب والزوايا، فكان موضوع الحضارة الإسلامية موضوع الحلقة الأولى من سلسلة الدروس المحمدية لشهر رمضان من سنة 1427 هجري الموافق لشهر تشرين الأول/ أكتوبر 2006 ميلادي، وقد تكلم حوله نخبة من العلماء؛ وكان عددهم ثلاثين منهم على سبيل المثال:

- الشيخ عبد الرحيم بدر الدين جاد
- الشيخ الدكتور عيسى المانع
- الشيخ محمد عبد الباعث
- الدكتور محمد بن بريكة
- الدكتور عبد الرحيم العلمي
- الحبيب عمر بن سالم بن حفيظ
- الشيخ الدكتور أسامة الرفاعي
- الشيخ الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني
- الشيخ الدكتور أحمد الخليع
- جمهورية مصر
- الإمارات العربية
- الجمهورية المصرية
- الجمهورية الجزائرية
- المملكة المغربية
- اليمن
- لبنان
- سورية
- المملكة المغربية.

فجاد كل منهم بما منَّ الله عليه من علوم ومعارف. فكانت نفحات تذكرونا بما كان عليه أسلافنا العلماء الصالحون. فصدق سيدنا رسول الله ﷺ حيث يقول: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " رواه مسلم.

صفحة بيضاء

رقم 290

السند الثاني

ترجمة طبقات السند الثاني

تعريف السند الثاني

وأخذ كذلك سيدنا الشيخ الإمام محمد عبد اللطيف بن محمد بلقايد، عن شيخه وأبيه سيدي الشيخ محمد بلقايد، وهو عن سيدي محمد بن الحاج محمد الهبري، وهو عن أبيه سيدي الحاج محمد الهبري، عن العارف سيدي محمد بن قدور الوكيل، عن سيدي محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني، عن شيخه العارف سيدي علي الجمل العمراني الحسني، عن شيخه سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي، عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي عن سيدي قاسم الخصاصي، عن العارف بالله محمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن محمد وفا، عن والده سيدي محمد وفا بحر الصفا، عن سيدي داوود بن الباخلي، عن تاج العارفين سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن القطب العارف سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن الإمام سيدي عبد السلام بن مشيش، عن الإمام الجامع عبد الرحمن العطار الزيات المدني، عن "القطب أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيد بونه الخزاعي الأندلسي، عن القطب سيدي شعيب أبي مدين، عن العارف سيدي عبد القادر الجيلاني، عن القاضي أبي سعيد المبارك المخزومي، عن سيدي أبي الحسن علي بن يوسف الهكاري، عن سيدي أبي الفرج الطرسوسي، عن شيخه أبي الفضل عبد الواحد التميمي، عن القطب أبي بكر بن جحدر الشبلي، عن القطب أبي القاسم الجنيد،

عن سيدي السري السقطي، عن القطب معروف الكرخي، عن الإمام علي الرضا، عن أبيه الإمام موسى الكاظم، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمد الباقر، عن أبيه الإمام علي زين العابدين، عن أبيه القطب الشهيد سيدنا الحسين السبط، عن أبيه سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

ترجمة طبقات السند الثاني

■ (1 / 2) الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب*

● (4هـ - 61هـ)

هو سبط المصطفى ﷺ وريحانته الذي قال فيه "حُسَيْنٌ مِنِّي، وأنا من حسين، أَحَبُّ الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط" رواه الحاكم عن يعلى العامري، وصححه ووافقه الذهبي.

وجلس يوماً في المسجد، واحتبى، ثم قال لأبي هريرة ﷺ: "ادع لي لكاع" فأتى الحسين ﷺ يشتم، حتى وقع في حجره. ثم أدخل يده في لحيته، فجعل المصطفى ﷺ يفتح فم الحسين ﷺ ويدخل فاه فيه ويقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَجِبْهُ" رواه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ولد سنة أربع، أو ست، أو سبع، وقد اتفق أنه لم يكن بين الحمل بالحسين وبين ولادة الحسن ﷺ إلا طهر واحد.

* طبقات الصوفية للمناوي 1- ص142، الأصل: خليفة 189، 230، التاريخ الكبير 2/381، الجرح والتعديل 3/55، الأغاني 14/163، المستدرک 3/176، الحلية 2/39، الاستيعاب 392، تاريخ بغداد 1/141، تاريخ ابن عساكر (مجلة) صفة الصفة 1/762، المختار من مناقب الأخيار 112/أ، أسد الغابة 2/18، تهذيب الأسماء واللغات 1/162 مختصر تاريخ دمشق 7/115، تهذيب الكمال 6/396، سير أعلام النبلاء 3/280، العبر 1/65، تاريخ الإسلام 2/340، الوافي بالوفيات 12/423، مرآة الجنان 1/131، البداية والنهاية 8/149، العقد الثمين 4/202، طبقات القراء ترجمة 1114، الإصابة 1/332، تهذيب التهذيب 2/345، طبقات الشعراني 1/26، وشذرات الذهب 1/66.

وكان شجاعاً مقداماً من حين كان طفلاً. أتى عمر رضي الله تعالى عنه وهو يخطب على المنبر، فصعد إليه فقال: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال عمر رضي الله عنه: لم يكن لأبي منبر. قال: فأجلسه معه، وقال: من علمك؟ قال: والله ما علمني أحد.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما جالساً في ظل الكعبة إذ رأى الحسين رضي الله عنه مقبلاً فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم.

وكانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة، فشهد معه مشاهدته، وبقي معه إلى أن قتل، ثم مع أخيه إلى أن انفصل، فرجع للمدينة واستمر بها حتى مات معاوية، فأخرج يزيد إليه من يأخذ بيعته، فامتنع، وخرج إلى مكة فآتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج، وابن عباس وابن عمر بعدمه، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فأخذ بيعتهم، وأرسل إليه يستقدمه فخرج الحسين رضي الله عنه من مكة قاصداً العراق، ولم يعلم بخروجه ابن عمر، فخرج خلفه فأدركه على ميلين من مكة فقال: ارجع فأبى، فقال: إني محدثك حديثاً: إن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فخيره بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة، وإنك بضعة منه، والله لا يليها أحد منكم أبداً. فقال: ما تصنع بقوم قتلوا أباك. خذلوا أخاك؟ فأبى إلا المضي، فاعتنقه وبكى، وقال: استودعتك الله من قتيل⁽¹⁾.

ولم يبق أحد بمكة إلا حزن لمسيره، ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستاً بين يديه.

ثم سافر فكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: غلبنا حسين بالخروج، ولعمري لقد رأى في أخيه والله عبرة.

وكلمه في ذلك أيضاً من وجوه الصحابة جابر بن عبدالله، وأبو سعيد وأبو واقد وغيرهم، فلم يطع أحداً منهم، وصمم على المسير، فقال له ابن عباس: والله إني لأظنك ستقتل بين نسائك، وأبنائك وبناتك كما قتل عثمان رضي الله عنه. فلم يقبل، فبكى.

وقال: أقررت عين ابن الزبير. فلما رأى ابن عباس ابن الزبير قال له: لقد جاء ما أحببت. هذا الحسين خرج وتركك والحجاز.

فعلم يزيد بخروجه. فأرسل إلى عبيد الله بن زياد واليه على الكوفة بأمره بطلب مسلم وقتله. فظفر به فقتله. ولم يبلغ حسيناً ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال. فلقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: ارجع. فإني لم أدع لك خلفي خيراً. أخبره الخبر.

ولقي الفرزدق فسأله فقال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، فهم أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم، فقالوا: لا نرجع حتى نصيب بثاره أو نقتل، فساروا.

وكان ابن زياد جهز جيشاً من أربعة آلاف، وقيل عشرون ألفاً لملاقاته، فوافوه بكربلاء، فنزل ومعه خمسة وأربعون فارساً ونحو مئة راجل، فلقيه الجيش، وأميرهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وكان ابن زياد ولاء الري، كتب له بعهدته عليها. إن حارب الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن ألحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة، وإما أن أضع يدي في يد ابن معاوية.

فقبل عمر ذلك منه، وكتب به إلى ابن زياد. فكتب إليه: لا أقبل منه حتى يضع يده في يدي، فامتنع الحسين عليه السلام فتأهبوا لقتاله، كان أكثر مقاتليه الكاتيين إليه والمبايعين له.

ولما أيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتتكرت، وأدبر معروفها، وانشمرت⁽¹⁾ حتى لم يبق منها إلا كصباة الإناء⁽²⁾، وإلا خسيس عيش كالمرعى الويل. ألا ترون

(1) في الحلية 2/39: انشمرت وانشمرت. وفي مختصر تاريخ دمشق 7/146، ومعجم الطبراني الكبير 3/114 استمرت. وفي سير أعلام النبلاء 3/310: استمرت.

(2) وانشمرت: أسرع. اللسان (شمر).

الصباة: البقية اليسيرة من الشراب بقي في أسفل الإناء. النهاية (صب).

الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا جرماً، فقاتلوهم.

فكان آخر الأمر أن قتل ﷺ، وقتل معه سبعة عشر شاباً من أهل بيته، وذلك بكربلاد كما في خبر رواه الطبراني⁽¹⁾.

ولما قتلوه حزوا رأسه الشريف، ثم أتوا به إلى ابن زياد، فأرسله، ومن بقي من أهل بيته إلى يزيد، ومنهم علي بن الحسين كان مريضاً، وعمته زينب رضي الله عنها، فلما قدموا على يزيد سر سروراً كبيراً، وأوقفهم موقف السبي بباب المسجد، وأهانهم وبالغ، ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب على ثناياه بقضيب كان معه، يقول: لقد لقيت بغيك يا حسين.. وبالغ في الفرح. ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه العالم.

قال الجلال السيوطي رحمه الله: وحق لهم أن يبغضوه. وقد أخرج أبو يعلى⁽²⁾ عن أبي عبيدة رضي الله عنه مرفوعاً: "لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد".

أخرج الروياني عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: "أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد"⁽³⁾.

وقد قال أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعالمًا. فلم يقض بذلك إلا لما ثبت عنده من أمور صريحة وقعت منه توجب التكفير.

وقد صنف جماعة من القدماء في مقتله تصانيف، منها الغث والسمين، والصحيح والسقيم، وفي هذه القصة المساقاة غنى.

وقد صح عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه كان يقول: لو كنت ممن قاتل الحسين رضي الله عنه، ثم أدخلت الجنة لاستحيت أن أنظر إلى وجه المصطفى ﷺ.

(1) المعجم الكبير 3/2806. 2855. (2819).

(2) مسند أبي يعلى 2/176 (871).

(3) جاءت رواية الروياني في كنز العمال 11/168 (31063) عن أبي ذر بلفظ: "أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم وسط النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم. فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وصحبه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم فكان ذلك اليوم الذي قتل فيه. رواه البيهقي⁽¹⁾ وسمعت الجن تنوح عليه. كما أخرجه أبو نعيم وغيره. وقتل يوم عاشوراء، يوم الجمعة سنة إحدى وستين. فصدق والله من قال:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب؟!!

ثم إن يزيد أمر برد أهله إلى المدينة، وأن يطاف برأسه الشريف في البلاد. وخرج الحاكم في (المستدرک)⁽²⁾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم " (أني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً) صححه الحاكم، وقال الذهبي في (تلخيص)⁽³⁾. على شرط مسلم.

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله: وورد عن علي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم: "قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا".

● ومن كلامه:

الزموا مودتنا أهل البيت، فإن من لقي الله وهو يودنا دخل في شفاعتنا.

إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم. فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً. وقال: من جاد ساد، ومن بخل ذل، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه غداً.

وقال الشافعي: مات ابن للحسين. فلم تر عليه كآبة. فعوتب في ذلك. فقال: إنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا.

والتزم يوماً الركن الأسود وقال: إلهي أنعمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أنت أدمت الشدة

(1) أخرجه أحمد في المسند 1/ 242، 283. والطبراني في المعجم الكبير 3/ 110 (2822) قال

الهيثمي في مجمع الزوائد 9/ 194: رواه الطبراني. ورجال أحمد رجال الصحيح.

(2) المستدرک 3/ 178.

(3) تلخيص المستدرک، المطبوع على هامش المستدرک 3/ 178.

بترك الصبر، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم. وأخرج ابن عساكر أن ابن عباس بينما هو يحدث الناس قام إليه نافع بن الأرزق وقال: تفتي الناس في النملة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبد؟ فقال: إعظاماً لقوله، وكان الحسين عليه السلام جالساً ناحية فقال: إليّ يا ابن الأرزق. قال: لست إياك أسأل. قال ابن عباس إنه من بيت النبوة، وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين عليه السلام فقال: يا نافع، من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس، سائلاً ناكباً عن المنهاج، طاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أصف لك إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق بعيد غير منتقص، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال. انتهى.

ورزق الحسين من الأولاد خمسة، علي الأكبر، وعلي الأصغر، وله العقب، وجعفر، وفاطمة، وسكينة المدفونة بقرب نفيسة رضي الله عنهم أجمعين.

■ (2/2) الإمام علي بن الحسين زين العابدين*

● (38هـ - 94هـ)

هو الإمام علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، الهاشمي، الملقب بزین العابدين.

وأمه اسمها سلامة أو سلافة بنت ملك الفرس يزدجرد وقيل اسمها: غزاة.

● مولده ونشأته:

ولد في سنة ثمان وثلاثين تقريباً، وكان مع والده الشهيد الحسين في يوم كربلاء، وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ مريضاً فلم يقاتل، ولا تعرضوا له.

بل أحضروه مع آله إلى دمشق فحفظه الله تعالى منهم ببركة سيدتنا زينب عليها السلام. وردوه إلى المدينة.

* سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي السيد.

● تواضعه:

كان عبید الله بن عبد الله من العلماء، وكان إذا دخل في صلاته، وقعد إليه إنسان، لم يقبل عليه حتى يفرغ، وإن علي بن الحسين، كان من أهل الفضل، وكان يأتيه، فيجلس إليه، فيطول عبید الله في صلاته، ولا يلتفت إليه، فقيل له: في علي وهو ممن هو منه!!

فقال: لا بد لمن طلب هذا الأمر أن يعنى به. وقال نافع بن جبیر لعلي بن الحسين. إنك تجالس أقواماً دوناً؟!

فقال علي بن الحسين: آتي من أنتفع بمجالسته في ديني.

● ثناؤه على الصديق:

جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ فقال عن الصديق تسأل؟

قال: وتسميه الصديق؟!

فقال علي بن الحسين: ثكلتك أمك، قد سماه صديقاً من هو خير مني، رسول الله ﷺ، والمهاجرون، والأنصار، فمن لم يسمه صديقاً، فلا صدق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر، وتولهما، فما كان من أمر فني عنقي⁽¹⁾.

● دعوته للرضا وإصلاح السرائر:

قال علي بن الحسين رحمه الله: إن الجسد إذا لم يمرض أشراً، ولا خير في جسد يأشراً⁽²⁾.

وكان من دعائه: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن لوائح العيون⁽³⁾ علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي، اللهم كم أسأت وأحسنت إليّ، فإذا عدت، فعد عليّ.

(1) السير (4/395).

(2) الحلية (3/134).

(3) لوائح العيون: لوائح الشيء ما يبدو منه وتظهر علامته عليه.

والأثر في الحلية (3/134).

اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني⁽¹⁾.

• براءته من المخالفين :

وقال علي بن الحسين : والله ما قتل عثمان - رحمه الله - على وجه الحق. ونقل أكثر من واحد أن علي بن الحسين كان يخضب بالحناء، وكان له كساء أصفر يلبسه يوم الجمعة.

• تعلمه وتعليمه :

روى زين العابدين عن والده الحسين، وعن جده مرسلأً، وعن صفية أم المؤمنين، وعن أبي هريرة، وعائشة، وعن أبي رافع وعمه الحسن، وعبد الله ابن عباس، وأم سلمة، وابن مخزومة، وزينب بنت أبي سلمة.

وقد أخذ العلم عنه جم غفير، فحدث عنه أبناؤه، أبو جعفر محمد، وعمر، وعبدالله والزهري، وعمرو بن دينار، والحكم بن عتبة، وزيد بن أسلم، وحبیب بن أبي ثابت والققعاق بن حكيم، وأبو الأسود يقيم عروة، وهشام بن عروة، وأبو حازم الأعرج، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وطاووس.

وكان علي بن الحسين باتفاق علماء الجرح والتعديل ثقة، مأموناً، كثير الحديث، عالياً، ربيعاً، ورعاً.

• قضاء الحوائج وفعل الخيرات :

كان علي بن الحسين يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب⁽²⁾.

وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل.

ويقول عمرو بن ثابت: لما مات علي بن الحسين، وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقل الجرب ليلاً إلى منازل الأراامل.

(1) السير (2/396).

(2) الحلية (3/136).

ولما مات علي وجدوه يعول مئة أهل بيت.

وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي بن الحسين.

وكان زين العابدين رحمه الله يقول: إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان غداً قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل⁽¹⁾.

وقال -رحمه الله-: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ولا تحبونا حب الأصنام. فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً.

وقال أبوبكر بن البرقي: نسل الحسين كله من قبل ابنه علي الأصغر، وكان أفضل أهل زمانه، ويقال: إن قريشاً رغبت في أمهات الأولاد بعد الزهد فيهن حين نشأ علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله.

• ورع زين العابدين:

قال رجل لابن المسيب: ما رأيت أروع من فلان!

قال ابن المسيب: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا. قال: ما رأيت أروع

منه.

وقيل: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهماً قط.

وبعث المختار الثقفي إلى علي بن الحسين بمئة ألف، فكره أن يقبلها، وخاف أن يردّها فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار، بعث يخبر بها عبدالملك، وقال: ابعث من يقبضها، فأرسل إليه عبدالملك: يا ابن العم، خذها قد طيبتها لك، فقبلها⁽²⁾.

• خشوعه وخشيته:

يقول أبو نوح الأنصاري: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى طفت.

(1) السير (4/394).

(2) طبقات ابن سعد (5/213).

فقيل له في ذلك فقال : ألهتني عنها النار الأخرى⁽¹⁾.

وكان إذا توضأ اصفر.

وحج علي بن الحسين، فلما أحرم، اصفر، وانتفض، ولم يستطع أن يلبي، فقيل : ألا تليبي؟ قال : أخشى أن أقول : لبيك.

فيقول لي : لا لبيك.

فلما لبي، غشي عليه، وسقط على راحلته⁽²⁾.

قال : هشام بن عروة : كان علي بن الحسين يخرج على راحلته إلى مكة، ويرجع لا يقرعها، وكان يجالس زيد بن أسلم مولى عمر، فقيل له : تدع قريشاً، وتجالس عبد بني عدي؟!

فقال : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع⁽³⁾.

وكان علي بن الحسين يدخل المسجد، فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير :

غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد؟!

فقال علي بن الحسين : العلم يبتغي، ويؤتى، ويطلب من حيث كان⁽⁴⁾.

وقد كان علي بن الحسين بتواضعه من أفضل أهل بيته. وأحسنهم طاعة.

● علو فضله وقدره :

قال الزهري : لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن الحسين.

وقال زيد بن أسلم : ما رأيت فيهم مثل علي بن الحسين.

وقال مالك : لم يكن في أهل البيت مثله، وهو ابن أمة.

(1) السير (4/392).

(2) السير (4/392).

(3) طبقات ابن سعد (5/216).

(4) الحلية (137، 138).

• نصيحته إلى أهل العراق :

يروى يحيى بن سعيد أنه سمع علي بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركه، يقول: يا أيها الناس: أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار عاراً علينا⁽¹⁾.

• مكانته الرفيعة :

كان علي بن الحسين أهلاً للإمامة العظمى، لعلمه، وعلو قدره، ولما حج هشام بن عبد الملك قبيل ولايته للخلافة، فكان إذا أراد أن يستلم الحجر الأسود، زوحم عليه، وإذا دنا علي بن الحسين من الحجر تفرقوا عنه إجلالاً له، فوجم لها هشام، وقال: من هذا؟ فما أعرفه!!

فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يفضي حياءً ويفضي من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا

• أبناء زين العابدين رضي الله عنهم :

السادة عبد الله وعمر وزيد وحسين الأصغر ومحمد الباقر.

• وفاته :

الصحيح في وفاة الإمام علي بن الحسين زين العابدين أنها كانت في سنة أربع وتسعين. وقبره بالقيع. فرحمه الله رحمة واسعة.

(1) طبقات ابن سعد (214/5). الحلية (136/3).

■ (3 / 2) الإمام محمد الباقر*

● (56هـ - 114هـ)

وهو الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي.

وأمه: فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.

● مولده:

ولد سنة ست وخمسين في حياة بعض الصحابة الكرام كعائشة، وأبي هريرة، وغيرهما.

● فضله وقدره:

كان أحد من جمع بين العلم والسؤدد، والشرف، والثقة، وكان أهلاً للخلافة. وكان أبو جعفر إماماً، مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن.

● علمه:

كان أبو جعفر الباقر من العلم بمكان، فقد سمع من ابن عباس، وأم سلمة، وابن عمر، وجابر بن عبدالله، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن المسيب، وأبيه زين العابدين، وابن الحنفية.

وتعلم منه، وحفظ عنه جمع غفير، منهم ابنه جعفر، وعطاء بن أبي رباح، والأعرج، وعمرو بن دينار، والزهري وغيرهم.

ويمدحه الرضى على علمه، فيقول:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجل

وقال فيه مالك بن أعين الجهني:

إذا طلب الناس علم القرآن كانت قريش عليه عيالا

* سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي السيد،

وإن قيل ابن بنت الرسول نلت بذلك فرعاً طوالاً
 تحوم تهلل للمدلجين جبال تورث علماً جبالاتاً⁽¹⁾
 ولما حج الخليفة هشام بن عبد الملك، فدخل الحرم متكئاً على يد سالم مولاه،
 ومحمد بن علي بن الحسين جالس. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن علي.
 قال: المفتون به أهل العراق؟!!

قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس
 ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟
 فقال لهم محمد: يحشر الناس على مثل قرصة النقي⁽²⁾، فيها الأنهار متفجرة.
 فرأى هشام أنه قد ظفر به، فقال: الله أكبر، اذهب إليه، فقل له: ما أشغلهم
 عن الأكل والشرب يومئذ؟

ف فعل. فقال له أبو جعفر الباقر: قل له: هم في النار أشغل، ولم يشغلوا أن
 قالوا⁽³⁾: ﴿أَفِضُّوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 50/7].

● أولاده:

جعفر بن محمد، وعبد الله بن محمد، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن
 أبي بكر الصديق.
 وإبراهيم بن محمد، وأمها أم حكيم بنت أسيد المغيرة بن الأحنس بن شريق
 الثقفي.

وعلي بن محمد وزينب بنت محمد، وأمهما أم ولد.

وأم سلمة بنت محمد، وأمها أم ولد.

(1) معجم المرزبانى (268).

(2) النقي: خبز الحواري. وهو نوع من الخبز الجيد.

(3) السير (4/405).

● من عقيدته :

قال أبو جعفر الباقر: لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

وقيل لمحمد بن علي: أكان منكم أهل البيت أحد يزعم أن ذنباً من الذنوب شرك؟

قال: لا.

قيل: أكان منكم - أهل البيت - أحد يقر بالرجعة؟

قال: لا.

قيل: أكان منكم - أهل البيت - أحد يسب أبا بكر وعمر؟

قال: لا، فأحبهما وتولاهما. واستغفر لهما⁽¹⁾.

وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال: قلت لمحمد بن علي: قوله تعالى: ﴿إِنبَاءً وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55/5].

قال: هم أصحاب النبي ﷺ.

قال: إنهم يقولون: هو علي؟ قال: علي منهم⁽²⁾. فقال بسام الصيرفي: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن القرآن؟

فقال: كلام الله غير مخلوق⁽³⁾.

ويروي عروة بن عبد الله أنه سأل أبا جعفر الباقر عن حلية السيوف، فقال: لا بأس له، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه.

قيل له: وتقول الصديق؟!!

(1) طبقات ابن سعد (5/321).

(2) الحلية (3/185). السير (4/406).

(3) الحلية (3/188).

فوثب وثبة، واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق، فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

● كلامه في الزهد والحكمة:

قال أبو جعفر: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك. قل ذلك أو أكثر.

ويحدثنا جابر الجعفي أنه سمع محمد بن علي يقول له:

يا جابر إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب.

قلت: ولم حزنك وشغل قلبك؟!!

قال: يا جابر، إنه من دخل وقلبه صاف خالص في دين الله شغله عما سواه،

يا جابر، ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟

هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها؟!!

يا جابر، إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة

عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله

ما رأوا من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار.

إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكرك،

وإن ذكرت أعانوك، قوالون بالحق، قوامون بأمر الله، قطعوا مهجتهم بمحبة الله،

ونظروا إلى الله عز وجل، وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم،

وعلموا أن ذلك منظور إليهم من شأنهم، فأنزل الدنيا بمنزل نزلت به، وارتحلت

عنه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت، وليس معك منه شيء، واحفظ الله

تعالى ما استعانك من دينه وحكمته⁽²⁾.

وكان يقول: صلاح اللثام قبيح الكلام.

ولكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان. وعالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد.

(1) الحلية (3/185). السير (4/408).

(2) الحلية (3/182).

لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابد، وإياك والكسل والضحجر
فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.
أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة
الأخ في المال.

لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق: لا تصحبن فاسقاً؛
فإنه بايعك بأكلة فما دونها، قيل: وما دونها؟ قال: يطمع فيها، ثم لا ينالها.
ولا تصحبن كذاباً، فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب، ويقرب منك
البعيد.

ولا تصحبن أحق الرأي، فإنه يريد أن ينفك فيضرك.
ولا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى⁽¹⁾.
شيعتنا من أطاع الله عز وجل.
إياكم والخصومة، فإنها تفسد القلب، وتورث النفاق.
كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه.

● خوفه وتواضعه:

كان أبو جعفر الباقر يتعبد في جوف الليل، ويدعو قائلاً: إلهي أمرتني فلم
أؤتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك، ولا أعتذر.

وقال جعفر بن محمد: فقد أبي بغلة له، فقال: لئن ردها الله تعالى علي
لأحمدنه محامد يرضاهها، فما لبث أن أتى بها بسرجها، ولجامها، فركبها،
فلما استوى فيها، وضم عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، فقال: الحمد لله، لم يزد
عليها، فقيل له في ذلك؟ فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئاً جعلت الحمد كله لله عز
وجل⁽²⁾.

(1) الحلية (3/184).

(2) الحلية (3/186).

وقال أبو جعفر: من أعطي الخلق، والرفق، فقد أعطي الخير كله، والراحة وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك له سبيلاً إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله تعالى.

ويقول عبيدالله بن الوليد: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي:

أيدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد؟ فقال: قلنا: لا. قال: فلستم ياخوان كما تزعمون.

• من روائع كلامه:

اعرف المودة لك في قلب أخيك مما له في قلبك.

ندعو الله فيما نحب، إذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عز وجل فيما أحب.

أنزل الدنيا كمنزل نزلت به، وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء، إنما هي مع أهل اللب، العالمين بالله تعالى كفيء الظلال، فاحفظ ما استرعاك الله تعالى من دينه.

وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء وإن أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جلسه ويسأل عما لا يعنيه.

• وفاته:

اختلف في تحديد سنة وفاة أبي جعفر الباقر، وأرجح الأقوال أن وفاته كانت في سنة 114هـ بالمدينة، فرحمه الله رحمة واسعة⁽¹⁾.

(1) انظر: طبقات ابن سعد (5/320). طبقات خليفة (2233). التاريخ الكبير (1/183). الحلية (3/180). تهذيب الكمال (ص/1244). والتهذيب (9/350). وشذرات الذهب (1/149).

■ (4/2) الإمام جعفر الصادق*

● (80هـ - 148هـ)

هو سيدنا جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبي ﷺ وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي عنه، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ولهذا كان يقول، ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

● مولده:

ولد جعفر الصادق في سنة ثمانين هجرية، ورأى من الصحابة كبارهم كأنس بن مالك، وسهل بن سعد.

● فضله:

قيل للشافعي: كيف جعفر بن محمد عندك؟ قال: ثقة.

وقال أبو حاتم الرازي: جعفر بن محمد الصادق لا يسأل عن مثله.

● قوله في أبي بكر الصديق:

قال أبو زهير معاوية لجعفر بن محمد: إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر بن الخطاب؟

فقال جعفر الصادق: برئ الله من جارك؟ والله إني لأرجو أن ينفعني الله بقرباتي من أبي بكر.

* جعفر: سيرة آل بيت النبي الأطهار، مجدي فتحي السيد، طبقات خلفية 269. التاريخ الكبير 198/2. الجرح والتعديل 487/2. الثقات لابن حبان 6/131. المعارف 215. حلية الأولياء 3/192. صفة الصفوة 2/168. المختار من مناقب الأخبار 98/أ. وفيات الأعيان 1/327. تهذيب الكمال 5/74. سير أعلام النبلاء 6/255. ميزان الاعتدال 1/414. تذكرة الحفاظ 1/166. مرآة الحنان 1/304. الوافي بالوفيات 11/126. البداية والنهاية 10/105. غاية النهاية 1/196. تهذيب التهذيب 2/103. النجوم الزاهرة 2/8. طبقات الشعراني 1/32. وشذرات الذهب 1/220.

وقال سالم سألت أبا جعفر وابنه جعفرأ عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم تولهما، وأبرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى.

ثم قال جعفر: يا سالم. أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما⁽¹⁾.

وسئل جعفر بن محمد عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب؟ فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلتا من ثمار الجنة⁽²⁾.

• من روائع كلامه:

الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة.

وما عال من اقتصد، والتقدير نصف العيش، ومن أحزن والديه، فقد عقهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره، والصنعة لا تكون صنعة إلا عند ذي حسب أو دين، والله ينزل الصبر على قدر المصيبة، وينزل الرزق على قدر المؤونة، ومن قدر معيشته رزقه الله، ومن بذر معيشته حرمه الله.

• حكمته وزهده:

وقع الذباب على الخليفة المنصور فذبه عنه، فعاد فذبه حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد، فقال له المنصور:

يا أبا عبدالله، لم خلق الله عز وجل الذباب؟

قال: ليذل به الجبابة.

من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

وكان رجل من أهل السواد يلازم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه، فقال له رجل: إنه نبطي!! يريد أن يضمه.

(1) السير (6/259.260).

(2) السير (6/259.260).

فقال جعفر: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، الناس في آدم مستوون.

وعن سفيان الثوري قال: سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول فلم توجد، فيوشك أن تكون في التخلي، وليس كالخمول، فإن طلبت في التخلي ولم توجد، فيوشك أن تكون في الصمت، وليس كالتخلي، فإن طلبت في الصمت فلم توجد، فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها.

وقال جعفر بن محمد: أوحى الله إلى الدنيا: أن اخدمي من خدمني، وأتعبني من خدمك.

وسئل جعفر بن محمد: لم حرم الله الربا؟ قال: لثلاثا يمتنع الناس المعروف. وكان من دعائه: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تخزني بمعصيتك، اللهم ارزقني مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت علي من فضلك.

وقال نصر بن كثير: دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر بن محمد فقلت: إني أريد البيت الحرام فعلمني شيئاً أدعوه به، فقال: إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط، ثم قل: يا سابق القوت، يا سامع الصوت، يا كاسي العظام لحمًا بعد الموت، ثم ادع ما شئت.

• مفاتيح الرزق:

قال سفيان الثوري لجعفر بن محمد: لا أقوم حتى تحدثني؟ فقال جعفر بن محمد: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان. إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحبيت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عزوجل قال في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7/14].

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال في كتابه:

﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [نوح: 10/71].

يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فإنها مفتاح الفرج. وكنز من كنوز الجنة. فلما قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاث، وأي ثلاث.

● وصية جعفر بن محمد لابنه:

عن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً وتمت حميداً.

يا بني؛ إنه من قنع بما قسم الله له استغنى. ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله عزوجل له اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه. يا بني من كشف حجاب غيره، انكشفت عورات بنيه. ومن سل سيف البغي قتل به. ومن حفر لأخيه حفرة سقط فيها، ومن داخل⁽¹⁾ السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر. ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه⁽²⁾، فإن للجود معادن وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرات، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيب. زر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها.

يا بني إياك أن تزري بالرجال، فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعينك فتذل.

يا بني قل الحق لك وعليك تستشر بين أقربائك، وكن للقرآن تالياً، وللإسلام غاشياً وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطياً⁽³⁾.

(1) خالط.

(2) صفة الصفوة (2/170).

(3) السير (6/263).

وكان ينصح ولده قائلاً :

إياك والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق.
ولا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من
الجهل، ولا داء أذوأ من الكذب.
ولا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وستره.

• جعفر الصادق وأسرار الحج :

يقول سفيان الثوري رحمه الله :

قدمت مكة المكرمة فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح،
فقلت له: يا ابن رسول الله، لم جعل الموقف يعني في عرفة من وراء الحرم؟ ولم
يصير في المشعر الحرام؟!!

فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجاب، والموقف بابه، فلما قصده الوافدون
أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهي
المزدلفة.

فلما نظر إلى كثرة تضرعهم، وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم أمرهم
بتقريب قربان، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفتهم، وتطهروا من الذنوب التي كانت
حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قال سفيان: فلم كره الصوم أيام التشريق؟

قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه.

قال: جعلت فداك فما بال الناس يتعلقون بأستار الكعبة، وهي خرق لا تنفع
شيئاً؟

قال: ذلك مثل رجل بينه وبين رجل جرم، فهو يتعلق به، ويطوف حوله رجاء
أن يهب له ذاك، ذاك الجرم⁽¹⁾.

• جعفر الصادق ينصح الخليفة المنصور:

حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومئة فقدم المدينة، وقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعباً، قتلني الله إن لم أقتله. فتغافل عنه الربيع لينسأه. ثم أعاد ذكره للربيع، وقال: أرسل إليه من يأتي به متعباً. فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل. فلما أتاه قال له:

يا أبا عبد الله اذكر الله، فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها. قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم أعلم أبو جعفر حضوره، فلما دخل أوعده وقال: أي عدو الله؛ اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك.

فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك الأصل. فقال له أبو جعفر: إلي وعندني، أبا عبد الله، البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم⁽¹⁾.

• جعفر الصادق في قصر المنصور:

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثياباً، أحسبه قال جرداً فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله. فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقيه وقال:

أهلاً: بالنقي الساحة، البريء من الدغل والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعده معه على سريريه وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك، فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل.

ثم قال: يا جارية اثنتي بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فغلغه بيده وانصرف.

فاتبعته، فقلت: يا ابن رسول الله، أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه

(1) صفة الصفوة (2/172).

ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك عليه، ولا تهلكني، وأنت رجائي، رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري؟! فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رأني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبداً، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنياي، وعلى آخرتي بتقواي، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت. يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية⁽¹⁾.

• جعفر الصادق والأسئلة المحيرة:

قال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين. قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه؟ قال: نعم. فقال جعفر لأبي حنيفة ما اسمك؟ قال: نعمان.

قال: يا نعمان، هل قست رأسك بعد؟

قال: كيف أقيس رأسي؟!

قال: ما أراك تحسن شيئاً، هل علمت ما الملوحة في العينين؟ والمرارة في الأذنين؟ والحرارة في المنخرين؟ والعدوبة في الشفتين؟

قال: لا. قال: ما أراك تحسن شيئاً.

قال: فهل علمت كلمة أولها كفر، وآخرها إيمان؟

فقال ابن أبي ليلى: يا ابن رسول الله، أخبرني بهذه الأشياء التي سألتك عنها؟

قال جعفر الصادق: إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان، ولولا ذلك لذابتا.

وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدواب، فإن دخلت الرأس دابة، والتمست إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة، التمتت الخروج.

وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح، ولولا ذلك لأنتن الدماغ.

وإن الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته جعل لابن آدم العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شيء، ويسمع الناس بهما حلاوة منطقه.

قال ابن أبي ليلي: فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر، وآخرها إيمان؟

فقال جعفر: إذا قال العبد لا إله إلا الله فقد كفر. فإذا قال إلا الله فهو إيمان. ثم أقبل على أبي حنيفة. فقال: يا نعمان. أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس. قال الله تعالى له: اسجد لآدم فقال ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12/7].

فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس.

ثم قال جعفر: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟

قال: قتل النفس.

قال: فإن الله تعالى قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة.

ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟

قال: الصلاة.

قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟!

فكيف ويحك يقوم لك قياسك؟! اتق الله ولا تقس الدين برأيك⁽¹⁾.

● وفاته:

كان الإمام جعفر بن محمد من أئمة أهل البيت فقهاً، وعلمياً، وزهداً حتى قال

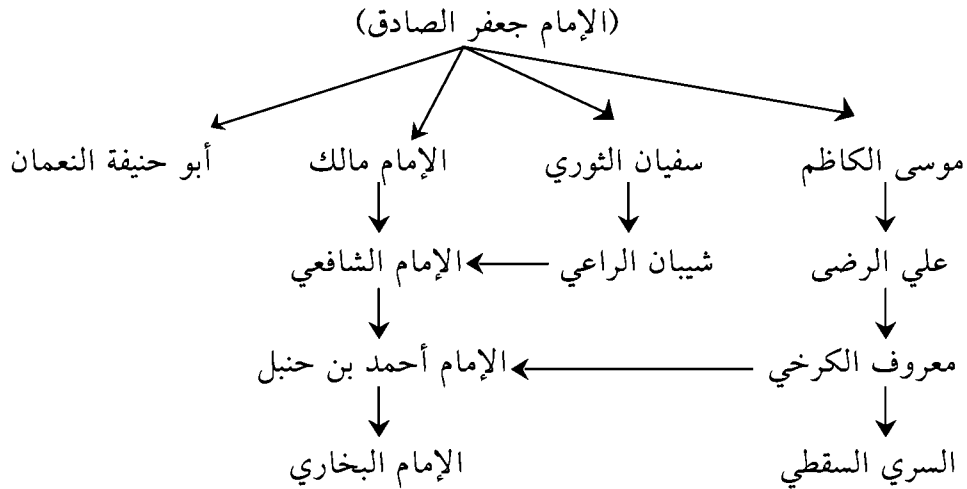
(1) طبقات خليفة (269). التاريخ الكبير (2/168). التاريخ الصغير (2/91). الجرح والعديل (2/487). الحلية (3/192). وفيات الأعيان (1/327). تهذيب الكمال (202). الميزان (1/414). تذكرة الحفاظ (1/166). التهذيب (2/103). وشذرات الذهب (1/20).

الإمام مالك: اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلا على طهارة.

أسند رضي الله عنه عن أبيه، وعن عطاء بن أبي رباح، وعكرمة في آخرين.

وروى عنه جماعة منهم: الإمام مالك وسفيان الثوري وأيوب السختياني وشعبة في آخرين⁽¹⁾.

وفي سنة 148هـ كانت وفاة الإمام جعفر الصادق رحمه الله رحمة واسعة ودفن في المدينة المنورة⁽²⁾.



■ (5/2) الإمام موسى الكاظم*

● (128هـ - 183هـ)

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي. يكنى: أبا الحسن.

(1) انظر صفة الصفوة لابن الجوزي (186).

(2) طبقات خليفة (269). التاريخ الكبير (168/2). التاريخ الصغير (91/2). الجرح والتعديل

(487/2). الحلية (192/3). وفيات الأعيان (327/1). تهذيب الكمال (202)، الميزان

(414/1). تذكرة الحفاظ (166/1). التهذيب (103/2). وشذرات الذهب (20/1).

* انظر سيرة آل بيت النبي الأطهار، لمجدي السيد، وكذلك في وفيات الأعيان (308/5)، السير (270/6). وشذرات الذهب.

● مولده:

ولد بالمدينة في سنة ثمان وعشرين بعد المئة، وقيل سنة تسع وعشرين بعد المئة.

● فضله:

كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته، واجتهاده. فقد كان يسجد السجدة من أول الليل إلى ما شاء الله.

● مواساته للغير:

يقول عيسى بن محمد القرظي زرعت بطيخاً، وقثاءً، وقرعاً في موضع بالجوانية على بئر يقال لها: أم عظام، فلما قرب الخير، واستوى الزرع، بغتني الجراد، فأتى على الزرع كله، وكنت غرمت على الزرع، وفي ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً.

فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد فسلم، ثم قال: إيش حالك؟ قال: أصبحت كالصريم بغتني الجراد، فأكل الزرع كله.

قال: وكم غرمت فيه؟ قلت: مئة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فقال: يا عرفة، زن لأبي المغيث مئة وخمسين ديناراً، فريحك ثلاثون ديناراً، والجمالان.

فقلت: يا مبارك، ادخل وسقيته فيها، فدخل ودعا. ثم علقت عليه الجملين وسقيته، فجعل الله فيها البركة، فزكت فبعت منها بعشرة آلاف⁽¹⁾.

● حسن تفكيره وسرعة بديهته:

حج هارون الرشيد، فأتى قبر النبي ﷺ زائراً له، وحوله قريش وأعيان القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله.

(1) تاريخ بغداد (29/13). والسير (6/272).

فدنا موسى من هارون، فقال: السلام عليك يا أبتى. فتغير وجه هارون. وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً⁽¹⁾.

● جوده وسخاؤه:

كان سخياً كريماً، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار، وكان يصير الصرر بثلاث مئة دينار، وأربع مئة، ومئتين، ثم يقسمها بالمدينة، فمن جاءتته صرة، استغنى.

عن محمد بن عبد الله البكري قال: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فقلت: لو أتيت موسى بن جعفر فشكوت إليه، فأتيته، فخرج إلي، وأكلت معه، فذكرت له قصتي فأعطاني ثلاث مئة دينار.

وذكر له أن العمري يزرع بأرض، فركب إليه في مزرعته، فوجده، فدخل بحماره فصاح العمري لا توطئ زرعا، فوطئ بالحمار حتى وصل إليه، فنزل عنده وضاحكه. قال: كم غرمت في زرعك هذا؟ فقال: مئة دينار. قال: فكم ترجو؟ قال: لا أعلم الغيب أرجو أن يجيئني مئتا دينار. فأعطاه ثلاث مئة دينار.

وقال: هذا زرعك على حاله. فقام العمري فقبل يديه، وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل يدعو له كل وقت. فقال أبو الحسن لخاصته الذين أرادوا قتل العمري: أيما هو خير؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟

● فتنة الحبس ببغداد:

أقدمه الخليفة المهدي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمرة شهر رمضان، وذلك في سنة تسع وسبعين ومئة، فحمل موسى معه إلى بغداد، وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه.

وفي رواية أخرى لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب، وهو يقول: يا محمد: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 22/47].

(1) تاريخ بغداد (13/ 31). والسير (6/ 273).

قال الربيع بن الفضل: فأرسل إلي ليلاً فراعني، فجئته، فإذا هو يقرأ تلك الآية، وكان أحسن الناس صوتاً.

وقال: عليّ بموسى بن جعفر، فجئته به، فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال: يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا، فاحذر أن تخرج علي، أو علي أحد من ولدي؟.

فقال: لا والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني.

قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله بالمدينة⁽¹⁾.

وبعث موسى الكاظم إلى الرشيد برسالة من الحبس يقول: إنه لن ينقضي عني يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون.

● وفاته:

يقول عبدالسلام بن السندي: كان موسى بن جعفر عندنا محبوباً، فلما مات بعثنا إلى جماعة من العدول، من الكرخ فأدخلناهم عليه، فأشهدناهم على موته، ودفن في مقابر الشونيزية.

وكانت وفاة موسى الكاظم في شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين ومئة. وقد عاش خمساً وخمسين عاماً.

● أولاده:

رزق من الولد، الجميع من إماء: علي، والعباس، وإسماعيل، وجعفر، وهارون، وحسن، وأحمد، ومحمد، عبيدالله، وحمزة، وزيد، وإسحق، عبد الله، الحسين، فضل، وسليمان، سوى البنات، سمي الجميع: الزبير في (النسب)⁽²⁾.

(1) تاريخ بغداد (13/ 31، 32).

(2) لمزيد من التفصيل انظر: الجرح والتعديل (8/ 139). تاريخ بغداد (13/ 27). وفيات الأعيان (5/ 308). تهذيب الكمال (1383). الميزان (4/ 201، 202). السير (6/ 270). التهذيب (10/ 339). وشذرات الذهب (1/ 304).

■ (6/2) الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم*

● (148هـ - 203هـ)

هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي المدني.

● مولده:

بالمدينة في سنة ثمان وأربعين ومئة عام وفاة جده الإمام جعفر الصادق.

قال ابن خلكان: وكانت ولادة علي الرضا يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومئة بالمدينة. وقيل بل ولد سابع شوال، وقيل ثامن، وقيل سادسه، سنة إحدى وخمسين ومئة.

وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في سنة اثنتين ومئتين وجعله ولي عهده. وضرب اسمه على الدينار والدرهم. وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء، وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان، واستدعى علياً وأنزله أحسن منزلة، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايعه. وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، ونمى الخبر إلى من بالعراق من أولاد العباس، فعلموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم، فخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي وهو عم المأمون، وذلك يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين، وقيل سنة ثلاث ومئتين.

● علمه:

سمع من أبيه، وأعمامه: إسماعيل، وإسحاق، وعبيد الله، وعلي، وأولاد جعفر، وعبد الرحمن بن أبي الموالي، وكان من العلم والدين والسؤدد بمكان.

* انظر سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد، وانظر تاريخ الطبري (8/ 54. 568). الكامل (6/ 326. 351). وفيات الأعيان (3/ 269). العبر (1/ 340). تهذيب الكمال (994). البداية (10/ 250). التهذيب (7/ 387). شذرات الذهب (2/ 602).

يقال: أفتى وهو شاب في أيام مالك. استدعاه المأمون إليه إلى خراسان، وبالغ في إعظامه، وصيره ولي عهده، فقامت قيامة آل المنصور، فلم تطل أيامه، وتوفي.

● عقيدته:

قال علي بن موسى: من قال القرآن مخلوق، فهو كافر.

وكل شيء بقدر حتى العجز.

وسمعت علي بن موسى بالموقف يدعو: اللهم كما سترت علي ما أعلم فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني علمك، فليسعني عفوك، وكما أكرمتني بمعرفتك، فاشفعها بمغفرتك، يا ذا الجلال والإكرام⁽¹⁾.

وسئل علي بن موسى الرضى: أيكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ قال: هو أعدل من ذلك، قيل: فيستطيعون أن يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجز من ذلك⁽²⁾.

● وفاته:

قال ابن جرير: دخلت سنة ثلاث ومئتين، فسار المأمون إلى طوس، وأقام عند قبر أبيه الرشيد أياماً. ثم إن علي بن موسى أكل عنباً، فأكثر منه، فمات فجأة في آخر صفر. فدفن عند الرشيد، واغتم المأمون لموته⁽³⁾.

وقد ترك عدة من الولد. فترك محمداً، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وعائشة.

■ (7/2) سيدي معروف الكرخي*

● (... - 200هـ)

هو سيدنا أبو محفوظ معروف الكرخي رضي الله عنه. فهو أحد من حظوا من الله تعالى بموفور العناية وكمال الرعاية. فجالت أرواحهم في ملكوت الله سابحة في النور

(1) السير (9389).

(2) تهذيب (995).

(3) تاريخ الطبري (8-568).

* انظر أعلام الصوفية لأبي اليزيد المهدي 171.

الإلهي عابدة أوبة تستمطر الفيوضات الربانية وتستلهم اللطائف الرحمانية، إنهم جنود الله وحراسه على شريعته وطريقته وحقيقته.

وسيدي معروف هو شيخ التصوف بالعراق في عصره، وقد انتهت إليه تربية المريدين وإمامة المريين. وقد شهد له مشايخ عصره بأنه لم يكن في زمنه من يربي المريدين مثله⁽¹⁾.

وناهيك بمن هو شيخ للسري السقطي الذي هو شيخ الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية، لذا فهو يعد بحق شيخاً للسلسلة الصوفية التي نهلت من نبع آل البيت رضوان الله عليهم واستمدت من أنوارهم ضياءها.

فسيدي معروف هو واسطة العقد النفيس بين آل البيت وأقطاب التصوف عليهم السلام. وقد امتدت حياته في القرن الثاني حتى نهايته، حيث أرخ لوفاته بسنة مئتين أو إحدى أو أربع ومئتين والأول هو الصحيح كما حققه الذهبي⁽²⁾.

ولقد كانت حياة سيدي معروف عليه السلام وقفاً على طاعته لربه وعبوديته الصادقة، لله تعالى فلم تشبها رائحة الدنيا. ولم يكن فيها متسع لمأرب آخر سوى الاتصال بالله عز وجل.

فلقد نذر حياته لله تعالى ولم يأل جهداً في وفائه بحق هذا النذر، فلم تأخذ الدنيا منه أدنى التفاتة، لأنه أدرك أنها دنية، ومن تعلق بها قلبه فهو دني الهمة أبق من سيده، فار من ساحة الميدان.

وحينما نتصفح سيرة الإمام الكرخي نقف في السطور الأولى من تاريخ حياته على أحداث عدة تلقي أضواءها على هذه الشخصية الفذة التي توافرت لها سبل الرعاية الإلهية والعناية الربانية.

فلقد ولد عليه السلام من أبوين كانا يعتنقان النصرانية، وما أن بدا يستقبل بواكير صباه حتى أسلمه أبواه للمعلم ليلقنه تعاليم النصرانية، فأخذه وصار يقول له قل ثالث

(1) انظر الكواكب الدرية للعارف اللماوى 715.

(2) "سير أعلام النبلاء للذهبي 344/9.

ثلاثة فيقول له بل إله واحد، فيكرر عليه المعلم قوله، وتصمد الفطرة المؤمنة أمام كلمة الكفر، حتى لم يجد المعلم بداً من اللجوء إلى القوة والإكراه فضربه ضرباً مبرحاً ليكرهه على دينه جبراً وتعسفاً. فهرب سيدي معروف منه ومن أبويه، أو بالأحرى فر إلى ربه، فألقت به العناية الإلهية في أحضان بيت النبوة إذ التقى بفرع الدوحة النبوية سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام وعني به.

فتلقفته يد حانية لتمسح عنه آلامه، ثم لتغسل عنه أدرانته، ثم لتملأ قلبه بالنور، فأدلى دلوه في نبع الهدى والصفاء وشرب من منهل الحنيفة السمحاء.

ولما افتقده والداه صاروا يقولان: ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه، وذات يوم دق الباب. فقيل: من؟ قال معروف، فقالا له على أي دين أتيت؟ فقال على الإسلام. فأسلم أبواه⁽¹⁾.

وبذلك سجل العارف معروف أول فتح للإسلام على يديه مبتدئاً بأبويه.

وحين أخذ مفتاح فتوحه من سيدي علي الرضا، كان قد بدأ حياة جديدة قوامها الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس في طاعة الله تعالى واقتفاء أثر السلف الصالح رضوان الله عليهم، وتزويد لكل ذلك بالعلم فتضلع منه حتى كان مرجعاً للأئمة في عصره. فقد ذكر الإمام الغزالي رحمته الله أن الإمام أحمد بن حنبل كان يختلف إليه هو وابن معين ويسألانه ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما: مثلكما يفعل ذلك؟ فيقولان كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب الله ولا سنة رسوله، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "سَلُوا الصَّالِحِينَ"⁽²⁾.

وكان الإمام الكرخي ذا رواية في الحديث. ويذكر الحافظ أبو نعيم أن من مسانيد حديثه هذا الحديث الذي رواه عن عبد الله بن موسى عن عبد الأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن السيدة عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الشُّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ وَأَذْنَاهُ أَنْ تَجِبَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجُورِ أَوْ تَبْغُضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ".

(1) انظر: الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 1/61، وسير أعلام النبلاء للذهبي 9/239.

(2) انظر الكواكب الدرية للعارف المناوي 1/488 - 489.

وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31/3]⁽¹⁾.

وكان الإمام معروف الكرخي وهو شيخ وإمام في علوم القوم ذا منهج خاص في التربية الصوفية، ويتضح هذا المنهج من تتبع أقواله المأثورة في التصوف والتي تنبئ عن علو قدمه في ميدان المعرفة.

فقد سئل سيدي معروف عن حقيقة الوفاء فقال: حقيقة الوفاء: إفاقة السر عن رقدة الغفلات وفراغ الهم من فضول الآفات⁽²⁾.

وخلاصة جوابه هي تخلية السر لله تعالى وتصفية القلب من الغفلة ومن كل ما من شأنه أن يشغل عن الله تعالى.

وسئل عليه السلام: بم تخرج الدنيا من القلب؟ فقال: بصفاء الود وحسن المعاملة. وللصفاء علامات ثلاث: وفاء بلا خلاف، وعطاء بلا سؤال، ومدح بلا جود⁽³⁾.

ويقول: "وعلامات الأولياء ثلاث: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه"⁽³⁾. وسأله أبو سليمان الدارني عن الطائعين بأي شيء قدروا على الطاعة؟ فقال: "بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحت لهم سجدة!!"

أرأيت إلى هذا المعراج السامي في مراقبي الحقائق؟ إن الإمام معروف الكرخي لم ينطق بهذه الكلمات إلا بعد أن تحقق بها. لذلك فإن كلماته تنفذ إلى القلب لأنها من القلب ولأنها صدرت عن إخلاص لله، وبغير ذلك لا يمكن أن تثمر الكلمات. ولقد ترجم سيدي معروف سلوكه مع الله في هذه الكلمات التي فيها غذاء القلب وقوت الروح.

إنه يقول: "توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومربيك وموضع شكواك، وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقك"⁽⁴⁾.

(1) انظر: الحلية لأبي نعيم 367/8 - 368.

(2) انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى بتحقيق نور الدين شريفة، ص 88

(3) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم 368/8.

(4) انظر الحلية لأبي نعيم 360/8.

إن من يفعل ذلك فقد صار محلاً بولاية الله تعالى وهنا تنزل عليه الرحمات وتفيض عليه الإلهامات وتخرق له العادات؛ لأنه صار ربانياً يسمع بالله ويبصر بالله ويفعل كل شيء بالله، ولأنه جاهد في الله حق جهاده.

ومما وقع لسيدي معروف من الكرامات ما رواه صاحب الحلية عن إبراهيم بن عبدالله بن إسحاق عن محمد بن إسحاق النقني قال سمعت أبا سليمان الرومي يقول سمعت خليلاً الصياد يقول: غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعاً شديداً، فأتيت معروفاً فقلت أبا محفوظ، قال: ما تشاء؟ قلت: ابني محمد غاب وجزعت أمه عليه جزعاً شديداً. فادع الله ليرده عليها. فقال: اللهم إن السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك فأت به. قال خليل: فأتيت باب الشام، فإذا ابني محمد قائم منبهر. قلت: محمد؟ قال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار⁽¹⁾!!

وليس عجباً أن يجيب الله دعاء من أطاعه مهما كان خارقاً للعادة، ليس عجباً أن تخرق العادة لمن خرج عن مألوف عاداته بجهاده لنفسه في طاعة الله، بل إن خرق العادة أقل القليل بالنسبة إلى عطاء هؤلاء الصفوة الخواص. إنهم أهل الحضرة الإلهية وضنائن الله في خلقه.

يقول العارف السري السقطي: "رأيت معروفاً الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جلت قدرته يقول لملائكته: من هذا؟ وهم يقولون: أنت أعلم يا ربنا منا فقال: هذا معروف الكرخي، سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي"⁽²⁾!!

هذه هي منزلة سيدي معروف قد أراها الله لخليفته سيدي السري الذي أخذ عنه الطريق. ومنازل الأولياء في الحقيقة لا يعلمها إلا الله تعالى، وإنما هي إشارات تقربنا منهم وتدلنا عليهم وتخبرنا بمدى صدقهم مع الله تعالى.

ولقد عرف الصوفية الطريق إلى الله تعالى فسلكوه ولم يلتفتوا عنه طرفة عين. وحسبنا من العلم بمنالهم أنهم آثروا الله على كل شيء، فمنحهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(1) انظر الحلية لأبي نعيم 362/8.

(2) انظر الرسالة الششيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 61/1.

إن الإمام العارف سيدي معروفاً الكرخي قد أجمعت آراء صفوة العارفين على إمامته في علوم القوم، وعلى أنه كان فريداً في عصره علماً وذوقاً وسلوكاً، وشرب من راحة آل البيت حتى ارتوى وأروى. وفاضت من ينبوع معرفته لطائف الإشارات التي قادت قلوباً وأرواحاً إلى الله تعالى. وهو الذي استغرقت محبة الله روحه وأنفاسه فعاش عيشة الأبرار، ولقي ربه مع المصطفين الأخيار ﷺ ورضي عنا به وأمدنا ببركاته دنيا وأخرى آمين. لقد كان الإمام معروف ﷺ، كما قال الحافظ الذهبي في صدارة ترجمته: (علم الزهاد، بركة العصر). ولا يدلك على العارف إلا عارف مثله.

فقد روي عن سيدنا سفيان بن عيينة أنه قال لمعاصره إسماعيل بن شداد: ما فعل ذلك الحبر الذي فيكم ببغداد؟.

فقال من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف. قال: بخير. فقال الإمام سفيان: "لا يزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي" (1).

كما ذكر الحافظ الذهبي من كرامات سيدي معروف ﷺ أن ابن شيرويه قال: قلت لمعروف: بلغني أنك تمشي على الماء.

فقال له ما وقع هذا، ولكن إذا هممت بالعبور جمع لي طرفا النهر فأخطاه (2).

إن سيدي معروفاً ممن لهم جاه عظيم يتوسل به إلى الله تعالى. فقد روى الإمام القشيري أنه قال لمريده الإمام السري السقطي ﷺ: "إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي" (3).

ألا وإن جاهه عند الله تعالى لم ينقطع بوفاته. فقد قال أبو عبد الرحمن السلمي في ترجمته: "وهو من جلة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والفتوة. كان أستاذاً السري السقطي، صحب داوود الطائي، وقبره ببغداد ظاهر يستشفى به ويتبرك بزيارته" (4).

(1) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 239/9 - 240.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 342/9.

(3) انظر الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 61/1.

(4) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص 84 - 85.

ثم روي عن إبراهيم بن الجزري أنه كان يقول: "قبر معروف الترياق
المجرَّب" (1).

■ (8/2) شيخ صوفية العراق: سيدي الإمام السري السقطي*
● (... - 251هـ)

هو الإمام العارف والصوفي الشامخ سيدي أبو الحسن السري بن المغلس
السقطي رحمته الله.

أحد أئمة الصوفية العظام الذين تفجرت عيون مواردهم في المعارف الإلهية
وفاضت مناهل عرفانهم بالفحات القدسية.

وناهيك بمن هو شيخ للإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية.

فهو خاله وأستاذه. وهو إمام التصوف بالعراق في عصره. وهو كما قال الإمام
القشيري في (رسالته): "أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد" (2).

ويقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي في (طبقاته): "وهو أول من تكلم ببغداد
في لسان التوحيد وحقائق الأحوال وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته" (3).

فالإمام السري يعد رائد عصره في كشف حقائق التصوف وعلومه.

ثم هو إمام زمانه في أحوال القوم وأخلاقهم ومناهجهم السلوكية التي ترتقي
بالعبد إلى قمة الوصول.

والعارف أبو الحسن السري بغدادي المولد كما أنه بغدادي الوفاة. إذ توفي في
سنة إحدى وخمسين ومئتين هجرية⁽⁴⁾. ومقامه بالشونيزية ظاهر. يزار وتلمس منه
البركات.

(1) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص 84 - 85.

* انظر أعلام الصوفية لأبي اليزيد المهدي 263.

(2) انظر الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبدالحليم محمود: 64/1.

(3) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه ص 48.

(4) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه، ص 48.

وقد تلقى القطب السري طريقته عن قطب عصره الإمام العارف سيدي معروف الكرخي الذي يعد رحمته الله شيخ التصوف بالعراق في زمنه والذي تلقى بدوره الطريق عن سليل البيت النبوي سيدي علي بن موسى الرضا رحمته الله.

وقد استمد الإمام السري المدد الصوفي من سيدي معروف ليسري إليه نور هذه السلسلة المنتهية إلى بيت النبوة، ثم منه إلى الإمام أبي القاسم الجنيد الملقب بسيد الطائفة الصوفية.

وعن قصة البداية في الطريق الصوفي للإمام السري مع شيخه سيدي معروف: يروي الإمام القشيري بسنده عن أبي العباس بن مسروق يقول: "بلغني أن السري السقطي كان يتجر في السوق -وهو من أصحاب معروف الكرخي- فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم، فقال: اكس هذا اليتيم. قال سري: فكسوته ففرح به معروف وقال: "بغض الله إليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه" فقامت من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا. وكل ما أنا فيه من بركات معروف⁽¹⁾.

وعلى أثر هذا الحادث. واستجابة لدعوة سيدي معروف توجه الإمام السري إلى الله. وترك تجارة الدنيا ليشرع في تجارة الآخرة. بل ليستقبل عهده مع الله في محراب العبادة والعبودية. يعبده تقرباً إليه لا طمعاً في ثوابه ولا خوفاً من عذابه، كما هو الشأن في عبادة الأحرار..

ولقد سلك الإمام السري طريق القوم على تعطش للعبادة والمعرفة، فأقبل على الطاعات بروح تواق مشغوفة بالتححرر من الإنية والغيرية، دؤوبة على الخدمة والعكوف بباب المولى حتى يؤذن لها بالدخول.

وأخبار عبادات الإمام السري تثير العجب وتفوق الخيال: يقول الإمام الجنيد رحمته الله: "ما رأيت أعبد من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت"⁽²⁾!!

أي طراز هذا من الرجال؟ إنه الطراز الملائكي الذي يقات من العبادات

(1) انظر الرسالة القشيرية - المحققة - 64/1.

(2) المصدر السابق / 65 وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي 186/12.

ويتنفس بالطاعات، كما قال تعالى في حق الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20/21].

وهذا هو دأب العارف السري، وقد كان يوصي به أصحابه ومريديه. لقد سمع الإمام الجنيد يقول: "إني أعرف طريقاً يؤدي إلى الجنة قصداً. فقيل له ما هو يا أبا الحسن؟ فقال: أن تشتغل بالعبادة وتقبل عليها حتى لا يكون لك فيها فضل" (1).

لقد فسر هو بنفسه معنى قوله: "حتى لا يكون لك فيها فضل" عملياً، وذلك بعبادته المتصلة ثمانية وتسعين عاماً أمضاها بين صيام وقيام وذكر وفكر، حتى لقد كان يقول: "إذا فاتني جزء من وردي لا يمكن أن أقضيه أبداً" (2).

وعلل لذلك الإمام الجنيد قائلاً: "لأن السري كان متصل التفل".

وكان رضي الله عنه يقول: "من قام بين يدي الله في الظلام نشرت له يوم القيامة الأعلام" (3).

ولقد كان المنهج السلوكي عند العارف السري ذا جوانب متعددة عميقة الغور مترامية الأبعاد، وكانت تلك الجوانب في مجموعها تمثل حلقات متصلة بحيث تشمل كل المعاملات الظاهرة والباطنة للعبد مع الخالق ومع المخلوقين أيضاً، بحيث تفضي هذه الجوانب في النهاية إلى بلوغ قمة النضج الروحي حيث تحلق الروح في سماء المعرفة والولاية.

ففي مجال جهاد النفس مثلاً: تطالعنا عند الإمام السري صفحات مضيئة يكاد سنا برقها يذهب بالأبصار. يقول رضي الله عنه: "إن نفسي تطالني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس؛ أي غسل التمر وعسل النحل فما أطعتها" (4)!!

ولطالما تحرى الإمام السري الحلال مع شدة الورع حتى تحمل في ورعه

(1) انظر الحلية لأبي نعيم 119/10.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 124/10 وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 187/12.

(3) انظر الكواكب الدرية للإمام المناوي: 419.

(4) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراي رضي الله تعالى عنه 63/1.

الكثير والكثير. وكان يقول دائماً: "آه على لقمة ليس الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة".

ومن تلك الوقائع التي تجلى فيها ورع سيدي السري ما رواه الإمام الشعراني رحمته الله في (طبقاته) إذ قال: وقال علي بن الحسين بعثني أبي للسري رحمته الله بشيء من حب السعال لسعال كان به. فقال لي: كم ثمنه؟ فقلت له: لم يخبرني بشيء. فقال اقرأ عليه السلام وقل له: نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة ألا يأكلوا بأديانهم، أفترانى اليوم آكل بديني؟! ثم رده ولم يأخذ منه شيئاً⁽¹⁾.

ويؤكد صاحب الحلية هذا المرتقى السامي عند الشيخ السري قائلاً: "وسمعت أبا علي الحسن البزاز، يقول: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر، فقال: أليس الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء؟ قلت: بلى. قال: هو على سيره عندنا قبل أن يخرج". ثم يقول أبو نعيم: "وقد كان السري يعرف بطيب الغذاء وتصفية القوة وشدة الورع حتى انتشر ذلك عنه. بلغ ذلك أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال: الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء"⁽²⁾.

وقد كان منهج السري في الورع منطوياً على جواهر الحكم السلوكية الصوفية. فها هو ذا يقول: "لا يقوى على الشهوات إلا من ترك الشبهات"⁽³⁾.

ويؤيده ما ورد في الحديث الشريف: "فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ". وأيضاً فقد كان العارف السري يقول: "تصفية العمل من الآفات أشد من العمل"⁽⁴⁾.

ثم إلى جانب الزهد والورع فقد كانت المراقبة في أعلى درجاتها متمثلة في سلوك الإمام السري. المراقبة هي إحدى مرتبتي الإحسان الوارد معناه في الحديث الشريف إذ قال سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "الإحسان أن تَعْبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فالشق الأول للمشاهدة. والثاني للمراقبة،

(1) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضى الله تعالى عنه 1/63.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 10/126.

(3) انظر الحلية لأبي نعيم 10/126.

(4) انظر الحلية لأبي نعيم 10/122.

والمراقبة عند العارفين لها درجات ومنازل. ولقد تربح سيدي السري في قمة المراقبة والحضور. يقول عليه السلام: "صليت وردي ليلة فمددت رجلي في المحراب فنوديت: يا سري: كذا تجالس الملوك. قال: فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً" ⁽¹⁾!!

إنه نداء المراقبة من قبل الحضرة العلية للعارف السري. ولقد عرف نفس النداء مع سيدي أبي يزيد البسطامي وسيدي إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنهما. ومع المراقبة هناك التوكل والرضا. ولكل مفهومه عند العارف السري. فهو يعرف التوكل بأنه: "الانخلاع عن الحول والقوة" ⁽²⁾.

ثم يقول عن الرضا والورع والعبادة والشكر: رأس الأعمال الرضا عن الله، وعمود الدين الورع، ومخ العبادة الجوع، وضبط اللسان حصن حصين، ومن شكر الله جرى في ميدان الزيادة.

ويرى الإمام السقطي أن التجرد لله تعالى هو أقرب ما يوصل إلى الحضرة الإلهية، فلقد سئل يوماً: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: "إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام. وإن أردته فاترك كل ما سواه تصل إليه" ⁽³⁾.

أي إن هناك طريقين موصلين إلا أن أقربهما للوصول هو ترك السوى. ولقد ترك الإمام السري كل ما سوى الله فوصل إلى الله.. وصل إليه على جناحي المحبة والشوق. وللمحبة عند العارف السري مقام لا يرام بالكلام ولا يفسر بالأقلام. يقول الإمام الجنيد: "سألني السري يوماً عن المحبة، فقلت: قال قوم هي الموافقة. وقال قوم الإيثار. وقال قوم كذا وكذا. فأخذ السري جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتد. ثم قال: وعزته لو قلت: إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت. ثم غشى عليه فصار وجهه كأنه قمر مشرق. وكان السري به أدمة أي سمرة" ⁽⁴⁾!!

(1) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 185/12.

(2) انظر: طبقات الصوفية للسلمي ص/50.

(3) انظر: الكواكب الدرية للعلامة المناوي 419/1.

(4) انظر الرسالة القشيرية (المحققة): 65/1.

ومصدّقاً لمنطق هذه الواقعة فلقد رفع السري على الإمام الجنيد يوماً رقعة وقال له : انظر ما فيها. فنظر فإذا فيها.

إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا⁽¹⁾ ولقد جاء رجل وقال يوماً للعارف السري : كيف أنت؟ فأجابه قائلاً :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد⁽²⁾ إنها محبة العبد لسيد ومولاه، هي القوت والغذاء، وهي الخمر وهي الكأس، وهي النعيم وهي السرور. فاعجب لنعيم يفتت الأكباد ويذيب المهج ويلصق الجلد بالحشا ويقطع المحب عن كل شيء سوى محبوبه.

ومن ثم فالحجاب عن المحبوب هو أشد ما يعانیه المحب من العذاب. لذلك كان الإمام السري يتضرع إلى ربه ويناجيه قائلاً : " اللهم مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب"⁽³⁾.

إن الأولياء ينشدون الوصال دائماً فهو مطلبهم الأسمى، ومع الوصال يكون الأنس والرضا والهيبة والجلال، وكلها مقامات لها شأنها عند أهلها، وقصارى ما يمكن أن نصل إليه هو المدلول النظري عن طريق التعرف والبحث. أما الإدراك الصوفي العملي فهو وقف على أهله الذين اصطفاهم ربهم واجتباهم. قد أوجد البون الشاسع بين النظر والتطبيق عقبة منيعة في التصديق، لكن لا يسعنا إلا نشدان الحقيقة والتعرف عليها من أي الوجوه والزوايا.

وفي مقام الأنس والهيبة يقول الإمام السري عليه السلام : " يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر"⁽⁴⁾.

(1) انظر طبقات الأولياء لابن الملقن : ص 163.

(2) انظر : الكواكب الدرية للشيخ المناوي 1/ 420.

(3) انظر الحلية لأبي نعيم : 10/ 120.

(4) انظر الرسالة القشيرية (المحققة) 1/ 199.

ويعلق الإمام الجنيد على كلام شيخه قائلاً: "وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي الأمر كذلك. وذلك لأن الهيبة والأنس حالتان فوق القبض والبسط".

والقبض والبسط: فوق الخوف والرجاء، فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهشة، فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعاً لم يحضر من غيبته إلا بزوال الهيبة عنه.

والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة. ثم إنهم يتفاوتون في الهيبة والأنس. وقيل أدنى مرتبة في الأنس أنه لو ألقى في النار ما تكدر أنسه. ألا ترى إلى قول السري: "يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر".

وذلك لأن الأنس يتولد من السرور بالله، ومن صح له أنس بالله استوحش مما سواه، هذه مقامات العارفين السابحين في بحار القرب الفائزين برضا الرب، الناعمين بالولاية الربانية والمجتبين للمعرفة الإلهية.

وللمعرفة علامات أبان عنها العارف السري إذ قال: "من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة"⁽¹⁾.

والإيثار بصفة عامة خلق من أخلاق الكمل من الرجال. وقد نال الإمام السري منه الغاية القصوى وهي الفتوة في الطريق. وحمل أُنُقال المسلمين وتقديم مصلحتهم على الجانب الشخصي. فلقد أثر عن سيدي السري أنه كان يقول: "وددت أن أحزان الخلق كلهم علي"⁽²⁾.

إنه يريد أن يتحمل وحده عبء أحزان الخلائق شفقة منه عليهم وإيثاراً لهم على نفسه. وذلك هو عين المشرب المحمدي وأنعم به من مشرب.

ومن النماذج التطبيقية لخلق الفتوة عند الشيخ السري ما ذكره الإمام القشيري في رسالته قائلاً:

ويحكى عن السري أنه قال: "منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي "الحمد لله" مرة. قيل: وكيف؟ فقال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل فقال لي:

(1) انظر طبقات الصوفية للسلمي ص 53.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 118/10.

نجا حانوتك. فقلت الحمد لله فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين" (1).

لله درك أيها العارف، هذه هي أخلاق الإسلام التي ارتفع بها صرحه وساد العالمين، وبها تتحقق ذاتية المسلم الكامل الوارث لأخلاق النبوة. إن هذا السمو الأخلاقي هو وليد التربية الصوفية التي تنزع من العبد نفسه الأمانة بالسوء، وتمحو منه أنانيته لكي يصفو ويسمو، حيث يحلق في أجواء الحب النقي الطاهر لله الواحد الأحد.

ولقد وضع أقطاب الصوفية في مناهجهم السلوكية أكمل المبادئ والأسس الأخلاقية التي ترتقي بالعبد إلى مصاف الأبرار المقربين.

يقول الإمام السري رضوان الله عليه: "ثلاث من أخلاق الأبرار: القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، وترك الغفلة". ثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجناح، وكثرة الصدقات. وثلاث من أبواب سخط الله: اللعب، والمزاح والغيبة. والعاشر من هذه الثلاث: عمود الدين وذروة سنامه: حسن الظن بالله" (2).

إنها مدارج الكمال ومعارج الاتصال يصفها العارف الولي سيدي الإمام السري. كما يحدثنا عن عقبات الوصول ووسائل الاتصال بالله تعالى قائلاً: (انقطع من انقطع عن الله بخصلتين واتصل من اتصل بأربع خصال.

فأما من انقطع عن الله بخصلتين: فيتخطى إلى نافلة بتضييع فرض.

والثاني عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب، أما الذي اتصل به المتصلون: فلزوم الباب، والتشمير في الخدمة، والصبر على المكاره، وصيانة الكرامات" (3).

ولمعنى الصبر تحليل جميل عند العارف السري. إذ يقول: "معنى الصبر أن

(1) انظر الرسالة القشيرية (المحققة) 1/ 66.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 10/ 123.

(3) انظر الحلية لأبي نعيم 10/ 120.

تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكل ما عليها لا تأبى ذلك، كذلك الصابر يحتمل كل ما كرهته النفوس، لا يأبى ذلك ولا يسميه بلاء، بل يسميه نعمة وموهبة من الله سبحانه وتعالى" (1).

ثم لقد تعرض العارف السري لبيان أخلاق الصديقين. فقد قال الإمام الجنيد رحمته: "دخلت يوماً على السري، فقال لي: ما أوائل أحوال الصديقين؟ قلت: لا أدري. قال ثلاثة: أن يكونوا بما في أيديهم مع إخوانهم سواء، يطالبون نفوسهم بما للناس عليهم، وإذا عرض أمران لله عز وجل فيهما رضا حملوا أنفسهم على أصعبهما وأشدهما، وإن كان فيه تلف نفوسهم".

ويعقد الإمام السري مقارنة صوفية بين الأبرار والمقربين قائلاً: قلوب المقربين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، هؤلاء يقولون: بماذا يختم لنا. وأولئك يقولون: ماذا سبق من الله لنا" (2).

وأما عن أخلاق الأبدال من الأولياء فيقول رحمته: "أربع من أخلاق الأبدال: استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق، والنصح لهم".

تلك إشارات ولطائف رقيقة نورانية اتصف بها قوم في الذروة العليا من الصفاء والطهر والنقاء. وتكلم بها الإمام الجنيد، تفجرت في قلبه ينابيع الحكمة، فتحدث عن موارد القلوب. يقول الإمام الجنيد: "بعثني السري يوماً في حاجة فأبطأت عليه. فلما جئت قال لي: إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه" (3).

إنه إمام فذ في عصره فريد في طرازه. وقد كانت نظرة عصره إليه نظرة المأموم للإمام. فلقد روى صاحب الحلية أن الإمام الجنيد سمع الحسن البرازي يقول: "كان أحمد بن حنبل ههنا، وكان بشر بن الحارث ههنا وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما. ثم إنهما ماتا وبقي السري، وإني أرجو أن يحفظنا الله بالسري" (4).

(1) انظر الحلية لأبي نعيم 120/10.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 121/10.

(3) انظر طبقات السلمى ص 51.

(4) انظر الحلية 126/10.

ولقد كان للإمام السري مع الإمام أحمد بن حنبل - في حياته - شأن جليل في أمور الحقائق. ومن ذلك ما ذكره الإمام الغزالي رحمته الله قائلاً: "وأرسل السري إلى أحمد بن حنبل شيئاً فردّه. فقال له: احذر آفة الرد، فإنها أشد من آفة الأخذ. فقال أعد علي ما قلت، فأعاده؛ فقال: ما رددت إلا لأن عندي قوت شهر، فاحبسه عندك وأرسله بعد شهر" (1).

لقد التقى علم الشريعة وعلم الحقيقة في أعلى قمتين شامختين في العصر كله. واتفقت الكلمتان وتوحدتا، وما كان لهما أن يختلفا أو يتفرقا أبداً، مع ما يقوله أهل الزور من أعداء الصوفية الذين عميت بصائرهم عن رؤية الحقيقة.

ولقد أوضح الإمام السري الحقيقة بجلاء في قوله: "من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط". ولنعم ما قاله أهل الله تعالى: "الشريعة أن تعبه، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهد". ولكن ما ذنب الشمس في أن يحجب عنها أعمى أو لا يحس بها فاقد لجوهر الحياة؟ ألا فليبك المحجوبون على أنفسهم بدلاً من أن يصبوا أحقادهم على المتنعمين بشهود الجمال القدسي. فالذين رفعت لهم أعلام الولاية لن يضيرهم عداة أهل الظلمة والغواية.

ولنتقل إلى جانب الكرامات عند قطب الأقطاب العارف المعرف سيدي السري السقطي. ولن نضع في حسابنا الذين ينكرون على الأولياء كراماتهم مع ورودها في صحيح الكتاب والسنة... يروي صاحب الحلية بسنده عن علي بن عبد الحميد الغضائري يقول: سمعت سرياً السقطي ودققت عليه الباب. فقام إلى عضادتي الباب فسمعتة يقول: "اللهم اشغل من شغلني عنك بك"، فكان من بركة دعائه أنني حججت أربعين سنة من حلب على رجلي ماشياً ذاهباً وجائياً (2).

ومما ذكره الإمام النبهاني في (جامع الكرامات): قال: "وحكى أن السري السقطي لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها. فأبطأت يوماً فقال

(1) انظر الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية للشيخ عبدالحميد الخاني والشيخ يس السنهوتي ط/السعادة، ص43.

(2) انظر الحلية 10/117.

لها السري: لم أبطأت. فقالت: لأن غزلي لم يشتر، وذكروا أنه مخلط، فامتنع السري عن طعامها. ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عجوزاً تكنس بيته وتحمل كل يوم إليه رغيفين فحزنت أخته وشكت إلى أحمد بن حنبل. فقال أحمد بن حنبل للسري فيها فقال: "لما امتنعت عن أكل طعامها قيص الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني" (1).

وقال أحمد بن خلف: دخلت يوماً على السري فرأيت في غرفته كوزاً جديداً مكسوراً. فقال: أردت ماء بارداً في كوز جديد فوضعت على هذا الرواق ونمت. فرأيت في منامي جارية مدنية فقالت: يا سري من يخطب مثلي يبرد الماء "ثم رمته برجلها فاستيقظت من نومي، فإذا هو مطروح مكسور".

قال الجنيد: فرأيت الخرف المكسور لم يمسه ولم يرفعه حتى عفي عليه التراب. وعلمت أن مخالفة النفس وقمع الشهوات واللذات من دواعي الوصول وشواهد المشاهد (2).

ولقد بين العارف السري نظرتة للكرامات بقوله: "من أطاع من فوقه أطاعه من دونه" (3).

كما بين من قبل نظرتة للمحبة الإلهية إذ قال: "لا تكمل محبة بين اثنين حتى يقول كل للآخر يا أنا" (4).

والصوفية لا يعرفون المحبة إلا لله أو في الله؛ لأن قلوبهم ممحضة لله، إنهم عباد ربانيون، اجتمعت قلوبهم في محراب الخصوصية والاصطفاء لتنال من الله وافر العطاء.

(1) انظر: جامع كرامات الأولياء للإمام النهاني 77 / 2 - 89 ط الحلبي (الثانية).

(2) المصدر الأخير.

(3) انظر الكواكب الدرية للإمام المناوي رحمته الله 420 / 1.

(4) انظر الأنوار القدسية للشيخين: الخاني والسنهوتي ص 43.

■ (9/2) الإمام الجنيد رحمته الله *

● (... - 297هـ)

وهو سيد الطائفة الصوفية الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج. أصله من نهاوند. ولد ونشأ بالعراق، وقد تفقه على مذهب أبي ثور من أصحاب الإمام الشافعي رحمته الله، وراوي مذهبه القديم. وكان الجنيد يفتي بحضرته، وهو في العشرين من عمره فذاعت شهرته في مختلف الأوساط العلمية ببغداد⁽¹⁾.

فهو أحد أركان الطريق الصوفي الذين يشار إليهم بالبنان. وهو إمام من أئمة السلوك الذين ارتفعت على أيديهم منارات المعرفة وشربت من منابعهم العذبة أرواح المريدين والسالكين.

ولو ذهبنا نلتمس كلمة أو عبارة نستوحي من خلالها التعرف على مكانة الإمام الجنيد رحمته الله لما وجدنا خيراً من عبارة الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي رضوان الله عليه إذ قال فيه: "هو سيد هذه الطائفة".

ولقد صارت هذه الكلمة اصطلاحاً لدى الصوفية على شخصية العارف الجنيد. بجانب ما قيل فيه من أنه شيخ التصوف على الإطلاق، وإمام أهل الخرقه ومقدم الجماعة وغير ذلك.

أما عن تربيته الصوفية: فقد أخذ الطريق عن خاله السري السقطي، وهو من أئمة رجال التصوف في عصره.

وقد قال عنه الإمام القشيري: "كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد".

فتلقى عنه أصول الطريق كما صحب كلاً من الحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب البغدادي وغيرهما. يقول الإمام المناوي في (طبقاته): إنه صحب من هذه الطائفة أربع طبقات كل طبقة ثلاثون رجلاً وانتهت إليه الرئاسة⁽²⁾.

* انظر أعلام الصوفية لأبي اليزيد المهدي 325.

(1) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص 155. والرسالة القشيرية (المحققة) 1/105.

(2) انظر الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للشيخ الإمام عبد الرؤوف المناوي 1/277.

هذا ويؤرخ لوفاته رحمته الله بسنة سبع أو ثمان وتسعين ومئتين. اهـ⁽¹⁾.

والمتصفح لتاريخ الإمام الجنيد: يقف في كل اتجاه على سر من الأسرار التي توحى بجملتها أن هذا الطراز من الرجال قد أعدته العناية الإلهية ليحمل مشعل الهداية لبني أمته، وليقدم لها ميزان العبودية الصادق الذي تزن به نفسها في إطار علاقتها مع خالقها جل شأنه، وهو يعد منذ صغره لتحمل هذه الأمانة.

انظر إليه وهو يقول: "كنت بين يدي السري العبد وأنا ابن سبع والجماعة يتكلمون في الشكر. فقال: يا غلام ما الشكر؟ قلت أن لا يعصى الله بنعمه. فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، فلا أزال أبكي لهذه الكلمة"⁽²⁾!.

أجل، فقد أحدثت هذه الكلمة من خاله السري في نفسه دويماً هز أركان نفسه، إذ خشي على نفسه أن يكون حظه من التصوف مجرد الكلام فيه وترديد عباراته، وأن يحرم من التحقق بمضمون هذا الكلام، فعمل من ساعته على أن يكون صوفياً بالحقيقة والحال لا باللسان والمقال. وحين تصدق من العبد الإرادة ويصاحبها من الله العون والتوفيق ينال من الخير ما شاء. فهذا هو الإمام الجنيد يقبل على مولاه إقبالاً يفنيه عن نفسه وعن وجوده.

وهو يصور معنى هذا الإقبال ودرجته قائلاً: "لو أقبل صادقاً على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله"⁽³⁾!!

إنه يرى أن لحظة تفوت العبد مع ربه فيها فوات مغنم تؤدي خسارته بكل مكاسب العمر.

أرأيت همة أرقى من هذه الهمة؟ وتعبيراً يصور ما صورته من معان؟.

ولكن التساؤل الآن هو: بم تكون معية المخلوق مع خالقه؟ وما هي الصفات التي تؤهل العبد للإقبال على ربه وترفعه إلى مصاف المقربين؟ وفصل الخطاب في

(1) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص 156 والرسالة القشيرية 105/1 والمصدر الأخير.

(2) انظر الرسالة القشيرية بتحقيق د. عبدالحليم محمود 1/386 وطبقات الشافعية للسبكي 2/266.

(3) انظر الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/378 والرسالة القشيرية 1/107.

ذلك إنما هو اتباع منهاج الشريعة المحمدية اتباعاً كلياً ليس بالأشباح فقط، وإنما بتطويع النفس لطاعة الله وبمكابدة النفس لأنواع المجاهدات درجة فدرجة، حتى يساير هوى النفس مقصود الشارع الحكيم، وحتى تصير الطاعات عادات تألفها النفس وتشوق إليها. وأساس ذلك كله صدق النية في اتباع الشريعة المحمدية اتباعاً مبنياً على علم، فلا وصول إلا من هذا الباب. ولذا يقول الإمام الجنيد "الطرق كلها مسدودة عن الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام واتبع سنته ولزم طريقته"⁽¹⁾.

وبعد أن بين معالم السبيل بصراحة لا لبس فيها، تجده يربط بإحكام بين منبع الطريق الصوفي ومصبه. فالمنبع هو الشريعة المحمدية ممثلة في هدي الكتاب والسنة، والمصب: هو قوله: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة"⁽²⁾.

وهذا التقييد إنما هو من قبيل تقييد النتيجة بالمقدمة. وهو بلا جدال قاطع لأي منافاة بينهما.

ثم تعال لننظر إلى مدى بعد الرؤية عند الإمام الجنيد: لقد أدرك هذا الرجل الذي كان يعيش في القرن الثالث الهجري ورأى ببصيرته التي نورها الله أن ثمة دعاوى سيلفقتها أعداء التصوف ويلصقونها به بعد حين من الزمن. وهي القول بخروج التصوف على الشريعة، ودعوى أن الصوفية يسقطون الأعمال والتكاليف فقطع عليهم الطريق وقطع ألسنتهم.

إذ ذكر أمامه أن شخصاً قال: إن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات أي الأعمال من باب البر والتقرب إلى الله عزوجل. فقال الإمام الجنيد: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم. والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا. فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا فيها. ولو بقيت ألف عام لم انتقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها"⁽³⁾.

(1) انظر: الحلية لأبي نعيم: 257/10، والرسالة القشيرية 1/107.

(2) انظر الرسالة القشيرية.

(3) انظر الرسالة القشيرية.

هذا هو قول سيد الطائفة الصوفية الرجل الذي أقام عشرين سنة وورده من النوافل في كل يوم ثلاث مئة ركعة، وثلاثون ألف تسيحة⁽¹⁾.

إلى جانب مجالسه العلمية التي كانت ببغداد حديث الرائح والغادي والتي كان يؤمها الأدباء لينهلوا من بلاغته وروعة أسلوبه، والفقهاء ليأخذوا من فتاواه واستنباطاته، والفلاسفة لدقة نظره وسمو أفكاره، والمتكلمون لبراعته وتحقيقه، والصوفية لإشارته وحقائقه⁽²⁾.

ثم هو القطب الصوفي الذي كان آية عصره علماً وتحققاً. فأوضح منهاج التصوف وأبرز معالمه وأدابه للسالكين، حيث قال: "التصوف جامع لعشر خصال؛ التقلل من كل شيء في الدنيا مع القدرة عليه، واعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى مع عدم السكون إلى الأسباب، والرغبة في الطاعة بما استطاع منها، والصبر عند فقد الدنيا عن المسألة والشكوى، والتميز في الشبهات والحلال، والاشتغال بالله تعالى عن سواه، ودوام الذكر بالقلب واللسان، وتحقيق الإخلاص مع الصدق، واستواء السريرة والعلانية، ودوام المراقبة لله مع السكون إليه في جميع الأحوال. فإذا اجتمعت هذه الخصال: كان الصوفي في أول مراتب المحبة. ثم يرقى إلى حالة المشاهدة. فيؤخذ منه إليه ويبقى معه في ميدان المحبة والدهشة⁽³⁾".

هذه هي آداب التصوف التي بها يدنو العبد من باب الحضرة الإلهية حيث الأُنس والمشاهدة.

ثم نمضي مع سيد الطائفة لنقتبس من إشارات الصوفية ولمحاته العلوية. إنه يقول: "إن الله يخلص إلى القلوب من بره بحسب ما تخلص إليه القلوب من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟"⁽⁴⁾.

وها هو ذا يندد بالغفلة عن الله قائلاً: "الغفلة عن الله أشد من دخول النار"⁽⁵⁾.

(1) انظر طبقات الشافعية للسبكي 2/ 261.

(2) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: 14/ 67-68.

(3) انظر الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ص 89-90.

(4) انظر: طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمى رحمته الله: ص 157.

(5) انظر المصدر الأخير ص 159.

وفى تصويره لمعنى الشوق والمحبة يقول: بلغني أن يونس عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه، وقام حتى انحني وصلى حتى أقعد، ثم قال: "وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته شوقاً إليك" (1).

ثم يوضح ماهية التصوف قائلاً: "التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى والانصراف عن الدنيا كما قال حارثة: صرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري" (2).

ثم في شرحه لمفهوم العبودية لله تعالى يقول: "إنك لن تكون له على الحقيقة عبداً وشيء مما دونه لك مسترق، وإنك لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقيقة العبودية بقية، فإذا كنت له وحده عبداً كنت مما دونه حراً" (3).

هذه هي حكمة الجنيد في إشراقها وعمق مغزاها.

وأما عن جانب الكرامات والخوارق: فإننا نجتزئ من كثيرها بهذه الكرامة كمثال: فيسوق لنا الإمام الجنيد هذه الواقعة فيقول: "كان السري يقول لي: تكلم على الناس. وكان في قلبي حشمة -أي حياء- من الكلام على الناس، وكنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك حياء. فرأيت النبي ﷺ في المنام ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس. فانتبهت وأتيت باب السري قبل أن أصبح ودققت عليه الباب فقال -قبل أن يسمع منه شيئاً- لم تصدقنا حتى قيل لك ذلك.

فقد الجنيد للناس في الجامع بالغداة. فانتشر في الناس أن الجنيد قد يتكلم على الناس، فوقف عليه غلام نصراني. وقال أيها الشيخ: ما معنى قول الرسول ﷺ: "اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ؟" فأطرق الجنيد رأسه ثم رفعه فقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك! فأسلم الغلام وقطع الزنار" (4).

هذا هو نور البصيرة التي يمنحه الله لمن اجتباه من خلقه وجعله من خواص

(1) انظر الكواكب الدرية للعارف المناوي 384/1.

(2) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم: 278/10.

(3) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ص 158.

(4) انظر جامع الكرامات للإمام النهاني 12-11/2.

عباده، ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: 74/3] وبعد، فهذا هو الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية، الإمام الرباني والعالم اللدني الذي قال: "ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً⁽¹⁾" وقد شهد له أبو العباس بن عطاء قائلاً: "إمامنا في هذا العلم ومرجعنا والمقتدى به الجنيد⁽²⁾"، إنه مقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة وشيخ التصوف الذي كان لا يغفل عن الله طرفه عين ويقول: "الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار⁽³⁾" هذا هو إمام أهل الحقيقة وعلم الأولياء في زمانه الذي كان يناجي مولاه قائلاً: "يا من هو كل يوم في شأن: اجعلني من بعض شأنك"⁽⁴⁾.

وهو الذي تكلم في المحبة وهو شاب بمكة في موسم الحج على كبار المشايخ إذ قالوا له: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال واصفاً من تحقق بالمحبة: "عبد ذاهل عن نفسه، متصل بربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، قد أحرق قلبه الأنوار الإلهية، وصفا شربه من كأس ورده، وانكشف له الحق من أستار عينه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فممن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ومع الله"، فبكى المشايخ. وقالوا: ما على هذا من مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين!! إنه الرجل الذي اكتملت فيه ولاية الله تعالى وفاضت من ينبوع معرفته لطائف الحكم لترتوي بها أرواح العارفين، وهو الإمام الذي ضرب بعلمه وماله وسلوكه أروع المثل. وقدم من جوهر صوفيته وتحقيقه أنصع البراهين وأقوى الحجج على أن التصوف يمثل أعلى قمة في الإسلام يظل لواؤها مرفوعاً بصفوة عباد الله. فسلام عليه في الخالدين.

وسلام عليه مع النبيين والصديقين بمدده وبركته دنيا وآخرة. اللهم آمين.

(1) انظر: سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي: 67/14.

(2) انظر: نفحات الأنس للعارف أبي عبدالرحمن الجامي ط/دار التراث العربي، ص 257.

(3) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله تعالى عنه: 72/1.

(4) انظر الحلية لأبي تميم: 270/10.

■ (10/2) الإمام أبو بكر الشبلي*

● (247هـ - 334هـ)

هو تاج الصوفية الإمام أبو بكر بن جحدر الشبلي، وذهب آخرون إلى أن اسمه جعفر بن يونس.

وقد روى السلمي هذه التسمية الأخيرة في طبقاته عن أحد معاصريه. ورأى ذلك مكتوباً على قبر الإمام الشبلي ببغداد⁽¹⁾.

وأياً كان: فالكل متفق على الكنية واللقب اللذين اشتهر بهما سيدي أبو بكر الشبلي.

وقد ولد رحمته الله ببغداد⁽²⁾ سنة 247هـ ولحق بربه سنة 334 عن سبع وثمانين سنة. وهو خراساني الأصل.

وقد نشأ في بغداد وكان والده حاجب الحجاب للخليفة الموفق.

فتربى الشبلي في ظلال النعمة والمكرمة آخذاً بنصيبه من الدين والدنيا.

حيث تفقه على مذهب الإمام مالك واشتغل بعلم الحديث وروى منه الكثير.

ومع روايته للحديث واشتغاله بالعلم فقد ترقى في مناصب الدولة حتى صار والياً بنهاوند والبصرة، وأصبح مقرباً من الخليفة واتسع مجده وشهرته. ولكن المقادير كانت تدخر له من العناية ما لم يدر بخلده، فكان بدء عهده بطريق القوم حينما هيأت له الأقدار أن يحضر إلى مجلس الصوفي العارف سيدي خير النساج رحمته الله، فاستمع إلى حديثه في علوم القوم ورأى ما أبداه الشيخ من عجائب أحواله وخوارقه. وأحس الشبلي بوقع كلمات الشيخ في أعماق نفسه ووجدانه

* انظر أعلام الصوفية لأبي اليزيد المهدي 370، طبقات الشعراني (204) 148.

(1) انظر: طبقات سيدنا السلمي ص/337.

(2) ذكر الإمام القشيري في رسالته (1/148) في ترجمة الإمام الشبلي أنه بغدادى المولد والمنشأ. وأن أصله من أسروشنة، وهي مدينة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وجيحون. بينما ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء: 15/367) أن أصله من (الشبليّة) وهي قرية من قرى (أسروشنة) وراء سمرقند. وأن مولده بسامراء.

تكشف له عن مدى تفریطه في حق مولاه وإعراضه عن طاعة سيده، فانهمرت دموع ندمه وتوبته وقام من مجلس الشيخ، وقد تفجرت في أعماقه ذرات الخشية والإنابة.

وعزم على المضي في طريق مولاه فترك مركزه ورمى بجاهه وشهرته، حتى ذهب إلى مقاطعة (نهاوند) التي أقطعه إياها الخليفة. وقال لأهلها: كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل.

وبدأ التحول الخطير في حياة العارف الشبلي. لقد صار يحس بتيار جارف من التعلق بالله يهز أركان نفسه، وماذا يساوي ملك الدنيا بأسرها بجانب نعيم لحظة يتصل فيها العبد بخالقه؟ أليس منه البدء وإليه المنتهى "فإلى متى الفرار من الله ومتى الفرار إليه؟" وأسرع الشبلي للقاء الإمام الجنيد سيد الطائفة الصوفية ليتلقى عنه أصول الطريق الصوفي ولينخرط في سلك أكرم طائفة. إنها طائفة الربانيين من عباد الله.

وعلى أهبة الاستعداد من محيط إمدادات القوم جرى بينه وبين الإمام الجنيد هذا الحوار الحافل بدرر المعاني. وهو كما يذكره صاحب كتاب (التبر المسبوك): أن الشبلي قال للجنيد: (لقد حدثوني عنك أن عندك جوهرة العلم الرباني الذي لا يضل صاحبه ولا يشقى، فإما أن تمنح وإما أن تبيع. فقال الجنيد: لا أستطيع أن أبيعها لك فما عندك ثمنها، وإن منحتها لك أخذتها رخيصة فلا تعرف قدرها، ولكن وقد رزقت هذا العزم فهو علامة الإذن ويشير التوفيق.

فألق بنفسك غير هائب في عباب هذا المحيط مثلما فعلت أنا، ولعلك إن صبرت وصاحبك التوفيق أن تظفر بها". واعلم أن طريقنا طريق المجاهدين الآخذين بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ [العنكبوت: 29/69] فاجعل هذه الآية نصب عينيك، فهي معراجك إلى ما تريد⁽¹⁾.

ووضع الإمام الشبلي قدمه على أول الطريق حيث تلقى نسبه الصوفية عن الإمام الجنيد عن سيدي السري السقطي عن سيدي معروف الكرخي الذي نهل من نبع آل البيت، حيث أخذ عن سيدي علي الرضا عليه السلام، من جهة كما أخذ عن سيدي داوود الطائي عن التابعين من جهة أخرى.

(1) انظر: من أعلام التصوف الإسلامي للشيخ طه الباقي سرور 1/133.

وكان الارتباط بين سيدي أبي بكر الشبلي وسيدي أبي القاسم الجنيد عليهما السلام يفوق في مدلوله حد التصور. إنها صحبة الولاية في طريق الحق عز وجل، وإنها خلة الروح على صراط المحبة. ولقد كان كل منهما كبيراً في عين الآخر شامخاً في منزلته شاهقاً في رفعتة.

ولقد بلغ من تقدير الإمام الجنيد لمكانة العارف الشبلي بين أقطاب الصوفية أنه قال " لكل قوم تاج وتاج قومنا الشبلي " ⁽¹⁾.

إنها كلمة حق من سيد الطائفة والإمام الشبلي خليق بها وأهل لها، لأننا حينما نقلب صفحات الجهاد الروحي ونستطلع الجانب العلمي عند العارف الشبلي سنجد ولا شك سطوراً من نور تشير إلى سمو هذه الشخصية وعظم منزلتها من الناحية العلمية، وقد أشرنا إليها لما كنا بصدد الحديث عن نشأته كما يروي صاحب كتاب تاريخ بغداد بسنده عن الشبلي أنه قال: " كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقهاء عشرين سنة " ⁽²⁾.

ويرى صاحب الرسالة القشيرية أن فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقتة بجانب حلقة الشبلي في جامع المنصور. وكان يقال لذلك الفقيه (أبو عمران) وكانت تعطل عليهم حلقاتهم لكلام الشبلي، فسأل أصحاب أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة في الحيض وقصدوا إخجاله فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها.

فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي وقال: يا أبا بكر: استفدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعهما. وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل ⁽³⁾.

وكان للشبلي لسان عال في الطريق ومحجة قوية في الشريعة يشهد بهما كل من تصدى لجداله من الفقهاء. فقد كان ابن بشار ينهى الناس عن الاجتماع للشبلي والاستماع لكلامه، فجاء ابن بشار يوماً ممتحناً فقال له: كم في خمس من الإبل: فسكت الشبلي فأكثر عليه ابن بشار فقال له الشبلي: " في واجب الشرع شاة

(1) المصدر السابق.

(2) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 15/368-369.

(3) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 15/368-369.

وفيما يلزم أمثالنا كلها. فقال له ابن بشار: هل لك في ذلك إمام؟ قال نعم. قال: من؟ قال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث أخرج ماله. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلفت لعيالك؟ قال: الله ورسوله".

فرجع ابن بشار ولم يته بعد ذلك أحداً عن الاجتماع بالشبلي⁽¹⁾.

لقد كان وراء علم الشبلي بالشرع علم آخر أخذه عن الله إلهاماً. وكان يقول عن علم القوم: "ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة!!" فالعلم المكتسب لا يقاس بعلم أهل الله، وشتان بين علم أخذ عن الخالق وعلم أخذ عن المخلوق.

وهذه صفحة أخرى من جهاد الشيخ في عبادته وعلمه: لقد دخل عليه أبو بكر بن مجاهد فحادثه فسأله عن حاله فقال: "ترجو الخير تختم في كل يوم ختمتين أو ثلاثاً؟" فقال له الشبلي: "أيها الشيخ قد ختمت في تلك الزاوية ثلاث عشرة ألف ختمة. إن كان فيها شيء فقد وهبته لك، وإنني لفي درسه منذ ثلاث وأربعين سنة ما انتهيت إلى ربع القرآن".

لقد قصد الشبلي بتلاوة القرآن الكريم وجه الله، أما الثواب فقد وهبه لمن يبتغيه. لقد كان حسبه أن يناجي مولاه بكلامه ثلاثة عشر ألف ختمة، ولم يرد ثمناً لهذه المناجاة لأنها خالصة لله. فأى نوع هذا من الإخلاص؟ إنه إخلاص الحب لذات الله بعيداً عن منطق الثواب والعقاب⁽²⁾.

ثم لننظر على جانب آخر من جوانب الجهاد الروحي عند الإمام الشبلي، حيث نرى جهاد النفس في طاعة الله. وحيث نشرف على مقام المحبة عند هذا الولي:

إن الشبلي منذ عرف طريق القوم قد قطع على نفسه عهداً بالتجرد لمولاه. فالحب الذي غمر قلبه لله يأبى أدنى مشاركة. فاختم لنفسه طريق الجهاد الأكبر ضد نفسه وهواه، وبلغ به الحد في مجاهدته نفسه أنه كان يكتحل بالملح حتى لا ينام ويعتاد السهر. وحينما لامه أصحابه في قلة النوم قال لهم: "سمعت الحق يقول

(1) انظر اللمع للإمام الطوسي ص 210 وفيه (ابن شيان) بدلاً من (ابن بشار)، وانظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله عنه 1/ 90.

(2) انظر اللمع للطوسي: ص 241.

لي: من نام غفل ومن غفل حجب. وكان هذا سبب اكتحالي بالملح حتى لا أنام" (1).

لقد كان بيت الليل ساهراً يقطع أنفاس السحر في قيامه لربه، ويسكب في دياجي الليل أنات الخشية والإنابة. إنه الحب الإلهي الذي لا يقاس به حب في الوجود.

وإذا كان عشق المخلوق قد أفضى بقيس بن عامر إلى الجنون بليلاه فكيف بعشق الخالق؟.

والمحبة الإلهية لها وصف لا يعرفه وهج إن استقرت في الحواس قتلت، وإن سكنت في النفوس أسكرت، فهي سكر في الظاهر ومحبة في الباطن (2).

ومرة أخرى يقول: "المحبة بحار بلا شاطئ، وليل بلا آخر، وهم بلا فرح، وعله بلا طبيب، وبلاء بلا صبر، ويأس بلا رجاء"، إنها قمة المحبة التي تفني المحب وتأخذه عن نفسه لمحجوبه. وإن الولي لا يصل إلا بإشراق شمسها في قلبه، فهي دليله ومنهاجه لذا يقول الشبلي: "صراط الأولياء المحبة" (3) ولكثرة ما بدا على الشبلي من لوائح هذه المحبة مع أنه كان على بسطة في الجسم فقد قال له أحد أصحابه يا أبا بكر: نراك جسيماً بديناً والمحبة تضني؟ فأنشد قائلاً:

أحب قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن (4).

وللإمام الشبلي معراج في الحقيقة يسمو إلى مراق يضيق عنها حد العبارة. ولقد عبر عن تلك المراقي السامية في مقام يسميه الصوفية مقام الاستطالة. حيث يؤذن للولي أن يتحدث بما أنعم الله به عليه. فلقد سئل مرة من أنت؟ فقال: "النقطة التي تحت الباء" (5).

(1) انظر: الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 554 والطبقات الكبرى للإمام الشعراني 1/ 90.

(2) انظر: الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 557.

(3) انظر الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 559.

(4) انظر الحلية لأبي نعيم: 10/ 270-271. وطبقات الصوفية للسلمي: ص 342.

(5) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني: 1/ 89.

وهذه العبارة رمز لفنائه في حقيقة الحقائق التي قامت بها العوالم كلها. ولقد حدث أن العارف الحلاج، وهو من أقرب أصحاب الشبلي وأحبهم إليه، قد صرح في هذا المقام بما لا تطيقه عقول العامة وأشباههم. فكان من أمره ما كان. وإذا قال العارف الشبلي: "كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت".

ولقد تحدث الشبلي عن مفهوم التصوف والصوفية فأعطى لهذا المفهوم روحاً جديدة من نفس مترعة في الحب والتحقق. فهو يعرف التصوف قائلاً: "هو العصمة عن رؤية الأكوان"؛ أي عن الرؤية القلبية التي يحتجب فيها الإنسان بالكون عن المكون ثم يقول عن الصوفي: الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41/20]، قطعه عن كل غير ثم قال له: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: 143/7]⁽¹⁾.

وقيل له: لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟ فقال: لبقية بقيت عليهم، ولولا ذلك ما تعلق بهم تسمية. ومرمى عبارته: أن الصوفي حيث ينقطع عن نفسه لمولاه لا يتم له هذا الانقطاع تماماً إذ يتبقى له جزء من إنيته وحقيقته. وهذا الجزء هو متعلق التسمية ولولاه لكان عدماً محضاً، والعدم لا تلحقه التسمية.

أما عن المنهج الذي سار عليه الإمام الشبلي في تربية المريدين فهو ينحصر في التعلق التام والدائم بالله تعالى. فإن صفاء القلب يتعكر بأدنى شاغل عن الله.

ومن صور تطبيق هذا المنهج ما ذكره الإمام الشعراني من أن العارف الشبلي كان يقول لتلميذه الحصري، وهو في بداية أمره بالطريق: "إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة الثانية غير الله فحرام عليك أن تحضرني"⁽²⁾.

إنها تربية الرجال لولاية الله. فتفريغ القلب من الدنيا هو أول خطوة على طريق الوصول.

يقول الشبلي: "أنا الملك أين الملوك؟ إن الله لم يحتجب عن خلقه،

(1) انظر: جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم لسيد أحمد ضياء الدين الطمشخانوى ص 187.

(2) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضى الله تعالى عنه: 90/1.

إنما الخلق احتجوا عنه بحب الدنيا" (1). وهو يسأل من ركن بقلبه إلى الدنيا قائلاً: "كيف يصح لك شيء من التوحيد، وكلما ملكت شيئاً من الدنيا ملكك، وكلما أبصرت شيئاً صرت أسيره؟" (2).

إذن فمفهوم الزهد عند الشبلي إنما هو تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء، وعندئذ لا يضير الصوفي أن يملك الدنيا بأسرها لأن قلبه ملك لله وحده.

ومن أطرف ما يروى عن الشبلي ما يصور نظرية الدنيا أنه كان عنده جماعة من الفقراء فأصابتهم فاقة وشدة. فكتب إلى وزير الخليفة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: وجه لنا شيئاً من دنياك. فكتب إليه الوزير على ظهر الرقعة: يا شبلي سل دنياك من مولاك، فكتب إليه الشبلي "إنما الدنيا شيء دني، ولا يسأل الدني إلا من الدني" فوجه إليه الوزير عشرة آلاف درهم.

إن الشبلي لم يكن مقصده في هذه الواقعة طلب الدنيا لنفسه، وإنما هو طلب حق الفقراء في مال الأمة. أما هو فما له وللدنيا، إنه عاكف في حضرة مولاه يناجيه ويتقرب إليه، ويقول: "إلهي إن هربت منك طلبتني وإن قصدت أتعبتني، فليس لي معك راحة ولا مع غيرك أنس. فالمستغاث منك إليك" (3).

وقال له الإمام الجنيد يوماً: "لو رددت أمرك على الله لاسترحت"، فقال له الشبلي: "يا أبا القاسم لو رد الله إليك أمرك لاسترحت". إنه العارف المستغرق مع ربه. وهو القائل: "سهو طرفة عين لأهل المعرفة شرك بالله".

عارف يتحدث عن نفسه وعن حاله مع الله. وسئل متى يكون العارف بمشهد من الحق؟ فقال: "إذا بدا الشاهد وفني الشواهد، وذهب الحواس وضمحل الإحساس".

(1) انظر الحلية لأبي نعيم: 370/10.

(2) انظر طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي: ص 347.

(3) انظر: الكواكب الدرية للمناوي 559/1.

وقال في حقيقة الذكر: ليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور وأنشد قائلاً:
 ذكرتك لا أني نسيتهك لمحمة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
 وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام عليّ القلب بالخفقان
 فلما أراني الوجد أنك حاضري شهدتك موجوداً بكل مكان
 فخطبت موجوداً بغير تكلم ولا حظت معلوماً بغير عيان
 (وبعد):

فماذا نقول عن إمام في المعرفة، ارتفعت فوق قمة المحبة الإلهية أعلامه،
 وسرت عبر آمام الدهر أقباس أنواره لتوقد مصابيح القلوب وتحذو ركب السائرين
 إلى نهاية المطاف.

فمهما يخط القلم فلن يجف النبع ولن تتناول الأعين لكي تحدق في عين
 الشمس لتحيط بجوهرها. وإنما هو شعاع من الضوء اقتبسناه لتطلع إلى أفق مليء
 بالنور. فرضي الله عن الإمام الشبلي في الخالدين، وجمعنا به في مقعد صدق عند
 ملك مقتدر.

■ (11 / 2) العارف عبد الواحد أبو الفضل الحنبلي*

● (341هـ - 410هـ)

هو العارف عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الفضل التميمي
 الفقيه الحنبلي، أخذ عن الإمام الشبلي، وذكر الحافظ السخاوي في كتابه الخواص
 المكللة في الأخبار المسلسلة، أنه أخذ عن أبيه عبد العزيز بن الحارث التميمي،
 عن الإمام الشبلي رضي الله عنهم أجمعين.

حدث عن أحمد بن سلمان الأنجاد، وعبد الله بن إسحاق بن كوثر البر بهاري،
 وأبي بكر بن الجعابي، ويحيى بن إسماعيل المزكي، وأبي بكر الجوزقي
 النيسابوري.

* انظر فتوح الغيب لمحيي الدين عبد القادر الجيلاني، جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

ولد ﷺ في سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة. وقال أبو الفتح محمد بن أحمد المصري: ولد أبو الفضل التميمي في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة. ومات أبو الفضل في غداة يوم الاثنين من شهر ذي الحجة من سنة عشر وأربع مئة، ودفن في ذلك اليوم في مقبرة باب حرب إلى جنب قبر الإمام أحمد بن حنبل. وجاءت الأخبار أنه صلى عليه نحو خمسين ألف رجل. فرحمه الله ورضي عنه وألحقنا به صالحين لا مبدلين ولا مغيرين آمين.

■ (12/2) القطب أبو الفرج الطرسوسي*

● (القرن الخامس)

هو القطب عبد الرحمن أبو الفرج بن عبد الله الطرسوسي نسبة الى بلدة طرسوس في بلاد الترك، ذكره سيدي عبد القادر الجيلاني في نسبه الروحاني في كتاب (فتوح الغيب) لسيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني، وذكر أيضاً في جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

■ (13/2) الإمام أبو الحسن القرشي الهكاري*

● (409هـ - 486هـ)**

هو الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن عرفة القرشي الهكاري، ذكره سيدي عبد القادر الجيلاني في نسبه الروحاني في كتابه (فتوح الغيب). كان كثير الخير والعبادة، طاف البلاد واجتمع بالعلماء والمشائخ وأخذ عنهم الحديث وأقبل الناس عليه واعتقدوه، وخرج من أولاده وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك. وأما نسبه فهي إلى الهكارة؛ وهي طائفة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل.

* انظر فتوح الغيب لمحيي الدين عبد القادر الجيلاني، جامع كرامات الأولياء للنبهاني.

** انظر طبقات الأولياء لابن الملتن رقم 151 ص 302.

■ (14/2) القاضي أبو سعيد المبارك*

● (... - 513هـ)

هو أبو سعيد المبارك المخزومي العجمي، شيخ العارف عبدالقادر الكيلاني رحمته الله. كان من أكابر العارفين والأولياء الزاهدين، ذا مقامات عليّة وأحوال بهية سنية.

حكى عنه الكيلاني رحمته الله أنه قال: أقمّت أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب، فجاءني بعد الأربعين رجل بطعام وشراب ووضع بين يدي ومضى وتركني. فاشتاقت نفسي إلى الطعام من شدة الجوع، فقلت: والله لا حلت عما عاهدت الله عليه ألا آكل ولا أشرب حتى أطعم وأسقى. فسمعت صارخاً من بطني ينادي: الجوع الجوع. فقلت: والله لا حلت عما عاهدت الله عليه، ولم ألتفت إليه. فقدم علي الشيخ أبو سعيد المخزومي وقال: يا عبد القادر، ما هذا الصارخ؟ فقلت: هو قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها. فقال: تعال إلى باب الأزج⁽¹⁾ ومضى وتركني على حالي، وقال لي: قم، وانطلق إلى أبي سعيد. فجئته، فإذا هو واقف على باب داره ينتظرني. وقال: يا عبد القادر ألم أبلغك قولي لك تعال إلي حتى أمرك الخضر عليه السلام بما أمرتك به؟! ثم أدخلني داره، فوجدت طعاماً مهياً، فجلس يلقمني حتى شبع، ثم ألبسني الخرقه بيده، ولازمته حتى انتفعت وسلكت على يديه.

* طبقات الحنابلة: 258/2. المنتظم: 215/9. العبر: 31/4. سير أعلام النبلاء: 428/19. مرآة الزمان: 54/8. البداية والنهاية: 185/12. ذيل طبقات الحنابلة: 199/1. قلائد الجواهر: 4. شذرات الذهب: 40/4. وهو المبارك بن علي بن الحسين المخزومي - نسبة إلى المخرم محلة ببغداد - البغدادي. أبو سعيد وفي الأصل: المخزومي. والمثبت من مصادر ترجمته.

(1) باب الأزج: محلة في الجانب الشرقي من بغداد. انظر دليل خارطة بغداد صفحة 3،

■ (15/2) القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني*

● (470هـ - 561هـ)

فهو الإمام محيي الدين أبو صالح سيدي عبد القادر بن موسى بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن مولانا الإمام الحسن سبط الرسول ﷺ.

وأما والدته: فهي السيدة فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعي الحسني الزاهد الذي ينتهي نسبه إلى مولانا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا به في الدارين.

ولقد ولد سيدي عبد القادر سنة سبعين وأربع مئة⁽¹⁾ هـ. بجبل التي إليها نسبته، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، يقال لها أيضاً جيلان وكيلان، كما ذكر صاحب شذرات الذهب⁽²⁾.

وروى صاحب جامع الأصول مثل ذلك عن أبي الفضل أحمد بن صالح الحنبلي، وأضاف إليه أن سيدي عبد القادر دخل بغداد سنة ثمان وثمانين وأربع مئة وله ثماني عشرة سنة. وقد عاش القطب الجيلاني إحدى وتسعين سنة حيث توفي ودفن ببغداد سنة إحدى وستين وخمس مئة هـ.

ولقد بدأت حياة القطب الجيلاني تشع بالنور منذ فجر ميلاده، وتعلن للدنيا قدوم ولي وإمام ستدعن له رقاب الأولياء. وسيغمر نوره الأرجاء. فيروي الإمام الشعراني رحمته الله في طبقاته فاتحة الكرامات قائلاً: "وحكي عن أمه رحمها الله، وكان لها قدم في الطريق أنها قالت لما وضعت: ولدي عبد القادر كان لا يرضع

* انظر أعلام الصوفية لأبي اليزيد المهدي 399، طبقات الشعراني 1/108.

(1) انظر النسب الشريف لسيدي عبد القادر - أباً وأماً - في: (قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر) للعلامة محمد بن يحيى التاذفي الحلبي: ص/3 وقد ذكر فيه أن والدته حملت به وهي بنت ستين سنة (!!) وقد قيل: لا تحمل لستين سنة إلا قرشية. ولا تحمل لخمسين إلا عربية.

(2) ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة سيدي عبد القادر من (سير أعلام النبلاء: 20/439) أن مولده بجيلان إحدى وسبعين وأربع مئة. والتاريخ المذكور أعلاه في قلائد الجواهر ص/3 حيث ذكر أنه قدم بغداد سنة 488هـ وعمره ثماني عشرة سنة.

ثدية في نهار رمضان. ولقد غم على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم له ثدياً. ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان. اشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان⁽¹⁾. لقد احتضنت العناية سيدي عبد القادر فنزل من بطن أمه صائماً عن الدنيا.

وبدأ موكب النور وهللت البشائر بمقدم قطب الزمان، ومنذ الوهلة الأولى أخذت حياة سيدي عبد القادر مسارها النوراني الاصطفائي، فقد كانت العناية تعده لأداء أسمى رسالة، وهي حمل لواء الولاية ومشعل الهداية ليقود ركب السالكين وليؤم صفوف الواصلين، وكانت البداية بالتفقه في الدين والنهل من محيط المعرفة.

فأقبل سيدي عبدالقادر على شتى العلوم والمعارف يقتات منها ويسبر أغوارها بذكائه الخارق ودأبه المتواصل، وسرعان ما اكتملت له موسوعة المعرفة والتبحر في علوم الشريعة خاصة بصورة أذهلت عقول أقرانه، فطارت شهرته في مختلف الأرجاء، وشدت إليه الرحال في بغداد تستقي من فيوضاته العلمية النادرة.

وعن تلك الصورة العلمية عند الإمام عبد القادر يحدثنا الإمام الشعراني في (طبقاته) فيقول: "وكان رحمته الله يتكلم في ثلاثة عشر علماً، وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درساً من التفسير ودرساً من الحديث ودرساً من المذهب ودرساً من الخلاف والأصول والنحو. وكان رحمته الله يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتي على مذهبي الإمام الشافعي والإمام أحمد رحمتهما الله، وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب، فيقولون: سبحان من أنعم عليه.

وهكذا أخذ الإمام عبد القادر طريقه في العلوم نحو القمة حتى تربع وصار نسيجاً وحده.

ولقد روى صاحب نور الأبصار عن ابن الحاج أنه قال إن الشيخ أبا الفرج بن الجوزي حضر يوماً مجلس سيدي عبد القادر، ففسر الشيخ عبد القادر آية وذكر فيها

(1) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله تعالى عنه 108/1.

وجوهاً، وإلى جانب الشيخ أبي الفرج من يسأله: أتعرف هذا القول؟ فيقول: نعم، إلى أن بلغ أحد عشر يعرفها أبو الفرج.

ثم زاد الشيخ حتى انتهى إلى أربعين وجهاً وعزا كل وجه إلى قائله.

فاشدد تعجب أبي الفرج من كثرة علم الشيخ. ثم قال: نترك المقال ونرجع للأحوال، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، ومزق أبو الفرج ثوبه.

ومن هنا تتحدد معالم الجانب السلوكي عند سيدي عبدالقادر، الذي حرص بكل وجدانه على اقتحام عقبات الطريق والمضي نحو غاية وهب لها حياته. إنها الوصول إلى الله.

فكان الجانب السلوكي عند العارف الجيلاني في بدايته حافلاً بالمجاهدات. وأي مجاهدات!!

يروى الإمام الشعراني رحمته الله أن سيدي عبدالقادر كان يقول: "قاسيت الأهوال في بدايتي فما تركت هولاً إلا ركبته، وكان لباسي جبة صوف، وعلى رأسي خريقة، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر.

ولم أزل آخذ نفسي بالمجاهدات حتى طرقتني من الله تعالى الحال. فإذا طرقتني صرخت وهمت على وجهي سواء كنت في صحراء أو بين الناس. وكنت أتظاهر بالتخارس والجنون، وحملت إلى بيمارستان، وطرقتني مرة الأحوال حتى مت وجاؤوا بالكفن والغاسل، وجعلوني على المغتسل ليغسلوني ثم سري عني وقمت!!

إنها فترة حافلة الانصهار في بوتقة الجهاد لتصفية الجوهر من التراب والأوشاب. لقد سلك سيدي عبدالقادر طريقاً شاقاً مليئاً بالعقبات، وتحمل فيه ما لا يحتمل، لأنه أقرب الطرق إلى الوصول. يقول رحمته الله: "أقمت في صحراء العراق وخرائبه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفونني، يأتيني طوائف من رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عزوجل. ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي العراق وما كنت عرفته، وشرط لي ألا أخالفه.

وقال لي: اقعد هنا فجلست في الموضع الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني كل سنة مرة ويقول لي: مكانك حتى آتيك..⁽¹⁾

وواصل الإمام عبدالقادر طريقه إلى الله بقلب ملاءه الحب والشوق والخشية والإجلال. ومع كل خطوة تزداد الإشراقات سطوعاً واتساعاً، ويزداد القلب عكوفاً بباب المولى عز وجل في محراب العبودية الخالصة، وتمتزج نبضات القلب بتسييحات صاعدة إلى السماء، والروح سابحة في خضم من الأنوار تحث الخطا سيراً إلى مولاها.

إنها حياة الساجدين لربهم على بساط القرب يعبدونه عبادة الأحرار، لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار.

ولقد كانت عبادات العارف الجيلاني لها نهجها السامي وطابعها المتفرد الذي لا ترقى إليه الهمم ولا تتناول إليه العزائم. يقول الشيخ أبو الفتح الهروي: (خدمت الشيخ عبدالقادر رحمته الله أربعين سنة. فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء. وكان كلما أحدث جدد في وقته ووضوءه ثم يصلي ركعتين، وكان يصلي العشاء ويدخل خلوته، ولا يمكن أحداً أن يدخلها معه، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر.

قال الهروي: وبث عنده ليلة فرأيته يصلي أول الليل يسيراً ثم يذكر الله تعالى إلى أن يمضي الثلث الأول. يقول: "المحيط الرب الشهيد الحسيب الفعال الخلاق الخالق البارئ المصور، فتتضاءل جثته مرة وتعظم أخرى، ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن بصري مرة. ثم يصلي قائماً على قدميه يتلو القرآن إلى أن يذهب الثلث الثاني. وكان يطيل سجوده جداً ثم يجلس متوجهاً مشاهداً مراقباً إلى قريب طلوع الفجر، ثم يأخذ في الدعاء والابتهاال والتذلل ويغشاه نور يكاد يخطف بالأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر. قال وكنت أسمع عنده: سلام عليكم سلام عليكم وهو يرد السلام إلى أن يخرج لصلاة الفجر"⁽²⁾.

(1) انظر قلائد الجواهر في مناقب عبدالقادر للشيخ محمد بن يحيى التاذفي ص/10. وانظر أيضاً: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني: 1/110.

(2) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضى الله تعالى عنه 1/110.

هذا هو دليل العارفين، وتلك هي حياة الأوابين القانتين، وهذا هو فتح الأبرار المتقين. لقد كان سيدي عبد القادر يهب نفسه وروحه لله في كل نفس ويتضرع فيقول: "يارب: كيف أهدي إليك روحي وقد صح بالبرهان أن الكل لك" (1)!!

ولقد كانت مناهج الإمام الجيلاني في عباداته ومجاهداته متمثلة في هذه الحكمة المضيئة التي أرسلها من ذات نفسه ومن وحي تجربته ليعمل بها أتباعه ومريدوه: "كلما جاهدت النفس في الطاعة حييت، وكلما أكرمتها ولم تهنها في رضاه ماتت". وهذا معنى خبر: "رَجَعْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَضْعَرِّ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ".

ولقد وصل العارف سيدي عبد القادر إلى قمة المنازل التي يطمح إليها العارفون المتحققون والأقطاب الواصلون، فحاز الإمامة الكبرى على الأولياء وانفرد بمقام لا يكون في العصر إلا لواحد، هو جوهرة ذلك العصر ودرته الفريدة. فقد أجمعت الأمة على قطبته وغوثيته وعلى إحلاله المحل الأرفع في الولاية.

كما أنه منفرد عن جميع أولياء عصره بمقام يسمى (مقام الاستطاعة) أو: مقام الاستطاعة.

ولقد وصف القطب العارف سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخاني في كتابه (جامع الأصول) هذا المقام وهو بصدد ذكر أنواع الأولياء والمتصوفين، فقال: "منها واحد يسمى رجل الاستطاعة، ويعطيه الله قدرة كاملة على كل شيء".

فهو ذكي الفؤاد وشجاع ومقدام، وكبير الدعوى بالحق لا بالنفس، ولذا يحكم بالعدل، وله كرامات، وليس خاصاً بالرجال وعلى هذا المقام عبد القادر الجيلاني" (2).

ولقد روت كتب الصوفية من طرق كثيرة عن كبار أئمة التصوف أن سيدي عبد القادر رحمته الله قال في مجلسه ببغداد وهو على الكرسي يتكلم إلى الناس "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله".

(1) المصدر نفسه: 108/1.

(2) انظر جامع الأول في الأولياء وأنواعهم لسيدي أحمد ضياء الدين الكمشخاني، ط/

الحلي: ص 86.

وكان في مجلسه آنذاك عامة مشايخ العراق وروي أنهم كانوا نيفاً وخمسين شيخاً منهم الشيخ أبو النجيب السهروردي والشيخ قضيب البان الموصلية والشيخ أبو السعود العطار وغيرهم. فأجمع أقطاب الصوفية على أنه لم يبق أحد من الأولياء في ذلك الوقت من الحاضرين والغائبين في جميع آفاق الأرض إلا حنا له رقبتة، إلا رجل بأصبهان فإنه لم يفعل فسلب حاله.

ولقد روى ذلك الإمام الياضي في (نشر المحاسن الغالية) ثم أضاف إليه قائلاً: "وكان من جملة من حنا له رقبتة من الغائبين الكبار المشهورين: الشيخ أبو مدين، والشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ أحمد بن أبي الحسين الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين. فأما سيدي أحمد: فرووا عنه أنه كان جالساً يوماً برواقه بأم عبيد فمد عنقه وقال: على رقبتني.

وفي رواية أنه قال: وحميد منهم. فسئل عن ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. وأما الشيخ أبو مدين: فرووا أنه حنا رأسه يوماً، وهو بين أصحابه، وقال: وأنا منهم، اللهم أشهد ملائكتك أنني سمعت وأطعت. فسأله أصحابه عن ذلك فقال: قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فأرخوا ذلك وهم بالمغرب ثم جاء المسافرون من العراق فأخبروا أن الشيخ عبد القادر قال ذلك في ذلك الوقت الذي أرخوه.

أما الشيخ عبد الرحيم فرووا أنه مد عنقه يوماً وقال: "صدق الصادق الصدوق. فقيل له ومن هو؟ فقال الشيخ عبد القادر قد قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. وتواضع له رجال المشرق والمغرب. فأرخوا ذلك الوقت ثم جاء الخبر بذلك في ذلك الوقت" اهـ⁽¹⁾.

ولقد سجل صاحب (نشر المحاسن الغالية) هذه الرؤيا العظيمة لأحد العارفين المعاصرين لسيدي عبدالقادر وهو الشيخ خليفة حيث قال: "رأيت رسول الله ﷺ فقلت: له يا سول الله قد قال الشيخ عبدالقادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فقال: صدق الشيخ عبدالقادر، وكيف لا وهو القطب وأنا أراعاه"⁽²⁾.

(1) انظر: فلاند الجواهر في مناقب عبدالقادر للعارف التاذفي: ص 22-26.

(2) انظر: فلاند الجواهر ص 25.

وليت شعري ماذا يسجل القلم في مضمون قول مولانا المصطفى ﷺ عن سيدي عبد القادر (وأنا أراعاه)؟ إنها التربية المحمدية والوراثة النبوية التي لا يحظى بها إلا صفوة هذه الأمة. ويؤكد ذلك ما روي في (الفيوضات الربانية) من أن العارف شهاب الدين السهروردي، قال: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر يقول على الكرسي بمدرسته: "كل ولي على قدم نبي، وأنا على قدم جدي محمد ﷺ. وما رفع المصطفى ﷺ قدماً إلا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه. إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي" (1).

وإلى جانب أخذ سيدي عبد القادر عن رسول الله ﷺ مباشرة فقد تلقى الخرقة أيضاً عن شيخه العارف: أبي الفضل التميمي عن سيدي أبي بكر الشبلي عن سيد الطائفة الإمام الجنيد عن شيخه السري عن سيدي معروف الكرخي عن سيدي داوود الطائي عن سيدي حبيب العجمي عن الإمام الحسن البصري عن باب مدينة العلم سيدنا ومولانا الإمام علي كرم الله وجهه عن سيد الخلق ورحمة العالمين صلوات الله وسلامه عليه (2).

ولقد أسس الإمام طريقته القادرية العلية على منهاج الكتاب والسنة، وتربى فيها أئمة وأقطاب قادوا الخلق إلى الله تعالى وسرت أنوارهم تضيء ساحات القلوب وتهدى قوافل السائرين.

ولطريقة سيدي عبد القادر معراجها في التحقق ومشرّبها في العرفان والتذوق، لقد أوضح ذلك معاصروه من كبار العارفين.

فيقول الشيخ علي بن الهيتمي: "كان قدمه، أي سيدي عبد القادر، على التفويض والموافقة من التبري من الحول والقوة. وكانت طريقته تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية لا بشيء ولا شيء" (3).

أما الشيخ عدي بن مسافر فيقول: "كان الشيخ عبد القادر ﷺ طريقته الذبول

(1) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية للشيخ إسماعيل القادري ص 85.

(2) انظر: فلاند الجواهر: ص/4.

(3) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله تعالى عنه: 109/1.

تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبة عن رؤية النفع والضرر والقرب والبعد" (1).

وهذا هو الشيخ (بقاء بن بطو) أحد أكابر الصديقين المعاصرين للقبط الجيلاني يقول: "كان طريق الشيخ عبد القادر رحمته الله: اتحاد القول والفعل والنفس والوقت، ومعاينة الإخلاص والتسليم، وموافقة الكتاب والسنة في كل نفس وخطرة ووارد وحال الثبوت مع الله عز وجل" (2).

ثم يقول في رواية أخرى: "كانت قوة الشيخ عبد القادر رحمته الله في طريقه إلى ربه: كقوة جميع أهل الطريق شدة ولزوماً، وكانت طريقته التوحيد صفاً وحكماً وحالاً، وتحقيق الشرع ظاهراً وباطناً، ووصفه: قلب فارغ، وكون غائب، ومشاهدة رب حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسر لا تنازعه الأغيار، وقلب لا تفارقه البقايا رحمته الله" (3).

إنها جوانب الطريق القادري يصفها صفوة ذائقون وأئمة محققون كشفت لهم معالم الطرق الموصلة إلى الله تعالى.

ولقد كان هدي الكتاب والسنة، ونور الشريعة الغراء دليلاً واضحاً أمام القبط الجيلاني لا يغيب عن ناظره طرفة عين فكان في تمسكه بالشريعة مثلاً أعلى يدحض افتراءات أعداء التصوف الحانقين على أهله بدعاويهم المتهافة.

يقول سيدي عبد القادر: "ترأى لي نور عظيم ملاً الأفق، ثم تدلى فيه صورة تناديني: يا عبد القادر: أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات. فقلت إخساً يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان. ثم خاطبني: يا عبد القادر، نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق. فقلت: لله الفضل. فليل لسيدي عبد القادر: كيف علمت أنه شيطان؟ قال بقوله: قد حللت لك المحرمات" (4).

(1) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله تعالى عنه: 1/ 109.

(2) المصدر السابق: / 109 - 110.

(3) المصدر السابق: / 109 - 110.

(4) انظر: المصدر نفسه. وانظر: الكواكب الدرية للعارف الماوي: 1/ 678.

إن سيدي عبدالقادر ممن قال تعالى - لإبليس - في حقهم ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ [الحجر: 42/15].

ولقد كان سيدي عبد القادر يوصي أبناءه ومريديه قائلاً: "اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تتمزقوا وانتظروا ولا تيأسوا، واجتمعوا على الذكر ولا تفرقوا، وتطهروا عن الذنوب ولا تلتطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا" (1).

ولقد كان رضوان الله عليه يقول: "إنما كلامي على رجال من وراء جبل قاف أقدامهم في الهواء وقلوبهم في حضرة القدس تكاد قلوبهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم" (2).

وأما عن كرامات القطب الجيلاني فإنها لا تسعها مجلدات. فلنتبرك بذكر طرف يسير منها: يقول الإمام المناوي في طبقاته عن سيدي عبد القادر: "واجتمع له ببغداد مئة من أكابر الفقهاء وأتوه لامتحانه، فظهرت منه بارقة من نور مرت على صدورهم، فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم فصعد الكرسي وأجاب عن جميع ما عندهم" (3)!! وذكر أيضاً أن الذباب كان لا يصيبه وراثه من جده المصطفى ﷺ (4).

ومنها أنه أتاه بعض الرافضة بقفتين مخيطتين وقالوا: قل لنا ما فيها. فوضع يده على إحدهما وقال: في هذه صبي مقعد، ففتحت فغدا فيها ذلك. فأمسك يده وقال قم فقام يعدو، ثم وضع يده على الأخرى وقال فيها صبي لا عاهة به ففتحت فإذا فيها ذلك فأمسك بناصيته وقال له أقعد فأقعد، فتابوا عن الرفض (5).

إنه إمام الأولياء نديم الحضرة القدسية الذي شرب من دنان المحبة حتى ارتوى فهتف بلسان الاستطالة قائلاً:

(1) انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضي الله تعالى عنه: 110-111.

(2) الكواكب الدرية للعارف المناوي: 681/1.

(3) انظر: الكواكب الدرية للعارف المناوي: 678 - 679.

(4) انظر: الكواكب الدرية للعارف المناوي: 678 - 679.

(5) انظر: جامع كرامات الأولياء للإمام النهاني: 203/2.

على الأوليا ألقيت سري وبرهاني فهاموا به فى سر سري وإعلاني
 فأسكرهم كأسى فهاموا بخمرتي سكارى حيارى من وجودي وعرفاني
 أنا كنت قبل القبل قطباً مبعجلاً تطوف بي الأكوان والرب أسماني
 خرقت جميع الحجب حتى وصلته مقاماً به قد كان جدي له داني
 وقد كشف الأستار عن نور وجهه ومن خمرة التوحيد بالكأس سقاني⁽¹⁾
 رضي الله عنكم وأمدنا بمددكم وغمرنا بفضلكم وجزاكم عن أمة سيدنا
 محمد ﷺ خير الجزاء إنه نعم المجيب.

■ (16/2) سيدي أبو مدين المغربي*

● (510هـ - 590هـ)

هو قطب الأقطاب وشيخ الشيوخ العارف الشهير، والغوث الكبير سيدي
 شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الشهير بأبي مدين المغربي، قدس الله سره
 ورضي عنه وعنا به في ظل جنابه الشريف.

أصله من (إشبيلية) وقد ولد على مقربة من شمالها بحصن (قطنيانة) في العقد
 الثاني من القرن السادس الهجري.

وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ ميلاده ووفاته. فابن عماد في شذرات
 الذهب يؤرخ لوفاته بسنة 590هـ، ويقول: إنه قد قارب الثمانين عمراً. وعلى ذلك
 يكون ميلاده نحو سنة 510هـ⁽²⁾.

ويذكر الإمام المناوي رحمته الله أنه مات سنة نيف وثمانين وخمس مئة على نحو
 ثمانين سنة بتلمسان⁽³⁾.

(1) انظر: القصيدة بكاملها في: الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية للشيخ إسماعيل
 القادري: ص 52 ط/ حلي.

* انظر أعلام الصوفية لأبي يزيد المهدي 427، الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 670.

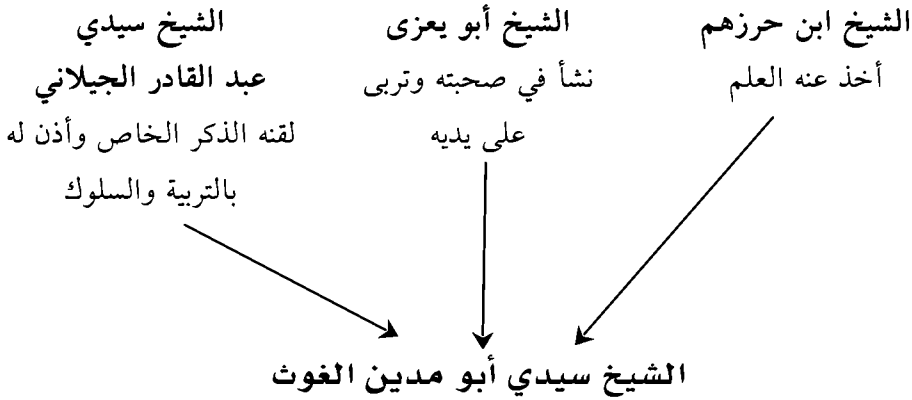
(2) انظر: شذرات الذهب لابن العماد: 4/ 303.

(3) انظر: الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 670.

بينما تقول بعض الروايات الأخرى: إن وفاته كانت سنة 594هـ. وممن قال بهذا الرأي دائرة المعارف الإسلامية والزركلي في الأعلام والأستاذ محمد البهلي النبال في كتابه (الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي).

وحاصل مجموع الآراء أن الإمام أبا مدين عاش فيما بين أوائل العقد الثاني وأوائل العقد العاشر من القرن السادس الهجري.

• سند الإمام أبي مدين:



وقد نشأ سيدي أبو مدين في إشبيلية متدرجاً في مدارج الولاية والفتوح الربانية. وقد أحاطت به منذ البداية عناصر الصقل الروحي الذي وجهه لشكر الله مستجدياً وعنايته ورعايته، فقد شب يتيماً ومن أسرة فقيرة كل ما تملكه من تراث هو العلم والتدين. وكانت هذه هي المكونات الأولى لشخصية سيدي أبي مدين، ومن ورائها كانت تكمن فطرة زكية حبتها العناية باستعداد في المضي في درب الولاية.

ورأى سيدي شعيب منذ البداية أن عليه أن يتكسب من عمل يديه ليتسنى له أن يمضي في طريق لم يخلق إلا له. إنه طريق العلم والولاية.

فعمل بالرعوي وتعلم صناعة النسيج، وشرع في حفظ كتاب الله تعالى والتردد على الشيوخ في إشبيلية. ثم رأى أن يرتحل إلى المغرب فعبر البحر إلى طنجة ثم سبتة فمراكش واستقر به المقام في فاس، معقل العلم والولاية التي خرجت أقطاباً عدة مثل سيدي أحمد البدوي رحمته الله وعنا به آمين.

وهناك وجد ضالته المنشودة حيث كانت مجالس العلماء والفقهاء والزهاد والذاكرين. فأخذ يختلف إليهم بحثاً عما يجد قلبه عنده. وتأتي نقطة التحول الأولى، فيقول سيدي أبو مدين: "فلم أثبت على شيء إلى أن جلست إلى شيخ ثبت كلامه في قلبي. فسألت عنه. فقليل: هو أبو الحسن بن حرزهم".

وهذا هو أول شيوخه في الطريق فلازمه وتلمذ على يديه في علوم الظاهر والباطن. فدرس عليه (السنن) لأبي عيسى الترمذي، و(الرعاية) للإمام الحارث المحاسبي وغير ذلك⁽¹⁾.

وأما شيخه الثاني الذي أخذ عنه الطريق فهو سيدي أبو يعزى المغربي رحمته، يقول عنه الإمام الشعراني رحمته في طبقاته: "انتهت إليه تربية الصادقين بالمغرب وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها. وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون"⁽²⁾.

ويقص سيدي أبو مدين قصة التقائه بشيخه أبي يعزى للمرة الأولى. فيروي الأستاذ النبال في كتابه أنه قال: "سمعت الناس يتكلمون عن كرامات أبي يعزى فذهبت إليه في جماعة لزيارته، فلما وصلنا إلى جبال مرجان دخلنا على أبي يعزى فأقبل الشيخ على قوم دوني. فلما حضر الطعام منعني من الأكل، وهكذا كان يمنعني من الأكل ثلاثة أيام، وقد أجهدني الجوع وفقدت بصري. ومن الغد استدعاني وقال لي: اقترب يا أندلسي، فدنوت منه فمسح بيده على عيني فأبصرت، ومسح على صدري وقال: هذا سيكون له شأن عظيم".

(1) انظر الجانب العلمي عند سيدي أبي مدين في ترجمته في (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) للشيخ محمد بن محمد مخلوف (ط / دار الفكر، ص 164) قال فيه: (.. جمع الله له علم الشريعة والحقيقة. كان من الفضلاء وأعلام العلماء ومن حفاظ الحديث - خصوصاً الترمذي- وكان يقوم عليه. وكانت ترد إليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت..). إلى أن قال: (وتخرج على يديه ألف شيخ منهم محيي الدين محمد بن عربي..). وكذلك ترجم له الزركلي في الأعلام (3/ 166)، وأورد له من مؤلفاته (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب). وأورد له صاحب (المكنون أيضاً) - 1/ 133 كتاب (أنس الوحيد ونزهة المرید في علم التوحيد) وهذا يدفع ما ذكره العلامة المناوي في (الكواكب 1/ 665) أنه كان أمياً).

(2) انظر الطبقات الكبرى لسيدي عبدالوهاب الشعراني رحمته 1/ 116.

وبدأ التحول الحاسم وأخذ الإمام أبو يعزى بناصية سيدي أبي مدين، وقد عرف قيمة جوهره ورأى نورانية فطرته مشعة وضاءة، وشفافية قلبه مشرقة متألقة فأخذ بيده إلى الفتح الأكبر وأعطاه مفتاح الوصول، ودله على طريق السعادة الأبدية، فأمره بالجهد الروحي الدائب الذي يقشع عنه الحجب ويوصله إلى الحقيقة. صيام دائم وقيام لازم، وصمت وعزلة، وجوع وسهر، وذكر وفكر. وسار سيدي أبو مدين على الدرب، درب النور والعناية والفتح والولاية، وأخذت تتفتح له مغاليق الأسرار وصار ينهل من محيط الأنوار. وعثر على حقيقة ذاته حيث ذابت نفسه في مصهر الجهاد، وحين عرف نفسه عرف ربه.

فكلنا يعلم أن الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه الشريفتان، وكان يربط الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع، في حين عرضت عليه الجبال أن تكون ذهباً فأبى، إنها قمة العبودية لله تعالى.

وإنها الأسوة الحسنة في النبي العظيم عليه أفضل صلوات الله وسلامه، لكي تحظى أمته بشرف المتابعة حسبما تتبع طاقات أفرادها على ما بينهم من تفاوت. وكل يعمل على شاكلته.. ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: 132/6].

أما الذين يحتجون على هذا السلوك المثالي المحمدي، ممن ثقلت تربيتهم، فاتهموا التصوف بالانحراف عن هدي الدين القويم: فهم شواذ الفطرة غلف القلوب لم يفهموا روح الإسلام الذي يرقى بالعبد في درجات العبودية حتى المشاهدة.

وكذا كانت ثمرة الجهاد عند سيدي أبي مدين؟ إنها المعرفة، إنها الولاية، إنها العناية الربانية. وانضم سيدي شعيب إلى صفوف الصفوة وذاق طعم شرايبهم، وكما يقول العارف:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشربه

وبعد أن حدث التحول الروحي العظيم لسيدي أبي مدين على يد شيوخه بفاس أزمع الارتحال بإذن شيخه إلى بلاد المشرق، فقصد بيت الله الحرام وروضة المصطفى عليه أتم الصلاة والسلام. وفي مكة كان اللقاء المرتقب مع ثالث شيوخه

القطب الغوث سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس الله سره ورضي عنه وعنا به ، ولبس منه الخرقة الصوفية وتقلد النسبة القادرية.

بيد أن أكثر المصادر إن - لم يكن كلها - يولي الشيخ أبا يعزى أهمية خاصة في تأثيره الروحي فيه وتربيته الصوفية. كان سيدي أبو مدين يشيد به دائماً حتى إنه كان يقول: " رأيت أخبار الصالحين من أويس القرني إلى زماننا هذا، فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى ". وأيضاً فقد تأثر بكتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي حتى لقد كان يقول: " نظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء للغزالي ". وهكذا تكاملت جوانب عدة جعلت من سيدي أبي مدين شخصاً فذاً في عصره فريداً في نوعه. فهو عالم في مختلف الفنون وصار حجة في الإفتاء وإماماً في الفقه المالكي ومحدثاً ثابتاً وأديباً فريداً بل وشاعراً مبدعاً. ومما يؤثر من روائع شعره ما رواه صاحب نفح الطيب من قوله قدس سره:

بكت السحاب فأضحكت لبكائها زهر الرياض وفاضت الأنهار
وقد أقبلت شمس النهار بحلة خضراء فى أسرارها أسرار
وأتى الربيع بخيله وجنوده فتمعنت في حسنه الأبصار
والورد نادى بالورود إلى الجنى فتسابق الأطيوار والأشجار
والناس ترقص والعقار تشعشعت والجو يضحك والحبيب يزار
والعود للغيد الحسان مجاوب والطائر أخفى صوته المزمار
لا تحسبوا الزمر الحرام مرادنا مزمارنا التسبيح والأذكار
وهكذا تلتقي رقة الطبع مع شفاية الروح وتتجاوب الشاعرية مع الصوفية في إيقاع عذب يملك اللب ويمطر القلب بسيل متدفق من النور المذاب.

والله ما أحلى صوت الروح وهو يرفل فى ثياب القريض ليوقظ القلب من غفوته ويصله بخالقه.

وكما شدا سيدي أبو مدين بجمال صنعة البديع جل جلاله ، فقد أرسل نجواه

إلى خالقه تعالى شأنه لائذاً وقاصداً لبابه. وفي هذا المعنى يروي صاحب شذرات الذهب هذه الأبيات من شعره رحمته :

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه أنت الدليل لمن جارت به الحيل
إننا قصدناك والآمال واثقة والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فإن عفوت فذو فضل وذو كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل
وأخذ سيدي أبو مدين يحلق في آفاق النور ويرتقي في مدارج الكمال، ويسمو
في معارج التحقيق ويرتقي في الأحوال والمقامات، حتى وصل إلى علياء منازل
المقربين.

ولو حاولنا التعرف على تلك القمة التي وصلها سيدي أبو مدين في الولاية
لوجدناه متربعاً على أعلى المقامات. يشهد بذلك لسانه في الحقائق وآراء أهل
التحقيق فيه. كما يشهد له منهجه الصوفي الذي تربى عليه وربى عليه صفوة من أكابر
العارفين.

ثم خوارقه التي تواترت عنه وبلغت مبلغاً عظيماً من الشهرة.

ولعل في مقدمة من نتعرف منهم على مقام سيدي أبي مدين أعظم أبنائه في
الطريق وحبیب روحه في الله سيدي محيي الدين بن عربي رحمته وعنا به. فقد كان
يقول عن سيدي أبي مدين "شيخنا أبو مدين رحمته : الغالب على قلبه وبصره مشاهدة
الحق في كل شيء... " ومرة أخرى يقول : "شيخنا أبو مدين من الثماني عشرة نفساً
الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان، هم أهل علانية
وجهر، مثبتون للأسباب، وخرق العوائد عندهم عادة ﴿قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91/6] ⁽¹⁾.

وكان سيدي أبو مدين أكثر ما يردد هذا البيت الذي يجسد مشربه الروحي :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كمال

(1) انظر : الكواكب الدرية للإمام المناوي : 667 / 1.

وكان سيدي أبو مدين لتفرد في علوم الحقائق غريباً في عصره شأن كل عارف. وكان محل إنكار من المتعنتين المحجوبين. ولكنه كان نخبة الله في زمانه، وكانت معية الحق تنسيه كل شيء، ومن ثم كان شعاره: "الله قل وذو الوجود وما حوى". وكان دائم الحضور مع ربه، حتى إنه لشدة تحققه بهذا المقام كان يقول: "نسيان العبد للحق طرفة عين خيانة يستحق بها العقوبة!"

ويروي مولانا الإمام الشعراني رحمته الله أن سيدي أبا مدين كان يقول: "الحضور مع الحق جنة، والغيبة عنه نار، والقرب منه لذة، والبعد عنه حسرة، والأنس به حياة".

ومما يدلنا على مقام الإمام أبي مدين ما رواه سلطان العارفين سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره في (الفتوحات) قائلاً: "ذهبت أنا وبعض الأبدال على جبل قاف فمررنا بالحية المحدقة به، فقال لي البدل: سلم عليها فإنها سترد عليك السلام فسلمنا عليها فردت ثم قالت: من أي البلاد؟ فقلنا من بجاية. فقالت: ما حال أبي مدين مع أهلها؟ فقلنا لها: يرمونه بالزندقة. فقالت: عجباً - والله - لبني آدم! والله ما كنت أظن أن الله عز وجل يوالي عبداً من عبيده فيكرهه أحد. فقلنا لها: ومن أعلمك به؟ فقالت: يا سبحان الله! وهل على الأرض دابة تجهله؟ إنه - والله - ممن اتخذه الله تعالى ولياً، وأنزل محبته في قلوب العباد، فلا يكرهه إلا كافر أو منافق".

وقد علق الإمام الشعراني على هذا في طبقاته قائلاً: "وأجمع المشايخ على تعظيمه وإجلاله وتأدبوا بين يديه. وكان ظريفاً جميلاً متواضعاً زاهداً ورعاً محققاً مشتملاً على كرم الأخلاق رحمته الله".

وأما موضوع محادثة الحية التي بجبل قاف فإنه من قبيل الكرامات التي اختص الله بها أوليائه. والكرامة بنت المعجزة وتشارك معها في خرق العادة. وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كلمه الضب في مجلسه مع أصحابه الأعلام، وكلمه الجمل في واقعة أخرى. إذن فلا يكون خرق العادة مثاراً للطعن في الولاية ممن ملكتهم العادة.

يروى الإمام محيي الدين بن عربي قدس سره في كتابه (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) أن بعض الصالحين رأى سيدي أبا مدين في رؤيا منامية ومعه جمهرة من أعلام أهل الحقيقة. ذكر منهم سيدي أبا حامد الغزالي وسيدي أبا طالب المكي وسيدي أبا يزيد البسطامي قدس الله أسرارهم. هؤلاء الأقطاب يسألون العارف أبا مدين في أمهات مسائل التصوف. فسيدي أبو حامد الغزالي رحمته الله يسأل سيدي أبا مدين عن سر معرفته ومحبته، فيقول له سيدي أبو مدين: "المحبة مركبي، والمعرفة مذهبي والتوحيد وصولي. للمحبة سر لا يكشف، وإدراكات لا يعبر عنها ولا يوصف سرها ومنعها وفي واصلها الجود العلي، فهي للخواص سنة مسنونة دل على ذلك قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54/5] فالمعرفة يا أخي فخري، وهي قاعدة سري وأمري، ثمرتها التوحيد، ومنها وفيها يكون المزيد. فالتوحيد أصل وما سواه فرع، وهو غاية المقامات ونهاية الأحوال، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟".

ويروي الإمام الشعراني رحمته الله وعنا به في (طبقاته) واقعة تتفق مع ما ذكره الشيخ الأكبر في محاضرة الأبرار اتفاقاً لفظياً في معظم فقراتها، وهي إحدى الوقائع المنامية بيد أن مولانا الشعراني لم ينسبها للطرف السائل واكتفى بنسبتها لسيدي أبي مدين. أما السائل فيذكر الشيخ الأكبر أنه الإمام الغزالي أيضاً، وقد آثرنا رواية الإمام الشعراني لأن فيها فقرات غير ما في محاضرة الأبرار. يقول سيدنا الشعراني "وقيل له مرة في المنام: ما حقيقة شرك في توحيدك؟ فقال: سري مستور بأسرار تستمد من البحار الإلهية التي لا ينبغي بثها لغير أهلها. إذ الإشارة تعجز عن وصفها، وأبت الغيرة الإلهية إلا أن تسترها، وهي أسرار محيطة بالوجود لا يدركها إلا من كان وطنه مفقوداً، وكان في عالم الحقيقة بسره موجوداً، يتقلب في الحياة الأبدية وهو بسره طائر في فضاء الملكوت ويسرح في سرادقات الجبروت، وقد تخلق بالأسماء والصفات وفنى عنها بمشاهدة الذات. هناك قراري ووطني وقررة عيني ومسكني، والحق تعالى في غنى عن الكل، قد أظهر في وجودي بدائع قدرته وأقبل على بالحفظ والتوفيق، وكشف لي عن مكنون التحقيق. فحياتي قائمة بالوحدانية وإشاراتي إلى الفردانية، فروحي راسخة في علم الغيب يقول لي ملكي: يا شعيب، كل يوم جديد على العبيد ولدينا مزيد، رحمته الله" (1).

(1) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني رضى الله تعالى عنه 132/1.

ومما يزيدنا تعرفاً على مقام سيدي أبي مدين عليه السلام وعنا به. ما رواه سيدي عبدالوهاب الشعراني قدس سره في طبقاته قائلاً: "قال الشيخ أبو الحجاج الأقسري: سمعت شيخنا عبدالرزاق عليه السلام يقول: لقيت الخضر عليه السلام سنة ثمانين وخمس مئة فسألته عن شيخنا أبي مدين، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، وسره من الإرادة، ذلك أنه آتاه الله تعالى مفتاحاً من السر المصون بحجاب القدس، ما في هذه الساعة أجمع لأسرار المرسلين منه. ثم قال: ومات أبو مدين عليه السلام بعد ذلك بيسير" ⁽¹⁾. هؤلاء - والله - هم الرجال. مصابيح الأمة ومنارات الخلق، طريقهم هو الموصل إلى السعادة العظمى وأي سعادة؟ إنها الوصول إلى الله والمثول في حضرته والأنس به والفناء فيه والبقاء به والإرتواء من بحار محبته، حتى لا يزداد العبد مع كثرة الارتواء إلا ظمأً.

لقد حظي سيدي أبو مدين عليه السلام بكل هذه العطاءات وبلغ ذروة المقامات ونال القطبية العظمى وغوثية الزمان في آخر عمره الحافل بالقرب وبالعروج. ولقد تحدث الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين عن منزل القطب في رسالة له تحمل هذا العنوان. وذكر أن ثمة إمامين يليان القطب في المقام وأعلاهما الإمام الذي عن يمينه. ثم قال "... وفي هذا المقام عاش الشيخ أبو مدين ببجاية إلى قرب موته بساعة أو ساعتين، خلعت عليه خلعة القطبية ونزعت عنه خلعة هذه الإمامة، وصار اسمه عبد الإله، وانتقلت خلعة الإمامة باسم عبدالرب إلى رجل ببغداد اسمه عبدالوهاب. وكان الشيخ أبو مدين قد تناول له بها رجل من بلاد خراسان، مات الشيخ قطباً كبيراً".

ومرة أخرى يصرح سيدي محيي الدين بقطبانية شيخه قبل موته في كتابه (مواقع النجوم) فيقول: "وبلغ لي بعض الروحانية عند اجتماعي به أن شيخنا أبا النجا أعني أبا مدين عليه السلام ما مات حتى كان قطباً قبل موته بساعة أو ساعتين، ولقد أتاني بذلك أبو يزيد البسطامي عليه السلام في رؤيا رأيته، وإني لأعلم وارثه الآن في ذلك المقام الإمامي وأعرفه غاية المعرفة، ولله الحمد على ذلك". لم يلحق الإمام أبو مدين بربه إلا وهو متربع على أعلى مقامات الولاية، ودرجته في الدنيا هي درجته في الآخرة التي يحشر عليها.

هكذا قال أهل التحقيق، أجل: ولم يلحق سيدي أبو مدين بربه إلا وقد ربي سلطان العارفين مفخرة الصوفية وترجمانها الأكبر سيدي محيي الدين رحمته الله وعنا به وعنه تسلسل الأئمة والأقطاب. أيضاً فسيدي أبو مدين هو شيخ سيدي عبد الرازق المدفون بالإسكندرية والذي هو شيخ لسيدي أبي الحجاج الأقصري رحمته الله، وقد كان قطب عصره.

كذلك فإن سيدي أبا مدين هو شيخ لأربعة من شيوخ سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمته الله، وهم: سيدي أبو عبد الله بن حرازم وسيدي أبو سعيد الباجي وسيدي أبو محمد المهدي والرابع هو سيدي محيي الدين بن عربي على ما يذكره بعض الرواة.

ومن ثم نقف على مركز سيدي أبي مدين في الولاية حين نعلم أنه مؤسس لكل هذه المدارس الصوفية وشيخ لشيخ للطرق، ومن ثم لقبه سيدي محيي الدين رحمته الله بلقب (شيخ الشيوخ)، كما أنه لقب سيدي محيي الدين بلقب (الشيخ الأكبر) ولقبه أيضاً ب: (سلطان العارفين).

وكان لسيدي أبي مدين رحمته الله منهاج خاص في تربية مرديه وترقيتهم في مقامات الولاية. كما يروي العارف المناوي عن سيدي محيي الدين أن سيدي أبا مدين كان يقول لأصحابه: "أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة، وأظهروا ما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة يعني خرق العوائد والباطنة يعني المعارف، فإنه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11/93]".

ثم يقول سيدي محيي الدين: "وهذه الطبقة خصت باسم الظهور لكونهم ظهوروا في عالم الشهادة".

وكان سيدي أبو مدين يقول لأصحابه "أعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولا يستحيون من الله". وكان يقول في قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 7-8/94] فإذا فرغت من الأكوام فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن وإلى ربك فارغب في الدوام، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل يا ليتها كانت القاضية".

وكان القطب أبو مدين فقيهاً عن الله بأسرار العبادات فهو يعلل لأفضلية صلاة الجماعة على صلاة الفرد قائلاً: "إنما فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام به منها، فيكتب من صلاة عشرينها ومن صلاة ثلثها ونصفها وغير ذلك أي كما في الحديث فيرتفع للجميع صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض فيعيد الله بركة الكمال والإتمام على الجماعة فيكتب لكل واحد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع".

ومن فوائده في تربية المريدين ما ذكره سيدي محيي الدين قائلاً: "كان شيخنا أبو مدين رحمته الله يقول: من علامة صدق المريدي في إرادته فراره عن الخلق، ومن علامة فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه على الخلق فهذا هو حال الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه، ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه حتى فجأه الحق فبعثه الله رسولاً مرشداً لعباده، فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته ومثله يسمى وارثاً، فالوارث الكامل من ورثه علماً وعملاً وحالاً"⁽¹⁾.

وتناول الإمام أبو مدين مفهوم الفقر عند الصوفية بالإيضاح قائلاً: "الفقر أمانة على التوحيد ودلالة على التفريد. وحقيقة الفقر ألا تشاهد سواه".

وكان يقول قدس سره: "من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء فما يشم للفقر رائحة"⁽²⁾.

وفي حقيقة الإخلاص يقول: "الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق"⁽³⁾.

وكان يقول: "كل بدل في قبضة عارف لأن ملك البدل في السماء إلى الأرض وملك العارف من العرش إلى الثرى"⁽⁴⁾.

(1) انظر: الكواكب الدرية للإمام المناوي 1/ 669.

(2) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني 1/ 132.

(3) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني 1/ 132.

(4) انظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراني 1/ 132.

أما كرامات سيدي أبي مدين فهي جمّة ومشهورة، سار بها الركبان وتناقلها الرواة والمصنفون في مناقب القوم. يقول مولانا الإمام الشعراني رحمته الله عن سيدي أبي مدين: "وكان الله تعالى قد أذل له الوحوش. ومر يوماً على حمار، والسبع قد أكل نصفه، وصاحبه ينظر إليه من بعيد لا يستطيع أن يقرب منه، فقال لصاحب الحمار: تعال، فذهب به إلى الأسد، وقال له: أمسك بأذن الأسد واستعمله مكان حمارك، فأخذ بأذنه وركبه وصار يستعمله سنين موضع حماره حتى مات" (1).

وروى أنه جاء إلى مجلسه معترض، فالتفت إليه سيدي أبو مدين وقال له: لم جئت؟ فقال: لأقتبس من نورك. فقال له ما الذي في كحك؟ فقال له مصحف. فقال له افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر، فإذا هو ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ﴾ [الأعراف: 92/7]. فقال له: أما يكفيك؟ فتاب الرجل في مجلسه.

ذكر المناوي أنه وقع له في سياحته أنه دخل على عجوز في مغارة، فجاء ابنها آخر النهار فسلم عليه. فقدمت العجوز سفرة فيها صحن وخبز، فقعد الشيخ والابن يأكلان. فقال الابن: تمنيت لو كان هذا كذا، فقال الشيخ: سمّ الله وكل ما تمنيت. فلم يزل يعدد التمني وهو يقول مقالته الأولى، واللون واحد ينقلب ألواناً كثيرة ويجد طعم ما يتمنى.

رضي الله عنك يا قطب الأقطاب يا سيدي أبا مدين يا من قلت:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء
وجعلنا من خواص أحبابك، آمين.

■ (17/2) الشيخ بن سيد بونة الخزاعي الأندلسي*

● (524هـ - 624هـ)

هو سيدنا جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي المكنى بأبي أحمد. ولد رحمه الله سنة 524هـ بقرية زناتة من عمل قسنطينية في شرق الأندلس جنوب

(1) المصدر نفسه.

* انظر الشهاب: تذكرة لأولي الألباب تحقيق عبد الإله بن عرفة.

بلنسية وشاطبة، وإلى الغرب من ثغر دانية غير بعيد عن البحر الأبيض المتوسط، وإلى الشمال من مرسية ولقنت (أليكانت الإسبانية).

يقول ابن الخطيب السلماي (ت 776هـ) في (الإحاطة): "أصل سلفه من بونة من بلد إفريقية، واستوطن جده بالأندلس بقرية زنيته من وادي لسته شرقي الأندلس من أعمال قسنطينية، وملك فيها أموالاً عريضة. ولما ظهر سبطه ولي الله أبو أحمد شيخ المريدين بذلك الصقع، وظهرت عليه البركات، وشهدت بولايته الكرامات، غمرتهم بركته ونوّهت بهم شهرته، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات بعد وفاة الشيخ، فهاجرت ذريته إلى غرناطة، بعد استيوائهم مدينة ألس وبنوا بالربض المعروف بربض البيازين"⁽¹⁾.

ويذكر ابن الخطيب في مكان آخر من (الإحاطة) عنه: "... الولي الشهير، كان أحد الأعلام المنقطعي القرين في كتاب الله، وأولي الهداية الحقة، فذاً شهيراً، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقه حتى الأمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلب على قرية مدفنه بما يقضى منه بالعجب"⁽²⁾.

رحل أبو أحمد إلى بلنسية حيث أخذ القراءات عن المقرئ الزاهد أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل. وأصله من أصيلة بالمغرب الأقصى، وكان زاهداً فاضلاً حسن النية. أكثر ما روى عن أبي داود المقرئ، وسمع صحيح البخاري من أبي محمد الركلي والحاج أبي محمد السرقسطي. وأخذ عنه خلق كثير لوفور علمه وعلو صيته وشهرة ذكره الجميل. وقد عمر طويلاً وأسمع الحديث نيفاً وستين سنة، حتى توفي جميع أصحاب شيخه أبي داود، فانفرد هو بالحمل عنه فقصدته الناس ورحلوا إليه واعتمدوه.

وممن أخذوا عنه القاضي أبو الخطاب بن واجب، وأبو عبد الله بن سعادة والمقرئ أبو عبد الله بن مسعود من شاطبة، وأبو عمرو نصر بن بشير الغافقي. ولد

(1) كان هذا الربض من أهم أحياء غرناطة الإسلامية. ويقع في مواجهة هضبة الحمراء في الشمال الشرقي من المدينة. أما بونة التي هي أصل ابن سيدبونة، فهي عناية حالياً من أكبر مدن الجزائر على الساحل الشرقي. 239/4.

في نحو السبعين وأربع مئة وتوفي سنة 564هـ.

مشيخته : نشأ في زناتة ودرس بها على خاله، ابن عم والده الشيخ الحاج المقرئ أبي بكر يحيى بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي. وقد روى عن أبي بكر كذلك، أخوه أبو علي حسن بن أحمد بن سيد بونة. وتوفي أبو بكر في حدود خمس مئة وتسعين.

وأخذ أيضاً ببلنسية عن الإمام الشهير أبي الحسن علي بن أبي محمد عبد الله بن خلف بن النعمة من أهل المرية.

وقد ذكر ابن الخطيب نقلاً عن أبي جعفر أحمد بن الزبير في كتابه صلة الصلة أن أبا أحمد بن سيد بونة كان يحفظ نصف المدونة وأقرأها، ويؤثر الحديث والتفسير والفقه على غير ذلك من العلوم.

بعد استيعابه لعلوم الظاهر في شرق الأندلس قصد بجاية لتصحيح الظاهر بعلم الباطن على يد وليها، الغوث الأشهر أبي مدين شعيب. وأغلب الظن أنه قصدها وقد شارف على الثلاثين من عمره. ولندع أبا عبد الله محمد بن الحجاج المشهور بالطباق⁽¹⁾ يروي لنا قصة سفره ولقائه بأبي مدين، في المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذا اللقاء بتفصيل نادر، على عكس غيره من المصادر الأخرى :

"ثم إنه (أي ابن سيد بونة) استنشق زهرة شجرة التصوف فتبع أرج عرفها ولمح مورديات التلطف، فعمل على جني لطفها، فجذبه الحق إليه ودله به عليه، فركب البحر قاصداً مدينة بجاية بنية القراءة على الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي رحمته الله.

فلما نزل بساحل بجاية تلقاه رجل فقال له : أنت أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة، فقال له : نعم، ومن عرفك بي؟ فقال : الذي عرفني أنك جئت بنية القراءة على الشيخ أبي مدين، أو ليس كذلك؟ قال : بلى! قال : أنا أبو العباس الخضر، أمرك أن تلازمني وتقرأ علي. فقرأ عليه مدة وأذن له في الاجتماع إذ ذاك مع الشيخ أبي مدين والقراءة عليه"⁽²⁾.

(1) مخطوط محفوظ بالخزانة الوطنية في الرباط، ميكروفيلم رقم : ك565.

(2) كتاب الطباقي ص : 19 - 20.

وقد ذكر ابن قنفذ القسطنطيني (ت 810هـ) في (أنس الفقير) مقام أبي مدين مع سورة تبارك، وذلك في معرض حديثه عن لقاء الشيخ أبي مدين بأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت 582هـ) وأبي علي المسيلي، ثم قال له: بلغنا أنك لم تزد على سورة تبارك الذي بيده الملك. فقال لهما: نعم، كانت سورتي، ولو تعديتها لاحتقرت" (1).

لازم أبو أحمد أبا مدين فأمره بالخدمة، وتلك عادة المشايخ مع مريديهم حتى يقطعوا منهم مشاكسة النفس بالمجاهدة ليصرفوها عن عوائدها الذميمة التي تلبست بها الكبر والعجب والأنانية والحسد والغضب وغيرها. وهكذا أقام أبو أحمد في أشد أنواع المهنة إرغاماً للنفس وتطهيراً لها حتى تتحلّى بالتواضع الذي هو مفتاح القرب.

تتلمذ أبو أحمد للشيخ أبي مدين إذناً، ولازمه مدة، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه. وكان مما أوصاه به حين عزم على خدمته حسبما يخبرنا كتاب (الطباق) "وقال (أي أبو أحمد) له يا سيدي، بأي شيء تأمرني؟ قال له: تقيم الزاوية وتسوق الماء وتعجن الخبز وتطحن. فقال: سمعاً وطاعة، وامثل ما أمر به شيخه. وكان الشيخ قد أخذ عليه ألا يتصرف في شيء مما دق أو جل إلا بعد استئذانه وتلقي أمره، وألاً يعصي له أمراً. فجاءه يوماً، وقال: يا سيدي اختمر الخبز وحمي التنور. وكان الشيخ أبو مدين إذ ذاك يتحدث مع رجل أتاه زائراً فلم يجبه. فأعاد عليه ثانية فلم يجبه لاشتغاله بالحديث مع زائره. فوقف أبو أحمد هنية ثم أعاد عليه فجرى على لسان الشيخ أبي مدين عليه السلام أن قال له: انطلق فادخل فيه. فامثل أمره ومضى فدخل في التنور، وليس هو التنور المعروف عند العامة وإنما هو نوع من الفرن. فلما أتم الشيخ حديثه مع من كان يتحدث معه قال: أين أبو أحمد؟ فقال له بعض أصحابه: ألم تأمره بدخول التنور؟ فقال: أدركوه فذهبوا إليه فوجدوه قد دخله والتنور يلهب ناراً، وهي لا تضره. فقالوا له: الشيخ يأمرك بالخروج. فقال لهم: هو أمرني بالدخول وهو يخرجني بنفسه، فرجعوا إلى الشيخ فأخبروه بذلك فقام بنفسه وأتاه. فلما رآه في بيت النار قال: قد وصلت يا أبا أحمد وأمره بالخروج فخرج" (2).

(1) ص: 35.

(2) كتاب الطباق ص: 21-24.

هذه الحادثة كانت السبب في اكتمال تربية أبي أحمد على يدي الشيخ أبي مدين حيث طلب منه المغادرة وقتها، وأن يبني زاوية في بلده وأن يدعو إلى الله. وظهر هذه الكرامة هي مما اختص به أبا أحمد. يقول في كتاب (الشهاب): "يا أبا أحمد: إن الراسخين من العلماء جعلهم الله ورثة الأنبياء... أظهر بك الكرامات كإخمد النار". وفي موضع ثان "ودليل الولاية ظهور الكرامات كإخمد النار".

وقد ورث بعض تلامذة أبي أحمد منه الخاصة: ومنهم أحمد الشريشي (ت608هـ). ذكره صاحب الدررة الفاخرة. ولعل حادثة الفيلسوف المنكر لعدم حرق النار سيدنا إبراهيم التي يوردها الحاتمي في آخر الباب 186 من (الفتوحات)، كانت كرامة لابن سيد بونة أو أحد تلامذته.

من بجاية يصوب أبو أحمد نحو الحجاز لأداء فريضة الحج، فيلتقي هناك بالشيخ أبي العباس أحمد الرفاعي (ت578هـ).

يقول ابن الأبار في كتاب (التكملة لكتاب الصلة): "ورحل حاجاً فأدى الفريضة ودخل الإسكندرية مرافقاً لمن سمع من السلفي (ت576هـ)، ولم يسمع هو منه شيئاً فيما علمت". ومن المعلوم أن الشيخ الرفاعي لم يحج إلا مرة واحدة، وكانت سنة (555هـ). ولهذا نميل إلى القول: إنه التقى به في هذه السنة. ويذكر (الطباقي) أن أبا أحمد قد حج مرتين "وحج حجة نافلة بعد فرضه، ووهب أجرها تزكية لثواب أتباعه". ومن الممكن أن تكون في السنة الموالية؛ إذ لربما يكون قد بقي في الحجاز حتى أدى حجتين.

ومن الذين ذكروا اجتماعه بالرفاعي الإمام أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه (مرآة المحاسن) (ت1052هـ) إثر ذكره لأسانيد ابن سيد بونة والرفاعي: "أخذ الشيخ أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي عن الشيخ أبي مدين، وبه تخرج وإليه انتسب، وعليه عول. ثم بعد ذلك لقي بالمشرق الشيخ أبا العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، فلبس منه الخرقة".

بعد أدائه لفريضة الحج قفل ابن سيد بونة إلى بجاية مرة أخرى حيث التقى بشيخه أبي مدين، وحادثة بشأن ما وقع له أثناء سفره وبالمسائل التي أشكلت عليه، يقول (الطباقي)، مصدرنا الوحيد حول هذه الفترة عن حياة أبي أحمد: "...

فعرضت له أثناء سفره قضايا وبدت له أمور، فاستغلق عليه فهمها، فكان ذلك مؤكداً محرصاً على رجوعه لأبي مدين رضي الله عنه مع عزمه أولاً على ذلك".

لقد تلقاه الشيخ أبو مدين بالترحاب والمودة والمبرة والتقريب. فأقام ابن سيد بونة مع شيخه زماناً بعدما زال عنه إشكال المسائل والمرائي التي كان يراها. وكان يحضر مجالسه ويستفيد منه. وما زال على هذه الحال حتى قدم قوم لزيارة أبي مدين مستفسرين عن مسائل حصلت لهم وعن معضلات واجهتهم، فطلب منهم الشيخ أن يتربصوا عليه ثلاثة أيام: "اليوم الأول أنظر في كتبي، واليوم الثاني أستفتي قلبي، واليوم الثالث أنتظر ما يرد علي من الفتح الرباني".

ولما سمع القوم جواب أبي مدين انصرفوا عنه حتى يستدعيهم. فلما كان نائماً هتف به هاتف قائلاً: "تلميذك أبو أحمد يفتي في هذه المسائل". فلما انقضت المدة التي حددها عاد القوم من حيث أتوا للظفر بجواب أسئلتهم فأمر أبو مدين أبا أحمد أن يقعد على سجاده وأن يجيب عن المسائل المطروحة. فقام أبو أحمد وجلس على سجادة الشيخ وطلب منهم أن يطرحوا أسئلتهم عليه ففعلوا فلما استوفوا أجابهم عن كل مسألة. ولما أجاب أبو أحمد عن آخر الأسئلة المطروحة نهض عن السجادة وقعد بين يدي شيخه، وقال له: "يا سيدي بلسانك نطقت ومن بضاعتك أنفقت، منك كان مددي وأنت كنت لساني، وأنا ليس معي شيء فكل ما ظهر علي فهو منك ولك، وأنا بين يديك كالमित بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء، ولا يقول: له لم؟

فعند ذلك قال الشيخ أبو مدين: جئتنا لتعرف الله بنا فعرفناه بك. وقد بلغت رتبة الشياخة فارحل إلى وطنك يهد الله أهله على يدك".

هذه الحادثة تلخص اكتمال تربية أبي أحمد وأهليته للمشيخة. وهكذا امثل أمر شيخه، فجهز نفسه ورحل إلى وطنه وبلدته زناة. فصار يدعو أهله وقرابته أولاً إلى الله بما فتح عليه. ثم أخذ يدعو جيرته وأهل بلدته فانقادوا له وأوضح لهم الطريق ومهد لهم السبيل فأجابوه إلى ما طلب وتعلمذوا له. واستمر الشيخ يدعو إلى الله على بصيرة. فكثر أتباعه في شرق الأندلس وأسس طريقة متميزة بذلك الصقع منتظمة الأركان متينة البنيان. وكان أن ساعده على هذا يسار أسرته وعون قرابته فصار الأمر إليهم بتلك الديار.

وبعد سنين عديدة من سفره عن شيخه رأى أبو مدين مبشرة مفادها كأن " الحق تجلى له وقال: يا عبدي يا شعيب. قال نبيي: المؤمن مرآة المؤمن، وأنا على الحقيقة هو المؤمن. فما مرأتي؟".

فلم يحضر لأبي مدين جواب وتحير في المسألة وبقي مستيقظاً من ساعته. فلما أصبح الصباح وجاء تلامذته ومريدوه لحضور مجلسه المعتاد عرض عليهم فحوى الرؤيا وطلب منهم أن يجيبوا بما انتهت إليه معرفتهم. لكن أجوبتهم كانت دون ما أمل الشيخ. عندها أمر أبو مدين بمكاتبة أبي أحمد في شأن هذه المبشرة. فلما وصل الجواب إليه كتب مراجعاً شيخه بجوابين في المسألة: الأول من حيث الظاهر والثاني من حيث الباطن. فأما الجواب عن المعنى الظاهر فمعنى كلامه فيه أن الله سبحانه وتعالى "إنما جعل المؤمن مرآة المؤمن لما تشابها ذاتاً وصفات. والمخلوق محل الزيادة والنقصان، واعتواراً للمحامد والمذام، فافتقر إلى مرآة يبصر بها ما يطرأ عليه مما يستحسنه أو يستقبحه إذا قابل ذاته بذات المرأة، وصفاته بصفاتهما. فإن الإنسان لا يبصر عيب نفسه حتى يقابل ذاته بذات من ذوات أبناء جنسه، وحينئذ يبصر عيوبه ويتفطن لحاله لقول رسول الله ﷺ: "يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَدْعُ الْجَدْعَ فِي عَيْنِهِ". فلما كان المؤمن يهتدي بسبب أخيه المؤمن للسير الحميدة فيقتنيها ويحفظها ويرى من أجله المعاييب والمستقبحات فيتوقاها ويرفضها، كان المؤمن مرآة المؤمن. والله عز وجل لا شبيه له ولا مثل ولا نظير ولا عديل، وجنابه الأعلى منزه عما يجوز على المخلوقات والمحدثات. فهو جل جلاله الغني عن المرأة وهو مرآة ذاته.

ومعنى كلامه في جواب الباطن هو أن الحق عز وجهه، اختار من عباده صفوة رفع أقدارهم وأفاض على الوجود أنوارهم وهم المرسلون والنبليون صلوات الله وسلامه عليهم، ما استعذب على عذبات الألسن ذكره وكلامه. وورثتهم العارفون والصديقون المنوه بمقامهم الأسنى لتشريفهم باسم الولاية من أسمائه الحسنی، فهم محل نظره من وجوده، وكرامة لهم يفيض ما يفيض من جوده، ألا وهم العلماء الراسخون المعنيون بقول رسول الله ﷺ "فِيهِمْ تُرْزَقُونَ وَبِهِمْ تَمْطَرُونَ وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ وَبِهِمْ يُدْفَعُ عَنْكُمْ الْبَلَاءُ". وهم المنبه عليهم بقوله عليه الصلاة والسلام "لِكُلِّ نَبِيٍّ

وارثٌ مِنْ أُمَّتِي " وبقوله عليه الصلاة والسلام "العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ". ومباينة رتبهم في العناية الربانية بادية غير خافية، وترتيبهم فيها من نسبة مشاربهم الصافية بحسب ما خلج عليهم موروثهم من حلال أوصافهم الصافية فأكرمهم لذا الكريم الوهاب، ورثة أولي العزم من الرسل، السادة الأقطاب.. فقلوبهم هي مطلع تجلي الجمال الرباني ومظهر تعاهد العهاد الإحساني الرحماني. لابسوا الناس بالأشخاص، وأرواحهم تناجي بالإخلاص، وأرواحهم لا تفارق الحضرة من محل الاختصاص.

فكل واحد من هؤلاء السادات في زمان ظهوره هو مرآة الحق في ذلك الزمان ومشرق نوره. فمن أراد الله سعاده في دنياه وأخراه جعله مودوداً للقطب يبصر الحق في مرآته ويراه⁽¹⁾.

ولعل موضوع المرأة هو مما اختص به الشيخ ابن سيد بونة، فكتابه (الشهاب) عبارة عن مرآة ومبشرات. وقد خصص الباب الثالث لذكر ما وقع له مع أبي مدين حول حديث "المؤمنُ مرآةُ أخيه"، وهو بذلك يؤكد صحة ما رواه (الطباقي) وسؤال أبي مدين لأبي أحمد بشأن ذلك الحديث والرؤيا التي رآها. وعنوان هذا الباب "ما جاء متى يكون المسلم مسلماً وحق الصاحب على صاحبه، والمؤمن مرآة المؤمن" حيث يقول: "فالمؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن على الحقيقة إنما هو المهيمن. فأى شيء ينظر العبد في المرآة في حق نفسه مع خالقه؟ فقال له ﷺ: الحدوث في القدم واللؤم في الكرم، والعجز في القدرة، والضعف في القوة، والفقر في الغنى، والفناء في البقاء، والجهل في العلم، هذا إنما هو مقام العوام. فإذا زلت أنت من أمام يتجلى لك الواحد العلام. فمن كان فانياً كان قلب المعاني، ومن كان قلب المعاني لم ير مع الله ثانياً، ومن لم ير مع الله ثاني وجد حلاوة رقة النداء حين قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172/7] قال له (أي أبو مدين): رضي الله عنك، فبما يوصل إلى هذا المقام؟ فقال (أي أبو أحمد) له: بالفناء والعدم والرجوع حيث لم تكن حين كنت أين كنت دون مكان قبل الكيفية في أزل العلمية. وإذا تجلى الذات بالذات للذات كل ما سوى الله فان. فقال له رضي الله عنك: يا أبا أحمد أنت والله مصباح القلوب وسيد أهل طريق الصوفية، خصك بذلك علام

الغيوب" (1). كما يقول في باب (صية للمريدين) "ومن كان مراقباً لسر سره رمى الغاية القصوى وبلغ المعارف والمرغوب.... وكان الحق مرآته. فمن مرآة الحق على التحقيق؟" (2).

ومن المرجح أن يكون الشيخ أبو مدين قد كاتب الشيخ أبا أحمد في حدود (ت580هـ) للقدوم عليه. وقد امتثل أبو أحمد طلب شيخه وقدم عليه في بجاية واجتمع به. ولما حضر وقت الصلاة قدم أبو مدين أبا أحمد للإمامة، فقال له أبو أحمد: "يا سيدي، كيف أتقدم أمامك وأنت إمامي. فقال له: يا أبا أحمد، إن كنت بالأمس إمامك، فأنت اليوم إمامي وإمام كل إمام" (3).

وكان هذا آخر لقاء بين الرجلين حيث عاد أبو أحمد إلى الأندلس ليدعو من جديد إلى الله بروح جديدة، كما لو أنه أحس بأن شيخه ينعي له نفسه ويستخلفه من بعده على قطره.

أمضى أبو أحمد ما بقي من عمره في تقوية طريقته، وصار له من الأتباع الكثيرون حتى توفي وله من العمر مئة سنة ببلدته زناتة ليلة الاثنين الثانية عشرة من شهر شوال عام (624هـ).

(1) ص 89.

(2) ص 175.

(3) الطباقي ص: 40.

صفحة بيضاء

رقم 384

السند الثالث

ترجمة طبقات السند الثالث

تعريف السند الثالث

وأخذ كذلك سيدنا الشيخ الإمام محمد عبد اللطيف بن محمد بلقايد، عن شيخه وأبيه سيدي الشيخ محمد بلقايد، وهو عن سيدي محمد بن الحاج محمد الهبري، وهو عن أبيه سيدي الحاج محمد الهبري، عن العارف سيدي محمد بن قدور الوكيل، عن سيدي محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني، عن شيخه العارف سيدي علي الجمل العمراني الحسني، عن شيخه سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي، عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن العارف بالله محمد بن عبد الله الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار، عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن سيدي أحمد زروق، عن سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي، عن سيدي يحيى القادري، عن سيدي علي بن محمد وفا، عن والده سيدي محمد وفا بحر الصفا، عن سيدي داوود بن الباحلي، عن تاج العارفين سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن القطب العارف سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن الإمام سيدي عبد السلام بن مشيش، عن الإمام الجامع عبد الرحمن العطار الزيات المدني، عن القطب أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيد بونه الخزاعي الأندلسي، عن القطب سيدي شعيب أبي مدين، عن العارف سيدي عبد القادر الجيلاني، عن القاضي أبي سعيد المبارك المخزومي، عن سيدي أبي الحسن علي بن يوسف الهكاري، عن سيدي أبي الفرج الطرسوسي، عن شيخه أبي الفضل عبد الواحد التميمي، عن القطب أبي بكر بن جحدر الشبلي، عن القطب أبي القاسم الجنيد، عن سيدي السر السقطي، عن القطب معروف الكرخي،

عن "سيدي داوود الطائي، عن سيدي حبيب العجمي، عن الإمام القطب سيدنا الحسن البصري، عن سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عن سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ".

ترجمة طبقات السند الثالث

■ (1/3) الإمام الحسن البصري*

● (21هـ - 110هـ)

هو سيدنا الحسن البصري، حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشج، عديم النوم والوسن. كان لفضول الدنيا وزيتها نابذاً، ولشهوة النفس ونخوتها واقداً⁽¹⁾.

كان أبوه من ميسان⁽²⁾، فسبي فهو مولى للأنصار، ثم صار من رؤوس العباد الأخيار. صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. وكان أكثر مشيه حافياً. ومع ذلك له هبة عظيمة.

وكان أشبه الناس سريرة بعلائية، وقولاً بعمل. إن أمر بأمر كان أول عامل به، أو نهى عن شيء كان أترك الناس له. وكان إذا قعد بين الناس يقعد ذليلاً، وإذا تكلم تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار، كأنها لم تخلق إلا له.

* الحسن البصري: طبقات ابن سعد 7/156. طبقات خليفة 210. تاريخ خليفة (انظر الفهرس). الزهد لأحمد 258. التاريخ الكبير 2/289. المعارف 440. أخبار القضاة 2/3. الجرح التعديل 3/40. الثقات لابن حبان 4/122. مشاهير علماء الأمصار ترجمة 642. حلية الأولياء 2/131. أخبار أصفهان 1/254. طبقات الفقهاء 87. صفة الصفوة 3/233. المختار من مناقب الأخبار 124/ب. تهذيب الأسماء واللغات 1/161. وفيات الأعيان 2/69. تهذيب الكمال 6/95. سير أعلام النبلاء 4/563. تاريخ الإسلام 4/98. تذكرة الحفاظ 1/71. ميزان الاعتدال 1/527. معرفة القراء 1/21. الوافي بالوفيات 12/306. البداية والنهاية 9/266. غاية النهاية ترجمة 1074. تهذيب التهذيب 2/263. النجوم الزاهرة 1/267. شذرات الذهب 1/136.

(1) الوقذ: شدة الضرب. القاموس (زقذ).

(2) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط. معجم البلدان. وفي الأصول: ميسان.

وكان كثير البكاء والحزن، ما رآه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة. قال الغزالي رحمه الله كان كلام الحسن أشبه الناس بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة، اتفق العلماء في حقه على ذلك.

وقال ابن عربي رحمه الله: الحسن عندنا من أئمة أهل طريق الله جل جلاله، ومن أهل الأسرار والإشارات.

ومما اشتهر أنه كان يستثنى من كل غاية، فيقال: فلان أزهد الناس إلا الحسن، وأفقه الناس إلا الحسن، وأفصحهم إلا الحسن⁽¹⁾.

ونظر إليه راهبان فقال أحدهما لصاحبه: مل بنا إلى هذا الذي سمته سمة المسيح. فعدلا إليه، فألقياه مفترشاً لذقنه ظاهر كفه، وهو يقول: يا عجبا لقوم، أمروا بالزاد وأذنوا بالرحيل، ما الذي ينتظرون؟

ومن كلامه: يحق لمن علم أن الموت مورده، والساعة موعده، والقيامة مشهده أن يطول حزنه.

وقال: لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل.

وقال: أدركت سبعين بدرياً لباسهم الصوف، لو رأيتموهم قلت: مجانين. ولو رأوا خياركم قالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

وقال: التفكير يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر ويدعو إلى تركه. وليس ما يفنى وإن كثر يعدل ما يبقى. فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة التي قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها.

وقال: عقوبة العلماء موت القلوب، وموتها طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وقال: هجران الأحمق قرينة إلى الله.

وقال: ابن آدم نفسك نفسك، إنما هي نفس واحدة إن نجت نجوت. وإن هلكت هلكت. ولم ينفعك من نجا، كل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار يسير.

(1) ثمار القلوب 1/ 177 (زهده الحسن).

وقال: إذا أراد الله بعبد سوءاً ختم له بأسوأ عمله ثم توفاه عليه.

وقال: جربنا وجرب المجربون، فلم نر شيئاً أنفع وجداً ولا أضر فقداً من الصبر، يداوي الأمور، ولا يداوي هو بغيره.

وسئل: أينام إبليس؟ فتبسم وقال: لو نام لوجدنا راحة.

وقال: من انقطع إلى الله في مسجد للذكر والصلاة أقام الله له الدنيا خادمة.

وقال: المقيم في مسجد مرابط على طاعة الله، يدفع الله به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد.

وقال: وددت أنني أكلت أكلة فصارت في بطني آجرة. فقد قيل: إنها تمكث في الماء أكثر من ألف عام.

وقال: الدنيا دار عمل، من صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها. ومن صحبها برغبة ومحبة شقي بها، وأسلمته إلى ما لا صبر له عليه.

وقال: غدا كل امرئ بما يهمله، ومن هم بشيء أكثر من ذكره. إنه لا عاجلة لمن لا أجر له، ومن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة.

وقال: لو كنت ممن رضي بقتل الحسين عليه السلام وعرضت علي الجنة ما قبلتها حياءً من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال: عجباً لقوم، أمروا بالزاد، ونودي بالرحيل فيهم، وحبس أولاهم عن أخراهم وهم قعود يلعبون؟.

ابن آدم السكين تحد، والتنور يسجر، والكبش يعلف.

كفى بالتجارب وبتقلب الأيام عظة وبذكر الموت زاجراً عن المعصية.

ذهبت الأيام وبقيت الآثام قلائد في الأعناق.

وقال: أشد الناس صراحاً يوم القيامة رجل سن ضلالة واتبع عليها، ورجل سيئ الملكة، ورجل فارغ استعان بنعم الله على معاصيه.

وقال: المؤمن كالعنيزة، يكفيه كف من حشف وقبضة من سويق وجرعة من ماء

وخرقة من قطن. والمنافق كالسبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً⁽¹⁾. لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله. وجهوا هذه الفضول أمامكم.

وقال: بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود.

وقال: خفق النور حول الرجال قلما ثبت له قلوب الحمقى.

وقال: عجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر، يعارض جبار السماء. وقد قال: ﴿وَقَىٰ أُنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21/51] وقال: لا يغرنا قول من يقول: "المرء مع من أحب"⁽²⁾ فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم. فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم.

وقال الغزالي رحمته الله: هذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع.

ورأى ناساً في يوم عيد يضحكون ويلعبون فقال: إن الله جعل مضمار العباد ليستبقوا إلى طاعته، ولو كشف الغطاء لشغل كل محسن بإحسانه وكل مسيء بإساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر.

وقال: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت.

وقال وقد عوتب على تخويفه الناس بمواعظه: إن من خوفك حتى تلقى الأمان خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف.

ورأى رجلاً يأكل بين المقابر فزجره ووبخه، وقال: أما في حال هؤلاء الأموات ما يكفيك عن تذكر الأكل؟

(1) السرط: البلع. القاموس (سرط).

(2) قال صفوان بن عسال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر. فبينما نحن عنده. إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد. فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من صوته: «هاؤم». وقلنا له: ويحك. اغضض من صوتك. فإنك عند النبي صلى الله عليه وسلم. وقد نهيت عن هذا. فقال: والله لا أغضض. قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب يوم القيامة" أخرجه الترمذي 3535 في الدعوات. باب في فضل التوبة والاستغفار. وما ذكر من رحمة الله لعباده. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

- ورأى آخر كذلك، فقال له: والله إنك منافق، أتأكل بين المقابر؟! وقال: أدركت أقواماً ما يطوى لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في بيته بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط.
- وقال: ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة، فرأى في نومه ما يحب ثم انتبه.
- وقال رجل: الفقهاء يقولون كذا. فقال: هل رأيت فقيهاً؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.
- وقال: بلغنا أن الله يقول: يا ابن آدم خلقتك وتعبد غيري، وتذكر بي وتنساني، إن هذا إلا ظلم في الأرض.
- وقال: إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك.
- وقال: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب فرحاً.
- وقال: والله، ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.
- وقال له رجل: أريد سفرأ فأوصني. قال: حيثما كنت فأعز أمر الله يعزك. وقال: ضحك المؤمن غفلة من قلبه.
- وقال: الإسلام أن يسلم قلبك لله، ويسلم منك كل مسلم وكل ذي عهد.
- وقال: إياكم وما شغل من الدنيا، فإنها كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا يوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشراً.
- وقال: رحم الله رجلاً لا يغيره ما يرى من كثرة الناس. ابن آدم تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، أنت المعني وإياك يراد.
- وقال: بس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقاك.
- وقال: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وقال: لا تخالفوا الله عن أمره، فإن خلافاً عنه عمارة دار قضى الله عليها بالخراب.

وقال: هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم.

وقد سئل عن حديث: "الإيمانُ الصَّبْرُ والسَّمَاخَةُ"⁽¹⁾.

فقال: الصبر عن معصية الله، والسماحة بأداء فرائضه⁽²⁾.

وقال: فضل الفاعل على المقال مكرمة، وفضل المقال على الفاعل منقصة.

وقال: من أقبل بقلبه على الله أقبل بقلوب خلقه عليه.

وقال: لو نادى مناد بالمسجد: ليخرج أفسق الناس وأفلهم حياءً من الله، ما سبقني للخروج أحد.

وقال: يستعان على دفع وسوسة إبليس بالذكر والقراءة، والنفس بالصوم والصلاة والمجاهدة والرياضة.

وقال: إذا أذنب عبد ثم تاب لم يزد من الله إلا قرباً. وهكذا كلما أذنب، لأنه دائم السير بذنبه وبغيره حتى يصل للآخرة.

وشكا له رجل قسوة قلبه، فقال: عليك بمجالس الذكر، والإحسان لليتيم.

وقال: طمع العالم في الدنيا يشنه، ويذهب بحرمة من القلوب.

وقال: ذم الرجل نفسه مدح لها.

وقال: ليس بأخيك من تحتاج إلى مداراته.

وقال: قد عبد بنو إسرائيل الأوثان بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا.

وقال: أرى رجالاً ولا أرى عقولاً، أسمع أصواتاً ولا أرى أنيساً.

(1) ذكره صاحب الكنز 1/ 36 (57) وقال: رواه أبو يعلى. والطبراني في مكارم الأخلاق عن جابر.

(2) حلية الأولياء 2/ 156.

وقال: خصلتان إذا صلحتا صلح ما سواهما، وإذا فسدتا فسد ما سواهما: الركون إلى الظلمة والطغيان في النعمة.

وقال: جمع الله الخير والشر كله في آية واحدة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90/16] وقال: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا.

وقال: من لبس الصوف تواضعاً زاده الله نوراً في قلبه وبصره، ومن لبسه إظهاراً للزهد وتكبراً كور في جهنم مع الشياطين.

وقال: ما كل الناس يصلح للبس الصوف، لأنه يطلب صفاء ومراقبة.

وقيل له: ما سبب لبسك الصوف؟ فسكت. فقيل له: أفلا تجيب؟ قال: إن قلت زهداً زكيت نفسي، أو فقراً وضيقة شكوت ربي.

ولما بلغه موت الحجاج سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته، فأمت سنته، وأرحنا من عمله الخبيث.

تلمذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد الإمام علي كرم الله وجهه. كما أخذ عن سيدنا حذيفة بن اليمان؛ حيث ذكر الشيخ أبو طالب في (القوت) أنه أخذ عنه علم الخواطر وخبايا النفس، وما في معنى ذلك. قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك. فممن أخذت هذا العلم؟ فقال من حذيفة بن اليمان... قيل: "وقيل مثل ذلك لحذيفة: فقال: خصني به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (1).

مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة عشر ومئة.

ورأى بعض الأولياء ليلة موته أبواب السماء مفتحة، وكان منادياً ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض.

(1) مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن للإمام أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري ص 270.

■ (2/3) سيدنا حبيب الفارسي العجمي*

● (119هـ - 169هـ)

هو عليه السلام الإمام المجاب الدعوة، حسن التربية والسياسة، وافر الهمة والرياسة، المحافظ على الخلوة لاكتساب الجلوة سيدنا حبيب العجمي عليه السلام.

كان من التجار، فحضر مجلس الحسن رحمه الله وهو غافل لا يلتفت إلى شيء مما يقوله الحسن، إلى أن التفت إليه الحسن عليه السلام يوماً فوعظه، فخرج عما كان يملك وجد واجتهد.

وكان يبكي الليل كله، فتقول له أمه: ما هذا البكاء؟ فيقول: دعيني، فإني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبل.

● ومن كلامه:

إن الشيطان كان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز.
وقال: لا تقعدوا فراغاً، فإن الموت يليكم.

وقال: إن من سعادة المرء إذا مات مات معه ذنوبه.

وكان يخلو في بيته ويقول: لا قرّة عين لمن لم تفر عينه بك، ولا فرح لمن لم يفرح بك، وعزتك إنك تعلم أنني أحبك.

● من كراماته:

أن رجلاً شكاه ديناً، فقال: اقترض وأنا أضمن، فضمن. فطولب عند

* انظر طبقات الصوفية للمناوي 1- ص 263. كذا في الأصول وفي صفة الصفوة 3/ 156: ولد سنة مئة. ومات سنة تسع وستين ومئة، وفي السير 7/ 361: قال وكيع: ولد سنة مئة. قال الذهبي 7/ 371: قلت: عاش تسعاً وستين سنة.

حبيب: التاريخ الكبير 2/ 326. الجرح والتعديل 3/ 112. مشاهير علماء الأمصار 152 حلية الأولياء 6/ 149. الأنساب 8/ 401. صفة الصفوة 3/ 315. مختصر تاريخ دمشق 6/ 185. تهذيب الكمال 5/ 389. سير أعلام النبلاء 6/ 143. ميزان الاعتدال 1/ 457. تاريخ الإسلام 5/ 233. الوافي بالوفيات 11/ 299. طبقات الأولياء 182. تهذيب التهذيب 2/ 189. النجوم الزاهرة 1/ 283.

الاستحقاق. فقال لرب الدين: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئاً فخذ. فذهب، فإذا في المسجد صرة فيها ذلك وزيادة.

وعجنت أمه فذهبت تأتي بنار، فأتاه سائل فأعطاه العجين، فجاءت فقالت: أين العجين؟

قال: ذهبوا يخبزونه، فأكثر عليه، فأخبرها. فقالت: لا بد من شيء نأكله.

فإذا برجل لا يعرف جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً. فقالت: ما أسرع ما ردوه عليك، خبزوه وجعلوا معه لحماً.

وكان يحج من بلاد فارس إلى مكة في الهواء.

وكان يأخذ متاعاً من التجار فيتصدق، فأخذ مرة فلم يجد ما يوفيه فقال: يا رب ينكسر وجهي عندهم. فدخل فإذا هو بجوالق⁽¹⁾ من الأرض إلى سقف البيت مملوءة دراهم. فقال: يا رب، ليس أريد هذا، فأخذ حاجته وترك البقية.

وقال له رجل: لي عليك ثلاث مئة. قال: من أين؟ قال: لي عليك. قال: اذهب إلى غد. ثم قال: اللهم إن كان صادقاً فأد إليه، وإلا فابتله في بدنه. فجيء به محمولاً مفلوجاً، فقال: التوبة. فقال: اللهم إن كان صادقاً فعافه، فكأنما نشط من عقال.

وجزع عند الموت جزعاً شديداً، وقال: أريد أن أسافر سافراً ما سافرت قط، وأسلك طريقاً ما سلكته قط، وأريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أوقف بين يدي الله تعالى فماذا أقول؟

وكان مشغولاً بالتعب، رحمه الله.

(1) الجوالق: معرب جوال. وعاء من أوعية الطعام. والعامية تعربه شوال. متن اللغة (جولق).

■ (3/3) سيدنا داود بن نصير الطائي*

● (... - 162هـ)

هو سيدنا داوود بن نصير الطائي. أبو سليمان الفقيه البصير الراوي، العابد الطاوي، أبصر معتبراً، وسبق مبتدراً، تشرمت منتصباً، وانتظر مرتقباً، أضناه الفرق، وأنهاه القلق.

وقد أثنى عليه كثير من العيان. فقالوا: كان رفيع المقدار، كثير المرادين، فسيح الأركان، واضح المنهاج، بحر علمه متراكم الأمواج.

أخذ الحديث عن: عبدالملك بن عمير وعروة بن هشام والأعمش.

وعنه: ابن عليّة وإسحاق السلولي وأبو نعيم ومصعب بن المقدام وجماعة.

قال الذهبي رحمه الله: كان إماماً فقيهاً، ذا فنون عديدة، ثم تعبد وآثر الخلوة والوحدة، وأقبل على شأنه، وساد أهل زمانه. انتهى.

وقال غيره: كان يحضر مجلس أبي حنيفة رضي الله عنه، فقال أبو حنيفة يوماً في تقريره: أما الأداة (الأدلة) فقد أحكمناها. فقال له داوود رحمه الله: فما بقي؟ قال: العمل بما علمناه. فاعتزله وتزهّد وتعبد وانقطع لذلك حتى صار في المجاهدة فحلاً من الفحول، هجر الوطن ووقف المواقف التي تهول، وثبت حيث الأقدام تزول والأحلام تحول.

وأناه بعض رفقائه في الدرس فقال: يا أبا سليمان، جفوتنا. فقال: ليس مجلسكم ذاك من أمر الآخرة في شيء، استغفر الله استغفر الله، ثم قام وتركه.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي 272/1.

طبقات ابن سعد 367/6. التاريخ الكبير للبخاري 240/3. التاريخ الصغير 136/2، المعارف 515. مشاهير علماء الأمصار 168. الثقات 282/6. طبقات الصوفية للسلمي 85. حلية الأولياء 335/7. الرسالة القشيرية 81/1. تاريخ بغداد 347/8. الأنساب 306/8. صفة الصفوة 131/3. المختار من مناقب الأخيار 139/أ. تهذيب الكمال 455/8. وفيات الأعيان 259/2. العبر 238/1. سير أعلام النبلاء: 422/7. ميزان الاعتدال 21/2. مرآة الجنان 350/1. الوافي بالوفيات 495/13. طبقات الأولياء 200. تهذيب التهذيب 3/203. الطبقات الكبرى للشعراني 76/1. شذرات الذهب 256/1.

وقيل: إنما سبب توبته أن امرأة جاءت إلى أبي حنيفة رحمه الله فسألته عن مسألة فأجابها، فأعجبت بجوابه. ثم قالت: هذا العلم، فأين العمل؟ فأثر كلامها في قلب داوود رحمه الله، فاعتزل وتعبد، فصار عظيم الشأن علماً وعملاً وزهداً وورعاً.

وكان إذا خرج مشى في الطرق المهجورة البعيدة. فيقال له: الطريق من ههنا أقرب. فيقول: فر من الناس فرارك من الأسد.

وكان قد ورث من أمه أربع مئة درهم، فمكث يتقوت بها ثلاثين عاماً.

وكان الغالب عليه الحزن. وكان يقول: إلهي هَمَك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين الرقاد.

● ومن كلامه:

إنما شرع تعلم العلم ليعمل به الطالب أولاً فأولاً، فإذا قطع عمره في تحصيله فمتى العمل؟

وقال: علامة كمال الزهد في الدنيا ترك مجالسة أهلها، وعيادتهم إذا مرضوا إلا بنية خالصة عن العلل.

وكان لا يتجرأ أن يسأل الله الجنة. يقول: وددت أنني أنجو من النار، وأصير تراباً.

وقال له رجل: أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قال: زدني. قال: ارض بالقليل من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بها مع فساد الدين.

وقال: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض، فكأنك بالأمر قد بغتك، والسلام.

وقال: لا تمهر الدنيا دينك، فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم.

وسأله رجل أراد تعلم الرمي فقال: الرمي حسن، لكنها أيامك، فانظر بما تقطعها.

وقال: إن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من الأسد. فصغيرهم لا يوقرك، وكبيرهم يحصي عليك عيوبك.

وقال: مسكين ابن آدم، قطع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

وقال: اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا مؤونة عليك، وأكثرهم معونة لك.

وقال: إذا كنت تشرب الماء المبرد، وتأكل اللذيذ المطيب، وتمشي في الظل، فمتى تحب الموت والقدوم على الله؟ وأتاه رجل فقال: ما حاجتك؟ قال: جئت لزيارتك. فقال: أما أنت فقد عملت خيراً حيث زرت. لكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي: من أنت فتزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن العباد؟ لا والله، أمن الصالحين؟ لا والله. ثم أقبل يويخ نفسه، ويقول: كنت في الشيبية فاسقاً، فلما كبرت صرت مرثياً، والله للمراثي شر من الفاسق.

وقال: إني أستحي من الله أن يراني أخطو خطوة ألتمس فيها راحة نفسي في الدنيا حتى يخرجني الله منها.

وقال: ما خرج أحد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه الله تعالى بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس.

وقال: كل نفس ترد على همها، فمهموم بخير ومهموم بشر.

وقال له رجل: دلني على رجل أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد.

ورئي يوماً بشاطئ الفرات واقفاً مبهوتاً. فقيل له: ما يوقفك هنا؟ قال: أنظر إلى الفلك كيف تجري في البحر مسخرات بأمره⁽¹⁾؟

وكان عامة ليلته لا يهدأ. يقول: اللهم هَمَكْ عطل علي الهموم. وَحَالَ بَيْنِي وبين السهاد، وشوقني إلى النظر إليك، ومنعني اللذات والشهوات...

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ يُجْرَىٰ أَلْفَاكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنْفِقُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: 12/45].

وكان يترنم في السحر بشيء من القرآن، فيرى أن جميع نعم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة، وكان لا يسرج سراجاً أبداً.

وكان يقول: ما نعول إلا على حسن الظن بالله لاستيلاء التفريط على الأبدان.

وقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، من طال أمله ضعف عمله، وكل آت قريب، وكل ما شغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم.

واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور، وإنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون، فما عليه أهل القبور ندموا عليه أهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون.

وقيل له: ما تقول في رجل دخل على هؤلاء الأمراء، فأمرهم بمعروف ونهاهم عن منكر؟ قال: أخاف عليه السوط.

قال: إنه يقوى. قال: أخاف عليه السيف. قال: إنه يقوى. قال: أخاف عليه الداء الدفين العجب.

وكانت النملة تدور في وجهه طويلاً وعرضاً فلا يفطن لها من الحزن والتفكير.

وقال له أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً رضي من الله بمثل ما رضيت به. فقال: من رضي بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة فقد رضي بأدون مما رضيت.

وقال محمد بن الحسن: كنت إذا جئته أسأله عن المسألة. فإن وقع في قلبه أنها مما أحججه في أمر ديني أجابني. وإن وقع في قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم في وجهي وقال: إن لنا شغلاً عن ذلك.

وقيل له بعد ما انقطع واعتزل: كنت تلازم أبا حنيفة وصحبه، ثم اعتزلتهم. قال: إذا كنا دهرنا في جمع الآلات فمتى يكون البناء؟ وقال: صم عن الدنيا وأفطر على الموت حتى إذا كان عند المعاينة أتاك خازن الجنان بشربة من ماء الجنة تشربها على فراشك فتخرج من الدنيا وأنت ريان وتنزل القبر وأنت ريان وتخرج منه وأنت ريان ويمكنك الناس يترددون في ظلمة القيامة جياً عطاشاً ما شاء الله وأنت ريان حتى تدخل الجنة وأنت ريان.

وقال : سبيل الناس كلهم إلى الموت، فمن أبغض الدنيا تبعته، ومن أحبها قتلته، ومن وثق بها خذلته، فاتق الدنيا؛ فإنها أسحر من هاروت وماروت.

وقال : لو أملت أن أعيش شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً، وكيف أوّمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق ليلاً ونهاراً؟!.

وبلغه أنه ذكر عند بعض الأمراء فأثني عليه. فقال : إنما نبتغي ستره بين خلقه، لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبداً.

وقال له شعيب بن طلحة : أريد أن أشتري داراً بقربك، ليكثر لقائي لك. فقال : إن مودة يغيرها قلة اللقاء لمودة مدخولة.

وقال : ماتت امرأة بجواربي ولم يكن لها كبير طاعة. فقيل لي : يا داوود، اطلع في قبرها. فاطلعت فرأيت نوراً عظيماً وفرشاً وطبيعة وسرراً عالية، فقلت : بما استوجبت هذا؟ فنوديت : استأنست بنا في سجدتها، فأنسناها في وحدتها.

وسبب مرض موته أنه مر بأية فيها ذكر النار، فكررها فأصبح مريضاً. فدخل عليه إخوانه وهو يبني على التراب وتحت رأسه لبنة. فلما مات خرج في جنازته ألوف، حتى ذوات الخدور. فقال ابن السماك رحمه الله : يا داوود، سجت نفسك قبل أن تسجن، وحاسبتها قبل أن تحاسب، وعذبتها قبل أن تعذب، فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو وله كنت تنصب. فقال ابن عياش وهو على شفير القبر : اللهم لا تكل داوود إلى عمله، فاستحسنوا كلامه.

مات سنة اثنتين وستين ومئة في السنة التي مات فيها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه.

تم بحمد الله وعونه

الجزء الأول

ويليه

الجزء الثاني